أدولف هتلر

كفاحي

محمد رمضان

كنوز
للنشر والتوزيع

إهـــــــــداء ٢٠٠٨
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

شخصيات
صنعت التاريخ

كفاحى

أدولف هتلر

أدولف هتلر

كفاحى

المؤلف:

محمد رمضان

الإشراف العام

ياسر رمضان

الناشــــر

كنوز

للنشر والتوزيع

37 ش قصر النيل ـ القاهرة تليفون: 012 7717795

kenouz55@yahoo.com

التنفيذ الفنى وتصميم الغلاف



رقم الإيداع: 2008 / 17517

الترقيم الدولى: 8-39-5307-977

جميع حقـوق الطبع محفوظة للناشر ولا يجوز نـهائياً نشر أو اقـتـباس أو اخـتـزال أو نقل أى جـزء من الكتـاب دون الحصول على إذن كتابى من الناشر

4

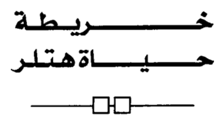
شخصيات صنعت التاريخ

كفاحى
أدولف هتلر

محمد رمضان



للنشر والتوزيع



■ ١٨٨٩ ولادة أدولف هتلر فى قرية برونو (النمسا) . ٢٠ نيسان.

■ ١٩٠٧ فشله فى دخول كلية الفنون.

■ ١٩٠٩ . ١٩١٣ هتلر يعيش حياة تشرد فى شوارع فيينا .

■ ١٩١٤ . ١٩١٨ مشاركته فى الحرب العالمية الأولى التى انتهت بهزيمة ألمانيا .

■ ١٩١٩ هتلر ينتسب إلى حزب العمال الألمانى.

■ ١٩٢٠ تأسيس الحزب النازى.

■ ١٩٢١ انتخاب هتلر رئيسا للحزب.

■ ١٩٢٤ محاكمة هتلر وسجنه لمدة خمس سنوات بتهمة الخيانة العظمى.

■ ١٩٢٤ هتلر يؤلف كتاب "كفاحى" فى السجن.

■ ١٩٢٥ اطلاق سراحه بعد تسعة اشهر.

■ ١٩٣٠ وصول الحزب النازى إلى السلطة فى ألمانيا .

■ ١٩٣٣ هتلر يصبح مستشارا لألمانيا .

■ ١٩٣٩ بداية الحرب العالمية الثانية لتوحيد جميع البلدان الناطقة بالألمانية.

■ ١٩٤٥ نهاية الحرب العالمية الثانية بهزيمة ألمانيا . وانتحار هتلر فى ٣٠ نيسان.

■ ■ ■



قد يكون آدولف هتلر أهم الشخصيات السياسية فى القرن العشرين.. ومن المعروف ان وجود صورته على ظهر كتاب يزيد مبيعاته بنسسبة ٢٠٪. وقد وُلد كما يقص فى مذكراته لاسرة متواضعة، وعاش جل اعوام طفولته وشبابه الاول خارج المانيا. ثم عاد لوطنه الام وساهم فى تاسيس الحزب النازى. وخلال عشرة اعوام، بات قائداً للامة الالمانية.

فى كفاحى، يقص هتلر حكاية صراعه فى سبيل الوصول للفلسفة التى يؤمن بها اولاً، ثم الكفاح فى سبيل تحقيق ما يعتبره طموحات الشعب الالمانى. نختار اولاً وصف هتلر لطفولته الباكرة وحياته الاسرية الباكرة ثم معاناته من الفقر المدقع فى فيينا، وصولاً الى آرائه التى لم يغيرها ابداً بشأن القضية اليهودية.

ولد ادولف هتلر فى ٢٠ نيسان ١٨٨٩ فى برونو (النمسا)، وهى بلدة صغيرة على ضفة نهر الإن الذى يجرى من ألمانيا. وبعد ولادته بمدة قصيرة انتقلت عائلته إلى مدينة لينز فى النمسا أيضا. وهناك دخل المدرسة الابتدائية، وكان تلميذا متفوقا، إلا انه بعد انتقاله إلى المدرسة الثانوية تكاسل ولم ينجح فى دروسه، مما أثار حفيظة والده الذى كان راغبا فى أن يكون ابنه موظفا حكوميا على غراره. ومن أهم أسباب انحدار مستواه الدراسى اهتمامه بالفنون ورغبته فى أن يكون فنانا.

عام ١٩٠٧ انتقل هتلر إلى فيينا (النمسا) فى محاولة منه لتحقيق حلمه الفنى. ولكن محاولته انتهت سريعا عندما رسب فى امتحان الدخول إلى كلية الفنون الجميلة. غير انه

بعد وفاة والدته فى العام نفسه قرر البقاء فى فيينا، وبعد عام تقدم إلى امتحان الدخول وفشل فيه أيضا.

لم يستطع هتلر أن يحصل على وظيفة، بل كان يقوم بأعمال متفرقة لم تكف للإنفاق على مسكنه وطعامه. فكان يقيم فى غرف رخيصة بالإيجار أو يقضى لياليه على مقاعد الحدائق العامة، ويعتمد على الحسنات فى تامين الوجبات الغذائية الأساسية.

كان هتلر نمساويا من الناطقين بالألمانية. وأثناء إقامته فى فيينا كره غير الألمان لأنه اعتبر نفسه ألمانيا، وقد سخر من الحكومة النمساوية التى كانت تعترف بثمان لغات رسمية، وآمن انه ما من حكومة يمكن أن تبقى فى السلطة إذا حاولت معاملة كل الجماعات الاثنية بالتساوى، وانه لا بد فى النهاية من تفضيل بعض على البعض الآخر.

عام ١٩١٣ انتقل هتلر إلى ميونيخ فى ألمانيا، وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى تطوع للخدمة فى الجيش الألمانى. وحارب ببسالة وتلقى ترقيتين إلا انه رفع إلى رتبة عريف فقط. وعند نهاية الحرب كان هتلر يعالج فى إحدى المستشفيات لإصابته بعمى مؤقت، نتيجة ما يرجح انه كان قنبلة من الغاز المسموم.

سلخت معاهدة فرساى التى وقعت فى نهاية الحرب معظم الأقاليم الألمانية، وفرضت عليها نزع السلاح ودفع تعويضات هائلة. وعندما عاد الجيش إلى ألمانيا كانت البلاد فى حالة يائسة، تعاّنى من الإفلاس ومن البطالة.

عام ١٩١٩ انتسب هتلر إلى حزب العمال الألمانى الذى ما لبث أن صار اسمه "حزب العمال الوطنى الاشتراكى الألمانى"، ومن حروفه الأولى تكونت كلمة "نازى".

دعا الحزب إلى اتحاد كافة الناطقين بالألمانية فى وطن قومى واحد، بقيادة حكومة مركزية قوية، والى إلغاء معاهدة فرساى. وما لبث هتلر أن صار رئيسا للحزب وراح الناطقون بالألمانية من كافة البلدان ينتمون إليه بالآلاف، مدفوعين بخطبه النارية.

اثر نجاحه الملحوظ فى تجنيد أعضاء جدد للحزب قام هتلر بإنشاء "قوات العاصفة" (ذات القمصان الرمادية)، بمثابة جيش للحزب هدفه قتال الجماعات الداعية إلى التشكيك فى "الوحدة النازية".

فى ٩ تشرين الثانى ١٩٢٣ قاد هتلر ألفين من قوات العاصفة لاحتلال مقاطعة بافاريا واستبدال حكومتها، ولكن المحاولة فشلت والقى القبض على هتلر وحوكم ثم سجن لمدة خمس سنوات بتهمة الخيانة. وفى السجن ألف هتلر كتابه الشهير "كفاحى"، وقد ضمنه كل معتقداته ورؤيته لمستقبل ألمانيا.

تم إطلاق سراح هتلر بعد تسعة اشهرن فعاد إلى بناء الحزب من جديد. ولكن السلطات الألمانية كانت قد فرضت حظرا على مطبوعات الحزب ومنعت رئيسه من إلقاء خطب فى الأمكنة العامة. غير أن ذلك لم يمنع هتلر من كسب أعضاء جدد. ثم أسس منظمة "القوات الخاصة" من مجموعات من المقاتلين المدربين والمعدين للالتحاق السريع بوحداتهم عندما تدعو الحاجة.

ومع بداية العام ١٩٢٩ كان الحزب النازى قد صار واحدا من أهم أحزاب الأقلية فى المجلس النيابى الألمانى. وجاء الكساد الاقتصادى الذى ضرب العالم سنة ١٩٣٠ ليزيد من مشاكل ألمانيا، إذ كان عليها، إضافة إلى متاعبها الاقتصادية، أن تسدد ديونا وتعويضات فرضت عليها فى الحرب العالمية الأولى. وقد عارض هتلر وحزبه النازى دفع تلك التعويضات، قائلا إن اليهود والشيوعيين هم الذين تسببوا بخسارة ألمانيا للحرب، واعدا بتنظيف ألمانيا منهم وبتوحيد كل الناطقين بالألمانية فى أوروبا وسائر مقاطعاتهم فى دولة واحدة.

فى انتخابات ١٩٣٢ نال الحزب النازى ما يقارب ال ٤٠٪ من الأصوات وصار أكبر حزب فى ألمانيا. وفى ٣٠ كانون الثانى ١٩٣٣ قام الرئيس الألمانى بول فون هايندنبرغ بتعيين هتلر مستشارا على ألمانيا. وما لبث أن صار حاكما فرديا وحصر السلطات كلها بيده. وبوفاة الرئيس الألمانى (١٩٣٤) صار هتلر الزعيم الأوحد وأعطى نفسه لقب "فوهرر" (القائد).

عرفت فترة حكم هتلر لألمانيا بعهد "الرايخ الثالث"، وأتاحت الفرصة لبث معتقداته بين الألمان بما يشبه غسل الأدمغة. وقد قاد حزبه حملة مركزة هدفها إقناع كل الناطقين

بالألمانية بتكوين عرق آرى متفوق على سواه. وكانت خطة هتلر أن يخلى بلاده من كل اليهود والغجر والسود والمعاقين والمتخلفين عقليا. وقد سما خطته " الحل الأخير".

بدأت الحرب العالمية الثانية عندما اجتاحت ألمانيا الأراضى البولندية (١٩٣٩) كمقدمة لتوحيد كافة الناطقين بالألمانية. وقد أدت الظروف والأوضاع الدولية آنذاك إلى تحالف إيطاليا واليابان مع ألمانيا، مقابل التحالف الفرنسى - الأميركى - البريطانى - السوفييتى. ما أدى إلى نهاية الحرب بهزيمة قاسية لهتلر وحلفاؤه بعد خمس سنوات من القتال الذى راح ضحيته ملايين البشر، واستعملت خلاله القنابل الذرية للمرة الأولى فى العالم.

لم يحتمل هتلر صدمة الهزيمة، فانتحر وهو فى مركز قيادته تحت الأرض فى ٣٠ نيسان ١٩٤٥، وبعد سبعة أيام أعلنت ألمانيا الاستسلام.

■■■

الصليب المعقوف

1

□□

فكرة الصليب المعقوف قديمة قدم وجود الإنسان على سطح البسيطه. فقد عثر عليه فى خرائب طرواده وأثار مصر والصين فى العصور الحديثه كالشعار الرسمى لبعض دول البلطيق كايستونيا وفنلندة، حيث شهد رجال الفيلق الألمانى الحرب إبان القتال عام ١٩١٨ ـ ١٩١٩.

وكان جنود لواء إيراهاردت قد رسموا صورته على خوذهم الفولاذيه عندما دخلو برلين إبان إنقلاب كاب ١٩٢٠ ولاريب فى أن هتلر كان قد شهده فى النمسا كشعار لحزب أو أكثر من الأحزاب المعادية للساميه، ومن المحتمل أن يكون قد أنطبع فى ذاكرته عندما وصل لواء إيراهادت الى ميونخ.

ويقول فى كفاحى : أن عددًا من أعضاء الحزب، قد أقترحوا عليه تصاميم شعارات مختلفه كانت تتضمن جميعها الصليب المعقوف وأن طبيب اسنان من ستيربرغ قد أخرج فعلا تصميما لرايه "لم يكن سيئا مطلقا وكان قريبا من تصميمه".

أما بالنسبه إلى الألوان فقد رفض هتلر بالطبع الألوان السوداء والحمراء والذهبيه الموجودة فى راية جمهورية ويمار المكروهة وقد رفض تقبل الراية الأمبراطورية القديمة المؤلفة من الالوان الاحمر والابيض والاسود، وأن كل قد أحب ألوانها لا لأنها كما يقول تؤلف أروع تناسق فى الألوان فى الوجود فحسب بل لأنها تمثل ألوان المانيا التى كان قد حارب من أجلها. ولكن من الواجب أضفاء شكل جديد عليها وهكذا حيث اليها "السواستيكا".

وقد أضرب هتلر لأبتكاره الفذ، فهتف قائلا فى كفاحى " حقاً إنه لشعار ففى اللون الأحمر نجد الفكره الوطنيه، وفى الصليب المعقوف نجد رساله النضال النصر للرجل الآرى.

وسرعان ما أبتكر أشرطة الصليب المعقوف لتوضع على أذرع جنود العاصفه وأعضاء الحزب وأبتكر هتلر بعد سنتين الرايات النازيه والتى تحمل فى الأستعرضات الكبيره، والتى تزدان بها المنابر فى الأجتماعات الجماهيريه.

وقد اقتبس هذه الرايات من التصميمات الرومانيه القديمة وهى تتالف من صليب معقوف معدنى أسود ويقوم أكليل فضى يعلو نسرا او تحته توجد الحروف الأولى لأسم P.A.D.S.N على مستطيل معدنى تتدلى منه حبال لها أهداب مطرزة وتحلو رايه الصليب المعقوف المريعه وقد تألق عليها أسم (أستيقظى يا المانيا).

قد لا يكون هذا فنا ولكنه دعايه من الطراز الأول. فقد غدا للنازين الأن رمزًا لم يكن له مثيل عند أى حزب آخر. ويبدو أن الصليب المعقوف كان يملك سلطاناً سحرياً به يدعو أفراد الطبقات الوسطى والدنيا التى لم تكن تحس بالاطمئنان والتى كانت تعيش فى وجد من العدم فى السنوات الاخيرة التى أنتشرت فيها الفوضى بعد الحرب إلى العمل فى أتجاه جديد. وشرعت هذه الطبقات فى الأحتشاد تحت هذه الرايه.

مشاكل الصليب المعقوف

تسببت رسوم للصليب المعقوف الذى يرجع تاريخه للحقبة النازية على حوائط حى اليهود فى العاصمة الايطالية فى إفساد احتفالات الايطاليين بفوز منتخب بلادهم بكأس العالم ٢٠٠٦ بألمانيا.

وذكرت الشرطة الايطالية أن الصليب المعقوف والشعارات المعادية للسامية من المرجح أن تكون رسمت على الحوائط من قبل بعض المشجعين المشاغبين (هوليجانز) الذين شاركوا فى الاحتفال الذى جرى فى ساحة ماكسيموس.

■ ■ ■

2 هل سرق هتلر فكرة الصليب المعقوف من سوريا؟

□□

اذا كانت " الزوبعة " رمزا سوريا قديما، بعثه سعاده من جديد بمنطويات معنوية مبتكرة، لا تقليد فيها، فانّ " الصليب المعقوف " (شعار النازية) لم يكن اساسا من الرموز المتصلة بالثقافة الالمانية، انّما دخل اليها من التراث الحضارى للأمة السورية الذى شعّ على العالم كلّه، عبر الثورة الثقافية السورية العظمى التى غزت البشرية بأبجديتها وعلومها وفنونها وادابها. ممّا دفع بالعالم اندريه بارو للاعلان " بأنّ كلّ انسان فى العالم له وطنان: وطنه الذى ولد فيه وسورية ".

ويكفى هذه الأمة انصافا فى حكمة جبران خليل جبران القائل: كان المجد عبدا لسورية، وان ما تدعينه انحطاطا يا سورية أدعوه نوما واجبا يعقبه النشاط والعمل، فالزهرة لا تعود الحياة الا بالموت، والمحبة لا تصير عظيمة الاّ بعد الفراق.

عود الى بدء، الى " الصليب المعقوف " الذى كانت أولى ظهوراته على تماثيل لالهة الجمال السورية " عشتروت" التى دعاها اليونان أفروديت وسماها الرومان فينوس، وأقيمت معابدها الأولى فى نجمة الهلال السورى الخصيب" فى قبرص، ووديان لبنان السورية.

ذكر المؤرخ الأميركانى " هربر ج. موللر " فى كتابه " نسج التاريخ " أنّ مهندس الآثار العلامة شليمان عثر فى تنقيباته فى اطلال طروادة (٣٠٠٠ ق م - ٢٩٠٠ ق م) على تمثال " عشتروت"، وقد نقش فى اسفل بطنها رسم للسواستكا (الصليب المعقوف)، كما وجد هذا الرمز منقوشاً على الادوات الفخارية القديمة المكتشفة هناك وفى أماكن أخرى من

العالم، خصوصا فى الصين والهند واليابان وفارس، حيث رمز فى حضارات تلك الشعوب الى التيمن والبركة، ولا غرور او مبالغة فى ذلك فعشتاروت أو " عثر عاذه " السورية، تمثل القوة الكونية البدئية (فى البدء كانت)، فهى آلهة الطبيعة، وآلهة الانجاب، وآلهة النبات الذى يجلب معه الربيع والصيف، فصل النمو والاثمار، وهى فى اللغة الكونية، آلهة الحب والجمال، بلا منازع، وحول عشتروت دارت أهم أساطير " الميثولوجيا السورية" وهى اسطورة أدون ـ تموز وعشتروت حيث مثّلت الآلهة السورية رواية الحياة بين سهل جبيل وهضاب لبنان.

ما هو موقع " الام السورية الكبرى " فى الأساطير السورية؟

وكيف تمّ انتقال الرموز السورية، خصوصا " الصليب المعقوف " (السواستيكا) الى أوروبا وغيرها من اصقاع العالم؟

تمحورت معظم الأساطير السورية حول مواضيع كونية وانسانية متعددة، أبرزها ظهور الكون، الخلق، الموت يليه الانبعاث، الصراع، البناء والنظام، الخ..

احتلت " الام السورية الكبرى"، فى هذه الاساطير، مركزا مرموقا ومتقدما، ونضجت حول هذه الأم التى عرفت فى الحضارة السورية بأسماء متعددة، (عشتار، نمو، تعامة) الرموز الخاصة بها، منذ العهد الانيوليتى، فى أوائل الألف الثامن قبل الميلاد.

إنّ بحث الانسان السورى فى ما وراء الوجود، ما وراء المادة، دفعه الى الاستعانة بالرموز لتفسير بعض الوقائع التى تحدث، ولا تلاحظ بالعقل الواعى، ولكن يمكن تمثلها على نحو لا شعورى يأتى عن طريق الرمز، ولكن الرمز يحتاج الى مخزون يطلقه، هذا المخزون أو الموروث هو الخط الأولى، هو الطاقة اللانهائية، أما الرمز فهو ظهور هذه الطاقة للعيان.

هكذا ظهرت الرموز التاريخية التشكيلية الأولى الخاصة بالأم الكبرى " عشتار" ومنها الصليب المعقوف (السواستيكا) والصليب العادى اللذين استمرا رمزين مقدسين فى

الديانات العشتارية والديانات الذكرية على السواء، وصولا الى السيد المسيح وأمّه مريم آخر ام كبرى فى الديانات البشرية كاملة البتولية ممجّدة فى الانجيل والقرآن على السواء، ولم يشذ عن هذه القاعدة الا " التلمود اليهودى " الذى وصفها بأحطّ الأوصاف فهى فى هذا " التلمود " المعادى لعيسى ومريم " امرأة زانية " لعنة الله على اليهود وتلمودهم.

أما أبرز الأماكن الأثرية السورية، التى ظهر فيها رمز " الصليب المعقوف "، فهى: سامراء (فى العراق) وذلك ابتداء من الألف الخامس ق. م. انظر (شكل رقم ٤،٣،٢) وفى " دير القلعة " فى مدينة بيت مرى (لبنان) نشاهد بوضوح تام "الصليب المعقوف " وقد رسم بالفسيفساء الملوّن فى قاعة الاله السورى الفينيقى " بعل مرقد"، كما يظهر هذا الرسم واضحا فى " الصلبان المعقوفة" المتشابكة على أعمدة بعلبك، وهى ترمز، حسب بعض الاراء، الى التعاون فى الحياة بين أبناء البلدة الواحدة، واذا علمنا أنّ " الصليب المعقوف " هو من بين الرموز التى كانت تدلّ على الشمس، أدركنا مدى علاقة هذا الرمز باسم سورية الذى يعنى الشمس ومدى ارتباطه، أيضا، بالرموز السورية القديمة، خصوصا ما تعلّق منها بالديانة العشتارية.

رمزت الأساطير السورية للأم الكبرى " عشتار " بدائرة تعنى (الكون الاكبر، او النفس الكلية، او البيضة الكونية) أطلق عليها اسم (الماندالا)، وهذه الدائرة ليست جامدة بل متحركة تدور فتنقل الأبد الى الازل والازل الى الأبد، وهى أى (الدائرة).

فى الوقت نفسه مجرّد نقطة، لأنّ هذه الحركة اللانهائية بين الازل والأبد تجعلهما متطابقين، ويصير مركز الدائرة منها المحيط، والمحيط منها مركز.

وحسب هذا التعريف يكون الكون حسب الاسطورة السورية مؤلفا من دائرة هى (الماندالا) ومن مركز هو مركز الزوبعة الدائرة، وثمّة علاقة وثيقة بين هذا المركز وتلك الدائرة، فالمركز يشع نحو الدائرة والدائرة تعطى عمقا للمركز.

وهذا المفهوم الجدلى بين الماندالا والسواستيكا يفسّر لنا كيف كان الكون (الدائرة) مركزه فى سورية، عندما كانت سورية أم الحضارة، وكيف أن سورية، قبل النهضة القومية الاجتماعية، كانت تتلقى اشعاعات الدائرة التى منحتها للعالم قبل آلاف السنين، الى أن كانت " الزوبعة الحمراء"، زوبعة الحركة القومية الاجتماعية التى أعادت المركز والدائرة الى دورهما الطبيعى التاريخى الحقيقى. وعلى هذا الاساس من جهة أخرى، فقد انتقلت رموز الثقافة السورية ومنها (السواستيكا) ـ الصليب المعقوف الى كريت اولا ومن هناك نقلتها السفن عبر مضيق جبل طارق شمالا حتى جزر البريطانية وجنوبا على طول الشاطىء الأفريقى. ومن كريت فى خط آخر الى ميسينا أول مدينة متحضرة على الأرض اليونانية ومنها الى البلاد الرومانية. ومن الهلال السورى الخصيب وصلت مجموعة هذه الرموز الى مصر منذ مطلع الألف الرابع قبل الميلاد، وكذلك اتجهت شرقاً نحو آسيا حتى أقصى إصقاع المعمورة جنبا الى جنب مع الديانة العشتارية.

ومن هنا يجب أن نفهم رائعة جبران خليل جبران " الدهر والأمة " والحوار الذى دار بينهما اذ قال الدهر مخاطبا سورية:" ما أخذت منك يا سورية الاّ بعض عطاياى، وما كنت ناهبا قط، بل مستعيرا أردّ، ووفيّا أرجع، واعلمى أنّ لاخواتك الأمم نصيبا باستخدام مجد كان عبدك، وحقا بلبس رداء كان لك.. انّ ما تدعينه انحطاطا يا سورية أدعوه نوما واجبا يعقبه النشاط والعمل، فالزهرة لا تعود الى الحياة الا بالموت، والمحبة لا تصير عظيمة الا بعد الفراق.. الى اللقاء يا سورية الى اللقاء ". فتساءلت سورية: هل من لقاء (مع المجد) يا ترى هل من لقاء؟.

ولم يطل الزمن حتى التقت سورية بالمجد من جديد مع سعادة ـ الحركة القومية الاجتماعية.

لقد أعادت زوبعة الحركة القومية الاجتماعية " الاتحاد المتين فى الحركة الواحدة الحقيقية الفاعلة بين المركز والدائرة. فأخرجت الأمة السورية من الجمود الى قوة الحياة الفاعلة، والى قيادة العالم من جديد نحو مبادىء الخير العام، والسلام الدائم،

القائم على احترام الحقوق القومية، وتفاعل الثقافات، وتبادل المصالح، وتدمير كل ما يعرقل مسيرة الحياة الانسانية فى اتجاهها نحو أسمى مراتب الكمال والجمال فى وجهيهما المادى ـ الروحى (المدرحى).

أعاد سعاده بالحركة القومية الاجتماعية دور الزوبعة الى مركزها الكونى، الذى كان لها قبل مراحل الانحطاط والاستعمار والغزو اليهودى، التى تعرضت له الامة السورية فى جزء كبير من تاريخها الجلى، يقول سعاده: ".. اننى قد آمنت حقا، واننى عملت حقا بايمان : آمنت أنّ الأمة السورية فن وإبداع لا مادة يتصرف بها فنان مبدع، آمنت أنّها أمّة فنّ، أمة خلق، أمّة تنظر الى الكون نظرة فاهمة واعية، مدركة، فيها قوة التسلط على الكون، قوّة التسلط على ما يقدّمه الكون، فتستخدمه فى فنّها للسمو والجمال والخير. ابتدأ الإبداع بالوعى والادراك والفنّ، فلا إبداع الا بوعى وفن وادراك. وهذا الوعى الذى يسير بنا من حضيض سقطت اليه هذه الأمة، متجرّدة عن حقيقتها وضاع فيه وجودها، الى مرتبة تستعيد فيها حقيقتها وقوّتها، ونظرها الفاهم، وامكانياتها العظيمة، متحرّر من قيود الظلم والانحطاط، فتنهض قوّة عظيمة تريد أن تقبض على ما حواليها، وأن تحارب كلّ قوّة تحاول اعتراض طريقها وصدّها. ان هذه النهضة تمثل انتصارا على اللاوعى، تمثّل انتصارا على الجمود، انها نهضة تعيد الذات الى حقيقتها، تعيدها لتكون قوّة فاعلة لا مادة يفعل فيها، فهى، من هذه الناحية تمثّل انتصارا روحيا عظيما هو الشرط الأول فى سبيل الانتصار المادى.

واننا بهذه النهضة قد انتصرنا على اللاوعى، لأننا حركة لا عدم، فالعدم ليس معناه انعدام المادة الجامدة بل معناه انعدام الحركة. والحركة نشاط وتقدم، وشرط الحركة فى الإنسانية ان تكون حركة ذات قصد. واننا نحن وحدنا، هذه القوة الجديدة فى هذه الأمة الفتية، بعد شيخوخة قد نهضنا حركة ذات قصد. ومن حيث أننا حركة ذات قصد، نحن نفس انسانية متحركة وقوة ذاتية فاعلة، لذلك نحن نسير ونتغلب على كلّ ما يعترض حركتنا من صعوبات. انّ فينا جوهر الأمة، وجوهر الأمة هو الخلق والابداع والتفوّق، وقد

وصلنا الى هذا الانتصار بعد المعارك التى مضت،لأننا نسير الى أعظم هن هذا الانتصار، اننا وصلنا الى هنا فى مرحلة من مراحلنا لا الى الغاية التى ننشدها نحن فى الطريق الى غاية عظمى لهذه الأمة، نسير اليها مؤمنين واثقين ببلوغها ليس لأنّ كلّ من سار على الدرب وصل، بل لأنّ من يصل الى الغاية هو الذى يعرف الغاية ويعرف الدرب.

نحن قد نهضنا وارتفعنا فوق الجزئيات الحقيرة لأننا نعرف هذه الأمة خلودا فى آيات خالدة، فنحن نسير الى هذا الخلود، الى هذه الغايات الخالدة هذه هى حقيقة هذه النهضة المؤمنة بنفسها، المؤمنة بشخصيتها. هذه هى حقيقتها، فاذا قلت، لو شئنا أن نفرّ من النجاح لما وجدنا مفراً، قلت حقيقة بسيطة، فعلية خالية، من أي تبجح

■ ■ ■

النازية والصهيونية

3

□□

هناك كلام قيل فى الآونة الأخير بما معناه أن إسرائيل تتصرف كما كان النازيون الألمان يتصرفون تحت زعامة هتلر، فهم يقتلون ويرتكبون المذابح فى كل مكان ضد العرب، واليهود يضطهدون العرب بنفس الأسلوب الذى كانوا يضطهدون به السيد المسيح عليه السلام منذ ألفى سنة، واليهود قوم ظالمون وخارجون على القانون والأخلاق إلى ما هنالك من هذا الكلام. بمناسبة الذكرى الثالثة والخمسين لاغتصاب فلسطين، والنكبة، الآن هناك كلام كثير عن مقارنة الصهيونية بالنازية والبعض يعتقد بأن هذه الحركة أصبحت أبشع بكثير من النازية برأيهم، هل هناك فرق بين هاتين الحركتين؟ هل هناك إجحاف؟

عندما نتحدث عن التعاون الصهيونى النازى فإنما نعود إلى الثلاثينات والأربعينيات، أى إلى مرحلة اغتصاب فلسطين، وهنا لابد من الحديث على مستويين: مستوى منطقى، ومستوى توثيقى.

على المستوى المنطقى نطرح السؤال: ما هى الصهيونية؟ وما هى النازية؟ أو بالأحرى ما الذى ندينه نحن فى النازية؟ هل ما ندينه هو نظام اقتصادى، أو نظام سياسى، أو ما ندينه نحن بالدرجة الأولى الصهيونية هو نقطتين أساسيتين:

الأولى: العرقية أو العنصرية، الإيمان بتفوق العرق الآرى على سائر الأعراق فى العالم.

الثانية: نتيجة لهذا الاعتقاد إعطاء الذات القومية الحق فى التوسع العسكرى على حساب الآخرين باسم التفوق. هاتان هما النقطتان الأساسيتان اللتان تشكلان موضع الإدانة فى النازية. الا توجد هاتين النقطتين بالضبط فى العقلية الصهيونية، فى العقيدة الصهيونية؟ أو بالأحرى ألم توجد لأن "لم" تعود إلى الماضى فى العقلية الصهيونية وفى العقلية اليهودية منذ أسفار التوراة.. توراة اليهود؟ عقيدة الاختيار هى أساس من أسس قيام المشروع الصهيونى، وحق التوسع لسنا بحاجة للمناقشة لأننا نعيشه، وطرد الجويين من أرض إسرائيل موضوع معاش سمعناه ونعيشه باستمرار هذا على مستوى التحليل التبسيطى المنطقى، على مستوى النصوص أعود إلى عدد من مفكرى اليهود والألمان أنفسهم بدءاً بـ (نحاحوم جولد مان) الشخصية الأشهر يقول: "أن هناك هوية أساسية لدى الألمان النازيين وبين اليهود هى: حس الانتقائية ومواجهة المصير المشترك كمهمة إلهية". هذا كلام (جولد مان)، الكاتب (ميشيل راشلن) يقارن بين مقتطفات من "كفاحى" ومقتطفات من بعض أسفار التوراة اليهودية ليصل إلى نتيجة قالها (ستراشر) فى محاكمة (نورمبرج) عندما سُئل: أين تكمن الجذور العقدية للنازية؟ قال: "فى سفر يشوع". هذا فى النص محاكمة نورمبرج، ولكن (راشلن) بالمقارنة يصل إلى ذلك. كاتب آخر هو (بيير جيرى بارى) له كتاب اسمه": "Le soir du mission كاتب يهودى ـ يقول بالحرف: "شئنا أم أبينا فقانوننا قانون عرقى، بل أنه القانون الكلاسيكى النموذجى للعرقية، لأنه النص الأقدم والأكثر عنفاً الذى يبشر بعرقية أيديولوجية حتى أقصى حدودها، صحيح أن البشر لم ينتظروا التوراة ليقتتلوا، ولكن ما من نص جعل المذابح فرضاً دينياً بسبب عدم نقاء عرق الآخر.. عرق الطرف المواجه قبل التوراة". فى ١٩٣٥ صدرت مجلة "لى كو" فى فرنسا وفيها حوار مع (روزن برج) منظر النازية، ويقول فه أنه يؤيد الصهيونية ومعجب بها لتماثلها مع النازية.

صحفية النازيين.. صحيفة الأجهزة السرية النازية " "Das schwars skorps الألمانية تقول أيضاً فى عام ١٩٣٥م: "تجد الحكومة نفسها على اتفاق تام مع الصهيونية لرفضها الاندماج، ولذلك ستتخذ التدابير التى تؤدى إلى حل المسألة اليهودية".

كاتب يهودي آخر أيضاً (سولفريد) يقول: "لقد قدمت النازية فرصة تاريخية لتأكيد الهوية اليهودية واستعادة الاحترام الذى فقدناه بالاندماج، إننا مدينون لهتلر وللنازية". الحاخام(برينر) نائب رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، هذا أيضاً شخصية رسمية، يقول ١٩٢٤م: "نحن نريد استبدال الاندماج بقانون جديد، الاعتراف بالانتماء إلى العرق اليهودى والأمة اليهودية لأن أمة مبنية على نقاء العرق الألمانى لا يمكن إلا وأن تكون محترمة ومؤيدة من قِبَل اليهود الذين يعلنون أنهم كذلك، ولا يمكنهم بالتالى أن يدينوا بالولاء والانتماء لأية أمة أخرى.

فالتعاون الصهيونى النازى وصل سنة ١٩٣٥ عند إعلان قوانين نورمبرج التى نلاحظ فيه مطالبة يهودية بقوانين تفصل، وفعلاً أيّد اليهود على لسان حاخاماتهم، وعلى لسان مسؤول اتحاد صهاينة ألمانيا، وعلى لسان نائب رئيس الاتحاد الصهيونى الدولى، المنظمة اليهودية الصهيونية الدولية، أيدوا قوانين نورمبرج لأنها تسهل عملية الترانسفير، وهنا لابد من أن نصل إلى قضية خطيرة ومهمة جداً جداً جداً هى قضية "الهافارا"، هذه القضية التى يعتم عليها الإعلام والباحثون، والتى يخاف منها اليهود أكثر من موضوع: الهولوكوست.

الهافارا: هى الاتفاق الاقتصادى الذى عُقد عام ١٩٣٣م واستمر حتى عام ١٩٤٢م تنفيذه لتهجير يهود ألمانيا إلى فلسطين، وفعلاً فى البداية كان اقتراح من مدير شركة الاستيطان بأن يفك الحصار عن ألمانيا ـ بعد أن كانت الدول الأوروبية فارضة حصارا ـ بالطريقة التالية:

أن يودع اليهودى الذى يريد الهجرة إلى فلسطين أمواله فى بنك فى ألمانيا، هذا البنك يشترى بها آلات زراعية وآلات عسكرية ومعدات ويرسلها إلى فلسطين، وهنا يأتى المزارع فيستعيد ثمنها من بنك فى فلسطين، والهافارا معناها "الترانسفير" Transfert، عندما وصلوا إلى هذا الاتفاق احتجت المنظمة الصهيونية لأن هذا الاتفاق حصل مع شركة خاصة، فعاد (هيدرج) الألمانى ودعا مسؤول المنظمة الصهيونية العالمية مع رئيس

الشركة الخاصة التى كانت عرضت مع (حاييم أورلوزوروف) الذى أرسله (بن جوريون) خصيصاً لهذه الغاية، أربعة مسؤولين صهاينة مع اثنين ألمان وعُقد الاتفاق، ووُقّع فى برلين، وبمقتضى هذا الاتفاق حصلت عملية الهجرة ونقل "الرساميل" من ألمانيا إلى فلسطين.

قضية ترحيل اليهود إلى مدغشقر

فى استعراض سريع جدا: ٣٠ يناير١٩٣٣ وصل هتلر إلى السلطة، ٥/ مارس أخذ أكثرية "بالبونستاج"، ١٢ مارس أعلنت المقاطعة.. المجلس اليهودى الأمريكى أعلن مقاطعة ألمانيا، الأول من نيسان: اتخذه هتلر يوما رمزيا لمقاطعة اليهود، بنيسان نفسه حصلت حادثة مهمة جداً هى رحلة قام بها ضابط نازى مع زوجته مع شخص يهودى مع زوجته إلى فلسطين مشهورة برحلة (تاتش لار - منجلستان) جاؤوا إلى فلسطين لدراسة كيفية تهجير اليهود إلى فلسطين، وتمت هذه الرحلة بـ ٢١ يونية وجّه الصهاينة Memorandum أول لهتلر، ١٤ يوليو صدر قانون الجنسية، ٧ أغسطس وقعت "الهافارا" التى تحدثنا عنها، ٣٠ آب اعترضت الجمعية المركزية للصهاينة، فى أكتوبر فُتح خط مباشر بين "هامبورج" و"حيفا" بغرض التهجير وبإشراف حاخامية هامبروج. وفى سنة ١٩٣٥ صدرت صحيفة "الأجهزة السرية" الألمانية تقول فى افتتاحيتها: لم يعد بعيداً الوقت الذى تصبح فيه فلسطين قادرة على استقبال أبنائها الذين فُصلوا عنها منذ أكثر من ألف عام ترافقهم تمنياتهم الطيبة.

إنه لم يكن مقصود التهجير إلى مدغشقر، لأن شرط "الهافارا" هو ألا تمنح تأشيرات السفر إلا إلى فلسطين، بمعنى أن هناك اتفاق ليس بالصدفة، بمعنى بحثنا عن مدغشقر فوجدنا الطريق مقفلة فرحنا إلى فلسطين، لا... القضية كانت مبرمجة ومتفق عليها، لذلك ظل خط هامبورج - حيفا يعمل حتى سنة ١٩٤٢ وأنشئ مكتب خاص للهجرة فى (الجاستابو) نفسها.

بعد بداية الانتفاضة بثلاثة أسابيع فقط كتب شيمون بيريز فى صحيفة "معاريف" يقول: "للمرة الأولى نخسر المعركة لأننا خسرنا الإعلام". وقد استعارت مجلة "لبوان"

الفرنسية مقولة بيريز هذه لتبنى عليها موضوعاً طويلاً على امتداد ثلاث صفحات عن تحول الإعلام الغربى تجاه ما يحصل فى فلسطين. لا نقول أن هذا التحول هو تحول كامل، هناك اللوبيات اليهودية المسيطرة والتحول لا يكون بمسحة رسول يعنى بيوم وليلة.

المحور الثانى: أسطورة المحرقة وحقيقتها

يقول الدكتور إبراهيم علوش: أن أسطورة المحرقة لها ثلاثة جوانب:

أولاً إدعاء سياسة الإبادة الجماعية النازية ضد اليهود.

ثانياً: ادعاء مقتل ستة ملايين يهودى فى الحرب العالمية الثانية.

ثالثاً: ادعاء غرف الغاز.

أهم جانب فى أسطورة المحرقة هو خرافة غرف الغاز، لأن غرف الغاز هى المكان الذى يفترض أن اليهود أبيدوا فيه، فإذا أثبتنا عدم وجود غرف غاز ـ وهذا هو ما فعله المؤرخون المراجعون بالعلم والحجة ـ تنهار أسطورة المحرقة بكاملها، نعم قضية المحرقة ليست مجرد قضية تاريخية، بل قضية سياسية وإعلامية راهنة. أهمية الأساطير التى تدور حولها المحرقة بالنسبة للفلسطينيين والعرب والمسلمين أنها:

أولاً: المحرقة تبرر الحاجة لوجود دولة الاحتلال الصهيونى بحجة أن اليهود بحاجة إلى دولة خاصة بهم تعطيهم ملجأ آمنا.

ثانياً: أنها تبرر عدم التزام الحركة الصهيونية بقوانين الأمم المتحدة والشرائع الدينية والدنيوية بحجة أن ما مرّ به اليهود فى المحرقة المزعومة يعطيهم الحق نوعاً ما ببعض التساهل فى تطبق القانون الدولى عليهم.

ثالثاً: أنها وسيلة لابتزاز الدعم المالى والسياسى من الرأى العام تحت تأثير عقدة الذنب الجماعية التى يجب أن يعيشها هذا الغرب بسبب المحرقة المزعومة.

كشخص عاش فى الولايات المتحدة أكثر من ثلاثة عشر عاماً أعرف أن الغربيين يعرفون الكثير من الحالات عن انتهاكات دولة العدو لحقوق الإنسان لعربى والأرض

العربيـة، ولكنهم يتساهلون إزاءها بسـبب المحرقة المزعـومة، تتحـدث لهم عن شـىء يقولون لك دائماً المحرقة.

ومن هنا تتبع الأهميـة الإعلاميـة والسياسـية للمراجعين الذين يكشفون زيف أسـاطير المحـرقـة، هؤلاء ليـسـوا بنـازيين، هؤلاء ينزعـون السـلاح الإعـلامى الأقـوى فى الترسـانة الصهيونيـة من الغرب وهذا يسـاعدنا. بالنسبـة للمثقـفين العرب الذيـن طالبوا الحكومـة اللبنانيـة بمنع مؤتمر "المراجعـة والصـهيـونيـة" فى بيـروت، هؤلاء خـانوا دورهـم كمثـقـفين، لأنهم طالبـوا حكومـة عـربيـة بمنع نشـاط ثقـافى، وثانيـاً خـانوا دورهـم كـمثـقـفين عـرب سياسياً، لأنهم عوضـاً عن مواجهة الصهيونية اصطفوا إلى جانبها وتبنوا خطابها، كما يفعل الأستاذ عفيف الآن، الذى يبرر وجود دولة العدو والسياسة الصهيونية عموماً.

فقبول المحرقة هو جوهر التطبيع الثقـافى مع العدو الصهيونى، وهذا عندما يتحدثون عن حوار الآخر وفهم الآخر هذا فى جوهره محاولة لتوصيل أساطير المحرقة للعرب كما حـصل فى الغـرب. وطبـعـاً هنا تجب الإجـابة عن سـر التـقـاطـع هذا بين المؤسـسـات الصهيونيـة وبين موقف المثقـفين الـ ١٤ (يقـصد بالمثقفين ١٤، المجـموعة التـى وقعت على عريضـة مطالب تطلب من الحكومة اللبنـانية إلغاء مؤتمر المراجعة التاريخيـة للصهيونية، ومنهم ـ للأسف ـ: محمود درويش، أدونيس...).

حـرية البـحث الذى صادرها قـانون (فـابيـوس جايسو) الذى يمنـع حرية البـحث. تقول المادة (٢٤) بالحـرف من حـرية الصـحـافـة: يعـاقب بالعقـوبات المنصـوص عليهـا فى قـانون حـرية الصحـافة بالسـجن والغـرامة كل من راجع جـريمة بحق الإنسـانية كمـا نصت عليهـا نتائج محكمة (نـورمبرج). فـمحكمـة نورمبـرج نصت على أن مذبحـة (كاتين) فى (بولـونيا) ارتكبـهـا النازيون عـام ١٩٩٠م بعد سـقـوط الجـدار، هكذا اكتـشـفت الحـقـيـقـة أن مـذبحـة كاتين ارتكبـهـا (بيرا) قـائد (ستالين). إذاً كيف لا نـراجع نتـائج محـاكمة "نورمبـرج" والوثيقة التـاريـخـيـة بينت أنهـا كـذب؟ إن بعض الجـرائم ألصـقت زوراً وبهتـانـاً بهتلـر والنـازية، لأن التاريخ يكتبه المنتصرون ويكتبه الأقوياء دائماً.

نقطة أخرى مهمة جداً، يقول أن هؤلاء المؤرخون الجدد هم الذين برهنوا للعالم أنه أرض بلا شعب.. شعب بلا أرض، الانتفاضة الأولى ـ وهذا قرأناه مئات المرات فى الإعلام الغربى ـ والانتفاضة الثانية، الفلسطينيون بصدروهم العارية، بأذرعهم الفارغة إلا من الحجارة هم الذين برهنوا أن أرض فلسطين لها شعبها وليست أرضاً بلا شعب. المؤرخون الجدد مع احترامى للبعض منهم هذا الموقف الانهزامى الضعيف نحن الذين برهنا أن هذه البلاد بلادنا وليس مؤرخ ومؤرخان.

يقول المؤرخ والمراجع الفرنسى الشهير روبرت فوريسون، ردا عن سؤال بأن هناك من يقول بأن عمليات المراجعة لتاريخ الصهيونية والحرب العالمية الثانية والمحرقة (الهولوكست) يضر بالقضايا العربية إلى أبعد الحدود وليس من مصلحتنا؟

يقول روبرت فوريسون: العالم العربى والعالم الإسلامى وفلسطين تناضل ضد الصهيونية، ما هو الأخطر بالنسبة للصهيونية وهو مراجعة التاريخ وهو ما أسميه "السلاح الذرى للفقراء"، أى مراجعة التاريخ والذى يثبت فيما يتعلق بالحرب العالمية الثانية بأن حقائق صعبة ومريرة بالنسبة للصهيونية، لقد أثبتنا ونحن نثبت دائماً بأنه لم يكن هناك مذبحة أو محرقة لليهود ولم يكن هناك غرفاً للغاز لليهود، ومن أن الرقم الستة ملايين ضحية هو عبارة عن مبالغة.

أضاف روبرت فوريسون: إذا أراد العرب أن يتقوا شر اليهود والصهاينة بالطبع فإن من مصلحتهم هو ألا يتحدثوا عن مراجعة التاريخ، هذا شىء واضح. ولكنى أقول شيئًا يمكن أن تتحققوا منه، وهو إذا فعلاً إذا أردتم أن تدافعوا عن فلسطين فإن ذلك لن يتم بالبنادق وبالمدافع ستستطيعوا أن تفعلوا ذلك، وإنما عن طريق قول الحقيقة حول أكبر كذبةٍ فى القرن العشرين والقرن الحادى والعشرين وهى كذبة المحرقة، سأعطيكم مثالاً: فى القدس يوجد هناك نصب "ياد فاشيم" نصب المحرقة وقد أقيم من أجل ضحايا المحرقة. اليهود والصهاينة يتحدثون دائماً عن المحرقة، وباسم المحرقة حصلوا على سلطة كبيرة للغاية ويحصلون على أموال كبيرة ـ مقابل ذلك ـ من كثير من الدول وفى

مقدمتها ألمانيا والولايات المتحدة، إذاً حافظتم على هذه الكذبة فإنكم لن تقوموا بخدمة الفلسطينيين، يجب عليكم أن تقاتلوا بشكل جيد فى هذا المضمار".

إن المراجعين ـ أو المدققين هم من اليمين وأقصى اليمين على سبيل المثال: (ميشال دوبوار)، (رسييه) (سارجتيون)، (بيير جليوم)، وأقصى اليسار. (ميشال دى برا)، (هنرى روكيه) يمين.. أقصى اليمين. (دانيال كول)، (لوجو فيتش) (جون ساك) يهود.

المراجعة التاريخية ليست أيديولوجيا، هى منهج بحث علمى، ولذلك هى تضم فى صفوفها: يسار ويمين وأقصى اليمين وأقصى اليسار ويهودًا وأوروبيين وأميركيين، فيها من كل الأطراف، ولكن إلصاق تهمة أقصى اليمين بالمراجعة لاستثارة مشاعر العرب ـ أولاً ـ تجاه أقصى اليمين ومشاعر اليسار الدولى. ولكن من يريد أن يطلع على الأسماء يعرف ذلك.

بالنسبة لندوة بيروت لم تكن حول المراجعة التاريخية والهولوكوست، عنوان الندوة الذى غيبه الإعلام عن قصد كان "الصهيونية والمراجعة"، ومعظم الأبحاث تبحث فى الصهيونية، تبحث فى تاريخ الصهيونية هى تراجع تاريخ الصهيونية وليس الهولوكوست، ورقة (سيرجيتيون) من ٢٠ صفحة فيها فقرة واحدة بآخرها عن الهولوكوست، وإذاً كانت ندوة حول الصهيونية فلمصلحة مَنْ منعها؟

بحسب جملة لـ: روجيه جارودى "إن حصر جريمة هتلر باليهود هو تقزيم لجريمة النازية لأن جريمة النازية هى بحق خمسين مليون إنسان، وليس بحق اليهود وحدهم" مشكلة المراجعين تكمن فى ثلاث نقاط أوردها الدكتور إبراهيم علوش هى قصتنا الآن، غرف الغاز، وقصة ثالثة مهمة جداً هى "قصة الفرادى"، ما يسمى بالفرادى أو بالخصوصية، مؤخرا حصلت مظاهرة فى فرنسا أمام قصر العدل، أولاد ضحايا فرنسيين غير يهود طالبوا الحكومة بأن تحدد لهم تعويضات أسوةً بأولاد الضحايا اليهود، فتظاهر اليهود أمام باب المحكمة، وشتموا القاضى ـ كما لم يحصل سابقاً فى فرنسا ـ وصرح (سيرجى كلارس فيلد): "إن الضحايا اليهود هم فصيلة تتمتع بالأولوية لا

يجوز مساواتها بباقى الضحايا". الحكم الذى صدر بحق جارودى كان على جملة واحدة، قال فيها: "إن قتل برىء واحد سواء كان يهودياً أم غير يهودى هو جريمة بحق الإنسانية"، لقد اعتبرت المحكمة أنه سواءً كان يهودياً أم غير يهودى هو تقزيم للجريمة لأنه ساوى اليهود بالآخرين،. بغير اليهود، وهم شعب الله المختار.

كلمة الهولوكوست خطأ أن نستعملها لأنها تعبير دينى يهودى. يعنى حرق، حرق الضحية حتى الرماد لكى يستجيب الله للتعويض، ولذلك يقول الحاخامات أن إسرائيل هى رد الله على الهولوكوست، فإذن الاستغلال يتم على صعيد مالى (ناحوم جولدمان) يقول: "لم يكن لى أن أتصور قيام إسرائيل لولا التعويضات، استلمت إسرائيل قبل شهر واحد خمسة غواصات نووية ألمانية، دفعت ثمن واحدة منها فقط، وأثمان الباقى اعتبرت تعويضات.

هذا قبل شهر، إذن هناك الاستغلال المالى، هناك الاستغلال الثقافى الذى تجلى فى تهويد الثقافة الغربية وتهويد المسيحية الغربية، "فرسان الماضى"، عقدت ندوة على هذا الموضوع، والثالث هو الابتزاز السياسى كما رأينا مع رئيس الوزارة.

الآن تهويد للعقل العربى، إذاً المراجعون لا يبرؤون النازية، نحن ندين كل العنصرية بما فيها النازية والصهيونية.

النقطة الأخرى معاداة السامية، فهذا سيف يستل فى وجه كل من يعارض إسرائيل، ولكن هذا السبب هنا يجب أن ننتبه له، هذا السبب الذى يجعل اللوبيهات الصهيونية والمؤسسات ترتعد من انتشار المراجعة فى الأوساط العربية، لأنه عند العرب لا يمكن اتهامنا باللاسامية، إنهم لا يستطيعون أن يتهمونا باللاسامية، نحن الساميون، كيف يتهموننا بالسامية؟!

يقول الحاخام (كوبر) فى (ميامى هيرالد)، فى مقال جاء بآخره: "إن أخطر ما فى القضية أن ينتشر هذا الفكر فى الشرق الأوسط لأن عند ذلك سيسبب أعمال عنف لا يمكن أن تحصل فى أوروبا". فهم واعون تماماً لهذه القضية.

تعاطى الإعلام العربى والعالمى للصهيونية

بن جوريون كان يقول أن يهود المنفى يستحقون ذلك (أى المحرقة)، حتى (شيمون بيريز) فى كتابه (حوار طويل) Un Long Dialogue، بالفرنسية يقول: "أن يهود المنفى الذين يرضون بالاندماج يستحقون ذلك". هذه نظرية يهودية صهيونية، ليس فقط عوفاديا يوسف يستحق برأيهم المحرقة وأكثر ولكننا نعود فنكرر: ليس هناك محرقة يهودية، هناك محرقة فلسطينية تجرى الآن، ومن العيب التآمر عليها بتكرار مقولات الإعلام الغربى.

يقول السيد مازن العليوى من السعودية (عن صحيفة الوطن ـ ن): تُقدم اليوم رؤية حقيقية مدى التخبط الذى تعيشه الساحة الثقافية فى بعض أشخاصها ... وكذلك عن خفايا بيان المثقفين الذين يرتبطون بالمراجعة التاريخية... الذين وقعوا البيان لرفض المواجهة التاريخية من خلال عدم ربطه بالقضية الفلسطينية مما يقود إلى فارق الرؤية والتفكير ما بين الداخل والخارج، فمن فى الداخل يرى المسألة بشكل مباشر: معاناة حقيقية ومن فى الخارج ينظر إليها على أنها بعد فى النظر. ولكن الشارع العربى ضاع بين التيارين فى دوامة أو بين الإشكاليتين:

إشكالية البيان وإشكالية جديدة ظهرت مؤخراً هى الترجمة إلى العبرية، والإشكاليتان تتعلقان بالصهيونية من قريب أو من بعيد مع ملاحظة تكرار بعض الأسباب فى الحالتين، والحقيقة التى لمستها عن قرب فى صحيفة "الوطن" السعودية التى طرحت الإشكاليتين عبر المداخلات التى وصلتنا من القراء، وهى أن المثقفين الذين صنعوا الإشكاليتين فى واد والشارع العربى فى واد آخر.

المثقفون الذين نقدرهم ونحترم جرأتهم فى طرحهم وتوضيحاتهم التى نشرت جميعها لدينا، لكنهم قدموا بعض الثغرات، هذه الثغرات من المثقفين هى أنهم يطالبون بالقمع فى البيان بينما هم ينادون فى خارجه بحرية الفكر، ومطالبة الحكومة اللبنانية بمنع المؤتمر، وهذا بالتالى هو قمع ثم هل من حقهم تغييب القضية الفلسطينية على البيان

بحيث لم يُذكر عنها فيه سوى أنها ذريعة للمراجعين التاريخيين لإعادة كتابة تاريخ أوروبا، كما أن البيان أيضاً لم يقدر رد فعل الشارع العربى فاحتوى مصطلحات أطلقتها الصهيونية مثل معاداة السامية والـ نيو نازية.أو: النازية الجديدة.

بالإضافة إلى ذلك اتضح من إدوارد سعيد لدينا عدم اتفاقهم وتشويشهم على بعضهم بدليل أنه سمع البيان هاتفياً ووقع، لكنه فيما بعد علم بالمطالبة بمنع المؤتمر ولو علم هذا قبلاً لما كان بين الموقعين.

المثقفون الأربعة عشر قالوا أن تواقيعهم أخذت على الهاتف وقيل لهم أننا مستعجلين، ليس هناك وقت، لماذا كانوا مستعجلين؟ لكى تتمكن الحكومة اللبنانية من إلغاء المؤتمر، لأن المطلب، أو طلب إلغاء المؤتمر جاء من ثلاث منظمات يهودية وبضغط من الحكومة الفرنسية والحكومات الأوروبية عندما زيارة رفيق الحريرى إلى باريس لمناقشة قضية الديون، ولكن هذا المطلب كان بحاجة إلى غطاء عربى فطلب من واحد إنه يكتب بيانا. ويأخذ تواقيع (الـ ١٤) ويقال إنه محمود درويش ويقولون أنه دا إدمون إده الذى كان كتب البيان وأدونيس الذى اتصل بهم، ولكن للأمانة هذه النقطة يجب أن تذكر: البروفسيور إدوارد سعيد قال: "لقد خدعت من قبل المثقفين الفرانكفونيين فى باريس ولم يقرأوا لى الفقرة المطالبة بالقمع، لأن الفقرة تقول حرفياً: "نحن متفقون عرب نطالب الحكومة اللبنانية بتوجيه الجهات المختصة لمنع إقامة المؤتمر". إدوارد سعيد يقول: لا يمكن أن أوقع على فقرة كهذه ... ولولا ذلك لما سمحت لنفسى.

من جهة أخرى، انتقل الجدل فى شأن كتاب "صناعة الهولوكوست" لليهودى الاميركى "نورمان فينكلشتاين" الى فرنسا، حيث صدر قبل أسبوع. وكان هذا الكتاب الذى يهاجم المنظمات الصهيونية فى اميركا، نشر فى تموز جويلية الماضى فى الولايات المتحدة وبريطانيا ثم فى المانيا.

ويركز على ان هذه المنظمات، بدءاً من المؤتمر اليهودى العالمى، تستغل معاناة اليهود من ضحايا المحرقة. ويعتبر ان صناعة حقيقية لهذه الذكرى نشأت منذ العام ١٩٦٧

واهدافها الرئيسية ابتزاز المال من أوروبا وتبرير سياسة إسرائيل الإجرامية حيال الفلسطينيين باسم وحدانية الإبادة اليهودية.

ويتهم فينكلشتاين، فى الكتاب الذى يقع فى ١٦٠ صفحة، هذه المنظمات بـ الابتزاز على حساب سويسرا والمانيا باسم ضحايا الهولوكست الذين يشتكون من عملية جديدة لانتزاع الملكية.

■ ■ ■

يوميات الحرب العالمية الثانية

4

□□

الحرب العالمية الثانية هى نزاع دولى بدأ فى ٧ يوليو ١٩٣٧ فى آسيا و١ سبتمبر ١٩٣٩ فى أوروبا وانتهت الحرب فى عام ١٩٤٥ باستسلام اليابان، تعد الحرب العالمية الثانية من الحروب الشمولية وأكثرها كُلفة فى تاريخ البشريةً لاتساع بقعة الحرب وتعدد مسارح المعركة، فكانت دول كثيرة طرفاً من أطراف النزاع. فقد حصدت الحرب العالمية الثانية زهاء ٦٠ مليون نفس بشرية بين عسكرى ومدنى.

تكبّد المدنيون خسائر فى الأرواح إبّان الحرب العالمية الثانية أكثر من أى حرب عرفها التاريخ، ويعزى السبب لتقليعة القصف الجوى على المدن والقرى التى ابتدعها الجيش الألمانى على مدن وقرى الحلفاء مما استدعى الحلفاء الرّد بالمثل، فسقط من المدنيين من سقط من كلا الطرفين. أضف إلى ذلك المذابح التى ارتكبها الجيش اليابانى بحق الشّعبين الصينى والكورى إلى قائمة الضحايا المدنيين ليرتفع عدد الضحايا الأبرياء والجنود إلى ٥١ مليون قتيل، أى ما يعادل ٢٪ من تعداد سكان العالم فى تلك الفترة!

الامتعاض من معاملة القوى المنتصرة لألمانيا وسوء وتردى الأوضاع الاقتصادية بسبب التكاليف الباهظة والديون التى تكبّدتها ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى وإبرام معاهدة فيرساى والكساد الاقتصادى العالمى أهّل أدولف هتلر وحزبه اليمينى المتطرّف إلى الأخذ بزمام الأمور واعتلاء كرسى الحكم فى ألمانيا. ثم قام هتلر بتحدّى المعاهدات المبرمة بين ألمانيا والحلفاء بعد الحرب العالمية الأولى بالعمل على تطوير الجيش الألمانى وحشد القوات والعتاد على الحدود الفرنسية الألمانية والاتحاد مع النمسا وضم أجزاء من تشيكوسلوفاكيا بمباركة أنجلو ـ فرنسية.

في العام ١٩٢٢، وصل "بينيتو موسوليني" وحزبه الفاشي إلى دفّة الحكم في إيطاليا، ويتّفق كل من الحزب الفاشي بقيادة موسوليني والحزب النازي بقيادة هتلر في بعض الأهداف الإيديولوجية، فشكّل الاثنان اتفاقية جمعت بلديهما وسمّيت الاتفاقية بالمحور في العام ,١٩٣٦ أما فيما يتعلّق بالجانب الشرقي من العالم، فقامت الإمبراطورية اليابانية بغزو الصين في سبتمبر ,١٩٣٦ وبالرغم من معارضة الحكومة اليابانية للغزو، إلا أن الجيش الإمبراطوري الياباني لم يعبأ بمعارضة حكومة بلاده ومضى قُدُماً في غزوه للصين.

في العام ١٩٣٩، قام هتلر بالمطالبة ببعض من أراضي بولندا وقام بالتوقيع على اتفاقية "عدم اعتداء" بين ألمانيا والاتحاد السوفييتي كردة فعل على اتفاقية الدّفاع المشترك بين كلّ من بريطانيا - فرنسا وبولندا. وفي الأول من سبتمبر ١٩٣٩، قامت القوات النازية بغزو بولندا، وبعدها بيومين، أعلنت كلّ من بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا. وفي غضون أسبوعين من الغزو النازي لبولندا، قام الجيش الأحمر السوفييتي بغزو بولندا هو الآخر. وقبل أن يتسنّى للجيش البريطاني والفرنسي من تشكيل هجوم على بولندا لدحر الغزو النازي لبولندا، كانت القوات النازية قد انتهت من السيطرة على بولندا وإنهاء مناوشات الجيش البولندي والنازي في غضون ٣ أسابيع.

المسرح الأوروبي

الثلاثة الكبار : ستالين، روزوفيلت، تشيرشلتسمّى الفترة التي أعقبت الغزو النازي لبولندا (أكتوبر ١٩٣٩) وحتى الغزو النازي لبلجيكا، وهولندا، ولوكسيمبورج، وانتهاءً بغزو فرنسا (مايو ١٩٤٠)، بالحرب المزيفة لعدم مشاركة القوى العظمى في مسرح العمليات واقتصار المعارك في المسرح الأوروبي على القوات النازية وصغار الدول بالرّغم من إعلان الحرب على ألمانيا النازية من قبل بريطانيا وفرنسا.

تحرّكت القوات النازية والروسية من بولندا واتّجه الجيش الأحمر ليركز بشكل أكثر على دول البلطيق وفنلندا حيث دارت الحرب الشتوية التي شدّت انتباه العالم لانعدام

الأعمال العسكرية فى بولندا، بينما اتّجة الجيش النازى جهة الدنمارك والنرويج وعزّزت القوات الفرنسية مواقعها عل الحدود الفرنسية الألمانية، وباستثناء بعض المناوشات العسكرية بين القوات الفرنسية والألمانية، لم يكن هناك شىء يذكر لأن كل من فرنسا وألمانيا كانتا منهمكتين فى حشد الجنود والعتاد فى تلك الفترة. فى مايو ١٩٤٠، استعملت القوات النازية تكتيكاً عسكرياً جديداً سمّى بـ "الحرب الخاطفة" (١) مما مكن القوات النازية من السيطرة على فرنسا وهزيمة الجيش الفرنسى والبريطانى. وتقهقر الجيش البريطانى إلى مدينة "دنكيرك" الساحلية وترك أسلحته الثقيلة فى الساحة الفرنسية فقامت حكومة "تشرشل" باستخدام السفن العسكرية بل وحتّى التجارية فى إجلاء الجنود البريطانيين من الساحل الغربى لفرنسا. ولم يبق خيار للحكومة الفرنسية غير خيار الاستسلام للجيش النازى مما مكّن الجيش النازى من إحكام السيطرة على الشمال الفرنسى وتنصيب حكومة فرنسية موالية لألمانيا النازية فى الشطر الجنوبى من فرنسا.

لم يتمكن سلاح الجو الألمانى من هزيمة غريمه البريطانى فكان من الضرورى قهر سلاح الجو البريطانى ليتسنّى للألمان غزو الإنجليز، فاتّبع الألمان سياسة مكثّفة بالقصف بالقنابل على بريطانيا فيما تسمى بمعركة بريطانيا، أملاً فى إخضاع الإنجليز، وباءت محاولات الألمان بالفشل.

بالرغم من إتفاقية عدم الاعتداء بين ألمانيا والاتحاد السوفييتى، إلا أن ألمانيا قامت بغزو الاتحاد السوفييتى فى يونيو , ١٩٤١ فقد أخذ الألمان الروس على حين غرّة، وكسبت ألمانيا أراض روسية شاسعة وأسرت مئات الآلاف من الجنود الروس. وبعدما أفاق جوزيف ستالين مما ألمّ به، أخذ الروس فى إعادة ترتيب أوراقهم خصوصا أن الروس استطاعوا الاحتفاظ بعتادهم العسكرى الثقيل بعد رجوعهم إلى الوراء نتيجة الغزو الألمانى. استمات الروس وقدّموا الغالى والنفيس فى الذود عن العاصمة موسكو واستمر العناد الألمانى حتى فصل الشتاء. ولم يكن فى بال هتلر استمرار المقاومة الروسية حتى فصل الشتاء، إذ لم يتم تجهيز الجيش الألمانى وتزويده بخطوط الإمداد

لهذه الفترة. فمرّ فصل الشتاء على الجيش الألمانى بقسوة نتيجة التخطيط السىء لغزو موسكو. وبحلول فصل الربيع، احتار الألمان بين المضى قدما فى احتلال موسكو أم الاكتفاء بالسيطرة على حقول النفط القوقازية.

اختار الألمان السيطرة على حقول النفط القوقازية عوضاً عن احتلال العاصمة موسكو. وفى عام ١٩٤٢، سحقت القوات السوفييتية قوات المحور الأمامية فى الجنوب السوفييتى وقامت بتطويق الجيش الألمانى السادس فى معركة "ستالينجراد"، واستسلم ٣٠٠,٠٠٠ جندى ألمانى فى نهاية الحصار. كارثة ستالينجراد كانت نقطة التّحول فى مسرح العمليات الحربية الأوروبية وبداية العدّ التنازلى لهيمنة "الرايخ الثالث" على أوروبا. فبعد كارثة ستالينجراد، تكبّد المحور كارثة تونس التى هُزم فيها المحور وتم أسر ربع مليون جندى ألمانى وإيطالى من جنود المحور. استعمل الحلفاء شمال أفريقيا كنقطة انطلاق لقهر مارد المحور من الجنوب بعد إحكام القوات الروسية على الجبهة الشرقية.

سقطت إيطاليا بعد تحرّك الجيش البريطانى والامريكى إليها من شمال أفريقيا وبعد مقاومة شرسة من الجيش الألمانى للأراضى الإيطالية فى سبتمبر ,١٩٤٣

أحكم الحلفاء قبضتهم على المارد الألمانى ودول المحور ولم يتبق إلا عُقر دار الرايخ الثالث فى برلين، فقامت جحافل الجيش الأمريكى بالإنزال الشهير على شواطىء "نورماندى" فى ٦ يونيو ١٩٤٤ ونتج عن هذا الإنزال تحرير جُل فرنسا وبلجيكا، وهولندا، ولكسمبورج فى أواخر عام ,١٩٤٤ فى هذه الأثناء، وصل الجيش الأحمر إلى مشارف مدينة برلين من جهة الشرق، معقل الرايخ الثالث، وأُسدل الستار على ألمانيا النازية بانتحار هتلر، ثم استسلام ألمانيا استسلاماً غير مشروط فى ٧ مايو ,١٩٤٥

فقد حوالى ٧٠ مليون شخص حياته فى الحرب العالمية الثانية، حوالى ٢٠ مليون جندى و٥٠ مليون مدنى (التقديرات حول الرقم الصحيح تختلف). خسر الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية حوالى ١٢,٣ مليون عسكرى، منهم ٨ ملايين سوفييتى وخسرت قوات المحور ٧,٢ مليون عسكرى منهم ٥ ملايين ألمانى. كانت خسائر السوفييت هى

الأكبر فى الأرواح، فخسرت ما مجموعه ٢٨ مليون ضحية، منهم ٢٠ مليون مدنى و٨ ملايين عسكرى. وتشير التقديرات إلى أن الخسائر البشرية للحرب العالمية الثانية كانت موزعة بنسبة ٨٤٪ للحلفاء و١٦٪ لقوات المحور. عالم من الخراب.

فى نهاية الحرب،كان هناك ملايين اللاجئين المشردين، انهار الاقتصاد الأوروبى ودمر ٧٠٪ من البنية التحتية الصناعية فيها.

طلب المنتصرون فى الشرق أن تدفع لهم تعويضات من قبل الأمم التى هزمت، وفى معاهدة السلام فى باريس عام ١٩٤٧، دفعت الدول التى عادت الاتحاد السوفييتى وهى المجر، فنلندا ورومانيا ٣٠٠ مليون دولار أمريكى (بسعر الدولار لعام ١٩٣٨) للاتحاد السوفييتى. وطلب من إيطاليا أن تدفع ٣٦٠ مليون دولار تقاسمتها وبشكل رئيس اليونان ويوغوسلافيا والاتحاد السوفييتى.

على عكس ما حدث فى الحرب العالمية الأولى، فإن المنتصرين فى المعسكر الغربى لم يطالبوا بتعويضات من الأمم المهزومة. ولكن على العكس، فإن خطة تم إنشاؤها على يد سكرتير الدولة جورج مارشال، سميت "برنامج التعافى الأوروبى" والمشهور بمشروع مارشال، وطلب من الكونجرس الأمريكى أن يوظف مليار دولار لإعادة إعمار أوروبا، وذلك كجزء من الجهود لإعادة بناء الرأسمالية العالمية ولإطلاق عملية البناء لفترة ما بعد الحرب، وطبق نظام بريتون وودز الاقتصادى بعد الحرب. وكان الهدف من الاصلاحات الامريكية بأوروبا هو كسب دعم الدول الاوربية للقطب الغربى ومساهمتها فى منع انتشار الشيوعية بأوروبا خصوصا بعد ظهور مظاهر الحرب الباردة بزعامة الاتحاد السوفياتى - القطب الشرقى - وو.م.ا - القطب الغربى - ابتداءمن سنة١٩٤٦ إضافة إلى ان الاصلاحات كانت تهدف إلى اصلاح العلاقة ما بين و.م.ا والدول المنهزمة فى الحرب العالمية الثانية عكس الاتحاد السوفييتى الدى كان يطمح فى فكرة الانتقام من دول المحور التى كبدت الاتحاد السوفياتى خسائر بشرية واقتصادية فادحة كماان هده الاصلاحات تعتبر من العوامل الاساسيةللقرن٢٠ التى حافضت على النضام الراسمالى

بأوروبا الغربيةواعتبرت من العراقيل التى حالت دون انتشار الشيوعية بأوروبا الغربية ومستعمراتها بافريقية أدت الحرب أيضاً إلى زيادة قوة الحركات الانفصالية بين القوى الأوروبية، والمستعمرات فى أفريقيا، آسيا وأمريكا، وحصل معظمها على الاستقلال خلال العشرين عاما التى تلت الحرب.

■■■

هل كـان هتلر مجنوناً؟!!

5

□□

تحتفل الدول الاوروبية فى مثل هذا الوقت من كل عام «الثامن من مايو» بذكرى انتهاء الحرب الكونية الثانية التى حصدت ارواح ٦٠ مليون ضحية منهم ٢٧ مليوناً فى روسيا وحدها. والثامن من مايو يؤرخ له بانه اليوم الذى انتصرت فيه دول الحلفاء «الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا وروسيا الاتحادية وذلك عام ١٩٤٥م حيث وضعت الحرب اوزارها واذا كان الحلفاء يطلقون على هذا اليوم اسم يوم النصر فان ذلك اليوم هو النقطة الفاصلة التى انتهى معها الكابوس النازى بزعامة الفوهرير ادولف هتلر وهو رجل النازية غير الالمانى ذو الاصول النمساوية والذى عينه رئيس الرايخ الالمان باول فون هيندنبورج كمستشار للرايخ يوم ٣٠ يناير ١٩٣٣.

منذ هذا التاريخ وحتى هزيمة ألمانيا عام ١٩٤٥ شهد المسرح الدولى أبشع حروب القرن العشرين تحت ستار : محاربة البطالة والماركسية وخرق معاهدة فرساى التى اضطر الرايخ الألمانى الى توقيعها بعد الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ الى ١٩١٨ والتى بموجبها فقد الرايخ جزءاً كبيراً من أراضيه الأمر الذى دعا الفوهرير الى تكليف رجاله بالنظر فى امكانية تطوير المصانع الحربية حتى تستوعب عدداً كافياً من العاطلين الألمان الأصليين أو الآريين الى جانب تخطيط حربى يستهدف اعادة الاراضى الألمانية الى الرايخ الألمانى بحجة خلق مساحة كافية للألمان ليعيشوا فيها وتطلبت هذه الاجراءات تعديلات تستهدف الحكم المطلق والشمولى لهتلر ويمكن القول أن تاريخ ٢٧ فبراير ١٩٣٧ واحراق مبنى الرايخستاج البرلمان الألمانى مكن هتلر من اعلان حالة الطوارئ فى البلاد

والانفراد بالحكم بعد وفاة هندنبورج ليتولى هتلر رئاسة البلاد ويصبح الفوهرير كما كان يطلق عليه.... ليبدأ حقبة ألمانيا النازية العظمى.

وقد حاولنا من خلال » خط التماس« أن نرصد صورة هذه الحقبة التاريخية الهامة التى كان لها بدون أدنى شك عواقب على مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية... كما حاولنا من خلال لقاءات مع شخصيات عاصرت الحرب وشهود عيان أن نقترب من الحقيقة بقدر الامكان لا سيما وأن الكتابات المؤرخة للحرب العالمية الثانية كثيرة ومتعددة وربما تتفاوت فيها الحقائق ولكن يبدو أن الحقيقة الوحيدة من هذه الحقبة التى نقلتها أفلام هوليوود بشيء من الرومانسية ـ هى أن جنون الزعيم والفوهرير أدولف هتلر أسدل الستار على أكبر دولة فى أوروبا منذ القرن الـ ١٩ وهى.. الرايخ الألمانى..الذى أسسه بسمارك منذ عام ١٨٧١....وأغرق الألمان فى أكبر كارثة إنسانية شهدها التاريخ المعاصر.

وامام هذه الكارثة قد يكون من المنطق بمكان طرح بعض الاسئلة.. هل كان هتلر بكامل قواه العقلية... أم كان إنسانا مصابا بجنون العظمة؟

لماذا لم تتمكن أى معارضة ألمانية من الظهور فى هذا الوقت وهل صحيح أن الألمان أيدوا هتلر على مدى الطريق؟

ما هى حقيقة محارق اليهود أو الهولوكوست؟

وهل صحيح أن القائد الألمانى الكبير المعروف باسم » ثعلب الصحراء« أرفين روميل ـ طلب من الفوهرير الانسحاب أو الاستسلام؟؟

ومن هم ـ جوبلز ـ وشبير ـ وكاناريس ـ أسماء صنعت مع الفوهرير تاريخ ألمانيا النازية كما أنها شاركت فى الهزيمة وانهيار الرايخ الألمانى بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.

حرب بسرعة البرق

هتلر كان شخصية نرجسية.... كل ما يقوله بات دستورا للبلاد.. كان هتلر يحب »الكلام« فهو كثير الخطب سواء على منصة ميدان الرايخستاج فى قلب برلين التى كان

يرغب فى أن يجعلها » أم العواصم« فى العالم أو فى ميونيخ ومانهايم وكان الشعب الألمانى يستمع الى هذه الخطب باقتناع يفوق التصور يصاحبه تحية من القلب بل من قلوب الملايين للزعيم »هايل هتلر«!!

فى احدى هذه الخطب قال هتلر لشعبه إن البطالة تهدد كيان ألمانيا وأن معاهدة فرساى قسمت البلاد وأنه هو ورجاله سيعملون ليعيدوا مجد ألمانيا ولكى يكون لكل ألمانى مكان يعيش فيه هو وأسرته وأولاده وعمل يرتزق منه.. وعلى ما يبدو أن الألمان الذين هللوا للزعيم لم يكونوا على علم بأن طموحاته تعنى الاستيلاء على بولندة ـ (اعادة أراضى بروسيا الشرقية التى فقدها الرايخ الألمانى بعد الهزيمة فى الحرب العالمية الاولى وانتقال هذه الاراضى الى بولندة) ـ للحصول على أراض كافية يعيش فيها الألمان حتى أن المراسل الصحفى الأمريكى ـ ويليام شيرير ـ فى برلين آنذاك سجل تصريحات لأحد المقربين من الفوهرير وعضو الحزب النازى (هانس فرانك) قال فيها أنه يجب أن تجد أولا هذا الألمانى الذى يعارض اجتياح القوات الألمانية للأراضى البولندية أو الذى يعارض تدمير بولنده..!

أما هتلر فقد أمر بتجريد الطبقة الارستقراطية البولندية وترحيلها من البلاد والإبقاء على البولنديين من الطبقة العاملة.

ويوم الاول من سيتمبر ١٩٣٩ بدأت خطة هتلر فى اجتياح الاراضى البولندية بسهولة لاكثر من سبب:

أولا لأن هتلر ضمن الاتحاد السوفييتى وستالين بعد توقيع معاهدة عدم اعتداء بين البلدين مما أقلق كلاً من باريس ولندن وخيب أملهما فى ستالين ولو الى حين..

وثانيا: لأن خطة الاجتياح سبقتها ـ ألعوبة هتلرية ـ اذ قامت القوات الألمانية المتواجدة على الحدود مع بولندا »بتلبيس« رجلين متوفيين ملابس ضباط بولنديين وتم القاء الجثتين أمام محطة اذاعة »جلايفيتس« على الحدود البولندية الألمانية ما يشير الى أن قوات بولندية حاولت اجتياح الاراضى الألمانية مما يسمح بتحرك عسكرى نازى لحماية ألمانيا...

وبتاريخ الاول من سبتمبر بدأت السفينة الحربية الألمانية ـ شليسفيج هولشتاين ـ بضرب ميناء دانسيج البولندى فى محاولة لاستعادة القوات النازية للمدينة الساحلية ولمنطقة بروسيا الشرقية التى انتقلت الى بولندة بتاريخ ١٩١٩

وبعنصر المفاجأة وهو من أهم عناصر الحرب النفسية المستخدمة تمكنت قوات هتلر بدباباتها المتطورة من خرق خط القوات البولندية التى فوجئت باعلان حرب لم تكن مستعدة لها ووقعت بولندة فى يد القوات النازية.

فى هذا التوقيت أعلنت كل من فرنسا وبريطانيا الحرب على ألمانيا النازية فيما بقى الاتحاد السوفييتى بزعامة ستالين فى موقف المتفرج على الأحداث.. أما الولايات المتحدة فكانت لا ترغب فى التدخل فى أوروبا بعد الحرب العالمية الاولى الأمر الذى جعل الساحة متاحة أمام هتلر للاستيلاء على أراضى «الزوديت» فى تشيكوسلوفاكيا واجتياح النمسا حيث هلل المواطنون لـ«هايل هتلر» تحية للفوهرر الذى عاد منتصرا الى بلاده وضمها الى الرايخ الألمانى الذى أصبح يحمل اسم الرايخ الثالث. وبعد اعلان كل من باريس ولندن الحرب على ألمانيا النازية أعلنت كل من استراليا والهند ونيوزلندا الحرب على برلين الهتلرية وكان ذلك يوم ٣ سبتمبر بعد يومين من اجتياح بولندا وفى يوم ٦ سبتمبر أعلنت دول اتحاد جنوب أفريقيا الحرب على ألمانيا النازية فيما أعلنت كندا الحرب فى ٦ سبتمبر.

غير أن ذلك لم يثن عزيمة هتلر ورجاله لأنهم كانوا يخوضون الحرب ضد الماركسية تحت شعار «النصر للابد».

الجستابو

ومن أقوال شاهد عيان شارك أيضا فى الحرب على بولندة أن الشعب الألمانى كان يستمع الى هتلر كما استمع الاوروبيون فى الخمسينات والستينات الى ـ ماريا كالاس ـ احدى مطربات الاوبرا العالمية.. وقال إن اتهام الألمان بأنهم أرادوا ابادة الشعوب هو اتهام فى غير محله لأن مشكلة ألمانيا اتسمت فى اعادة أراضيها التى تم «الاستيلاء» عليها بعد

هزيمة الرايخ الألمانى فى الحرب العالمية الاولى وتوقيع معاهدة فرساى... منطقة الراين أصبحت تتبع فرنسا ولكن هتلر اجتاح بقواته هذه المنطقة التى كانت تعتبر منزوعة السلاح وذلك فى عام ١٩٣٨ أى قبل دخول القوات الألمانية الى بولندة.

وأضاف يقول : أن جنون العظمة الذى كان يلاحق هتلر هو سبب هزيمة الألمان واعتبر أنها خسارة أن هتلر لم يستفد من حلفائه فى ايطاليا حيث كان هناك محور فاشى هو محور برلين وروما موسولينى وهتلر...

وقال إن مسؤولية الهزيمة لا تقع على عاتق هتلر وحده وانما جهاز المخابرات الجستابو كان له دور كبير بجانب وزارة الخارجية فى هذا الوقت.. ويقول شاهد العيان:

الجستابو والـ«E» «قوات نازية» خاصة كانت تنقل معلومات كاذبة الى الفوهرر إذ أن هتلر لم يكن يحب الاستماع الى أنباء تزعجه.. حتى أنه حين جاء كاناريس رئيس جهاز المخابرات النازية الى هتلر وقال له أن القادة العسكريين يتوقعون حملة عسكرية واسعة النطاق من الجيش الأحمر ـ قوات ستالين ـ جاء رد هتلر : هذه أكبر أكذوبة منذ عصر جنكيز خان.لم يصدق هتلر أن غزو الاتحاد السوفييتى سيكون نهاية العصر الذهبى للنازية.. ولم يستمع هتلر الى تحذيرات العسكر والمخابرات الألمانية فى عام ١٩٤٢ ومنذ هذا التاريخ بدأ جهاز المخابرات والجهاز الاعلامى الذى تزعمه وزير البروباغندا جوزيف جويلز الى بث نصف الحقائق حتى المعلومات التى كانت تصل الى هتلر يقال أنها كانت غير صحيحة.

الاستيلاء على وارسو

رغم مقاومة الجيش البولندى وقوات الفرسان للغزو النازى لبولندا تمكنت قوات هتلر من الوصول الى حدود العاصمة وارسو والاستيلاء بسهولة عليها كما سارعت قوات ستالين السوفيتية بمساعدة هتلر واجتياح الاراضى البولندية لأسباب أهمها التزام السوفييت بمساعدة هتلر بموجب اتفاقية عدم اعتداء اضافة الى عدم موافقة السوفييت على تواجد دولة بولندية على حدودها بالشكل الذى رسمته معاهدة فرساى التى فرضت

على الرايخ الألمانى بعد هزيمته فى الحرب العالمية الاولى وأرغمته على التنازل عن جزء من أراضيه الى بولناة وفرنسا.. وبناء عليه فقد تم تقسيم أراضى بولندا بين موسكو وبرلين وفر القائد البولندى جنرال زيكورسكى مع آلاف من الجنود البولنديين الى غرب أوروبا حيث قاموا بتشكيل حكومة فى المنفى وتحالفوا مع قوات الحلفاء ضد هتلر فيما بعد.

وبالعودة الى شاهد العيان الذى يقول إن النازيين أقاموا معسكرات ـ جيتو ـ لليهود البولنديين مثل « وارسو جيتو» وتم ترحيل العديد من البولنديين كعمالة لألمانيا كذلك ستالين رحل البولنديين لمعسكرات عمالة فى الاتحاد السوفيتى وحدثت مذبحة قاتين الشهيرة حيث قتل السوفييت عدة آلاف من الضباط البولنديين

فى هذه الاثناء بدأ هتلر يزداد ثقة وجبروتاً وبدأ يخطط للهجوم الأكبر.

فى المقابل بدأت فرنسا وبريطانيا فى تحريك قواتها الى مواقع عسكرية للدفاع عن أراضيها اذ لم تضع فى الحسبان أى طموحات لغزو ألمانيا النازية حتى أن رئيس الوزراء البريطانى أرتور نيفيل شمبرلين كان يفكر فى قطع الطريق البحرى على قوات هتلر (شمبرلين شارك فى توقيع معاهدة ميونيخ مع موسولينى وهتلر التى سمحت لألمانيا النازية الحصول على منطقة الزوديت رسميا من تشيكوسلوفاكيا وبناء عليه تجنبت فرنسا وبريطانيا اشتعال الحرب... غير أن الطمأنينة لم تطل وقعت الاتفاقية يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٣٨ فى جبال الألب فى «أوبرسالسبرج» مقر هتلر فى مدينة برشتسجادن جنوب ألمانيا على الحدود مع النمسا).

ومع تزامن هذه الأحداث كانت بروباجاندا جوبلز تنتشر على أشدها فى جميع أنحاء ألمانيا... المؤرخون يتحدثون عن حملات إعلامية لغسيل الادمغة... كانت مهمة جوبلز هو اغراق الشعب الألمانى فى عقائد ومفاهيم لا تسمح بمكان لغير الألمان... كان جوبلز لا يشك فى الفوهرير فكل ما يقوله هتلر هو الحقيقة المطلقة ورغم أن جوزيف جوبلز حصل على الدكتوراه على يد بروفوسور ألمانى يهودى وهو فرايهير فون فالدبرج فى

جامعة بون عام ١٩٢١ الا أنه أول من بدأ تنظيم حملات الدعاية ضد اليهود والموالين للتيار اليسارى فى ألمانيا.... وكما هو الحال للنظم الديكتاتورية كان لا بد من جهاز اعلامى قوى يرافق هذا النظام ولا يسمح بظهور أى معارضة وكان د. جوبلز وزير الدعاية فى عهد النازية ومعه هاينريش هيملير نائبه من أكفأ الشخصيات التى مهدت طريق هتلر حتى اذا كان الطريق وعراً أو غير مستقيم.

بعد مرور ٦٠ سنة على الحرب العالمية الثانية كان من الصعب أن نلتقى شخصيات عاصرت هذه الفترة ولكن وفى احدى ضواحى برلين وفى مبنى للعجائز التقينا بأحد الضباط القدامى ـ هاينريش سيجلير ـ الذى بدأ يحدثنا عن الجبهة الغربية منوها بأن نزعة الحرب والاجتياح كانت هى التى تسيطر على هتلر ورفاقه وكان أقرب المقربين اليه فى هذه الحقبة هو ألبرت شبير ـ مهندس الرايخ النازى ـ ووزير التسلح والمصانع الحربية.

كان هتلر بدأ يخطط لاجتياح الجبهة الغربية اذ أنه كان يطمع فى الوصول إلى باريس وكانت هناك خطة حربية تستهدف الاتجاه عبر هولندا وبلجيكا إلى فرنسا غير أن الخطوة الاولى كان هدفها وصول المواد الخام للمصانع الحربية وبدأ التخطيط لغزو الدانمرك والنرويج... ورغم أن ألمانيا النازية كانت تحصل على ٤٠٪ من المواد الخام من السويد الا أن النازيين احترموا وضع السويد المحايد واكتفوا بضم الدانمرك فى فبراير ١٩٤٠ ثم النرويج مع احتفاظ البلدين بكيانهما الدستورى.هذه العملية أطلق عليها «عملية فيلفريد» ... وهى تشير الى تكتل القوات البحرية لفرنسا وبريطانيا على الحدود البحرية للدانمرك والنرويج..وفى هذه المرة تمكنت البحرية الألمانية من التلاعب على عملية «فلفريد» وتم ضم الدانمرك والنرويج الى الرايخ وضمن هتلر وشبير تزويد المصانع الحربية بالحديد والصلب والرصاص.

■■■



6 الحرب العالمية الثانية رؤية شرقية

□□

كانت شرارة الحرب العالمية الثانية النزاع (الألمانى - البولندى) حول ممر وميناء دانتزج، إلا أن الأسباب الحقيقية لتلك الحرب كانت أبعد من ذلك؛ إذ يرجع بعضها إلى تسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى، والتى أدت إلى تغيير فى رسم خريطة العالم، وبخاصة أوروبا، فأبرمت معاهدات عقابية أخذت طابع الانتقام ضد ألمانيا، ودفعت بأحد أعضاء الوفد الألمانى فى مؤتمر الصلح فى "فرساى" سنة (١٣٣٧هـ = ١٩١٩م) إلى القول للحلفاء: "سنراكم مرة ثانية بعد عشرين عامًا"، وصدقت نبوءة الرجل: فكانت الحرب العالمية الثانية التى طالت أغلب دول العالم، وكانت الأعنف فى حروب البشر وصراعاتهم.

ألمانيا بعد صلح فرساى

كان الألمان يأملون فى صلح عادل بعد هزيمتهم فى الحرب العالمية الأولى، غير أن هذا الصلح كان بمثابة قاصمة للشعب الألمانى؛ إذ خسرت ألمانيا ١٢,٥٪ من مساحتها، و١٢٪ من سكانها، وحوالى ١٥٪ من إنتاجها الزراعى، و١٠٪ من صناعتها، و٧٤٪ من إنتاجها من خام الحديد، وتقلّصت مساحة السواحل الألمانية على بحر البلطيق وبحر الشمال، ونصَّ هذا الصلح أيضًا على الحيلولة دون قيام الوحدة بين ألمانيا والنمسا التى تضم أكبر مجموعة من الألمان تعيش خارج ألمانيا، ودخل نحو مليونى ألمانى فى حدود بولندا، ونحو ثلاثة ونصف مليون ألمانى فى حدود دولة تشيكوسلوفاكيا التى نشأت بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت هذه الأقليات الألمانية سببًا فى عدم الاستقرار، وفرضت على ألمانيا تعويضات قُدِّرت بستة مليارات وستمائة مليون جنيه بخلاف فوائدها.

وحددت معاهدة "فرساى" الجيش الألمانى بأن لا يزيد على مائة ألف، وحددت سفن الأسطول الألمانى، وحرمته من امتلاك سلاح الجو، مع دفع تعويضات ضخمة للحلفاء. وبالإضافة إلى ذلك تقرر أن تخلى ألمانيا المناطق الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الراين بعرض ثلاثين ميلا من القوات العسكرية، وكانت فرنسا تريد فصل هذه المنطقة عن ألمانيا، وإقامة دولة مستقلة فيها تكون حاجزا بينها وبين ألمانيا التى أُجبرت على التخلى عن مستعمراتها فيما وراء البحار.

وأصبحت ألمانيا بعد هذا كله لا حول لها ولا قوة، أما فرنسا فرأت أن ألمانيا لم تتحطم بعد، فأقدمت عام (١٣٤٢هـ-١٩٢٣م) على احتلال إقليم "الروهر" الألمانى الغنى بالمناجم، وعللت ذلك بأن هذا الأمر سيرغم ألمانيا على دفع التعويضات.

الأزمة الاقتصادية وصعود هتلر

هذه الضربات المتلاحقة للاقتصاد الألمانى تسببت فى عدم استقرار سياسى، ثم تعمقت هذه الأزمات سنة (١٣٤٨هـ=١٩٢٩م) عندما تعرض العالم لأزمة اقتصادية طاحنة بدأت فى الولايات المتحدة، وانتقلت منها إلى جميع دول العالم، إلا أن ألمانيا كانت معاناتها أشد؛ إذ توقفت أغلب مصانعها، وزاد عدد العاطلين بها عن ستة ملايين عامل، وانتشرت روح القلق والسخط فى نفوس العمال، وخرجت المظاهرات ترفع الأعلام الحمراء (التى كانت تعبر عن الشيوعية)؛ فتطلعت الأنظار إلى حزب العمال الاشتراكى الوطنى الذى يرأسه أودلف هتلر، وانضم إليه الجنود القدامى، وكثير من أرباب المهن، وأُعجب هؤلاء بالنازية التى تنادى بتوحيد الألمان فى دولة واحدة تتساوى مع الدول الكبرى، وإلغاء معاهدات الصلح المهينة، وإبعاد اليهود والأجانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى ألمانيا، واتخذ هذا الحزب من شارة الصليب المعقوف رمزًا له.

وقد تضاعف عدد النازيين أثناء الأزمة الاقتصادية، فحصل حزب هتلر على المركز الثانى فى مقاعد "الرايخستاج" (البرلمان) عام (١٣٤٩هـ=١٩٣٠م)، ثم حصل هتلر على أغلب الأصوات (٢٤ مليون صوت) فى انتخابات (١٣٥٠هـ=١٩٣٢م)، وتولى منصب المستشارية (رئاسة الوزراء) فى ألمانيا فى (١٣٥١هـ= يناير ١٩٣٣م).

ولم يكد يتسلم مهام منصبه حتى عزم على السيطرة على زمام الحكم فى البلاد، فاستصدر أمرًا بحل "الرايخستاج" وإجراء انتخابات جديدة، وبدأ فى عملية إرهاب ضد أعدائه ومعارضيه خاصة الشيوعيين، ثم أعلن أن الحزب الوطنى الاشتراكى النازى هو الحزب القانونى الوحيد فى البلاد، ثم تولى سنة (١٣٥٣هـ ـ١٩٣٤م) منصب الرئاسة فى ألمانيا مع احتفاظه بمنصب المستشارية، وكان ذلك تمهيدا لطريق الحرب العالمية الثانية.

الفاشية

نشأت الفاشية فى إيطاليا فى ظروف الخطر الشيوعى الذى هددها، وكانت إيطاليا قد انضمت إلى الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى لتحقيق مغانم استعمارية فى أفريقيا والشرق الأدنى والساحل الأدرياتيكى، وفقدت فى تلك الحرب حوالى (٦٥٠) ألف جندى، غير أن الحلفاء عاملوها كشريك صغير عند توزيع الغنائم، فلم تفُز فى الصلح بغير تسعة آلاف ميل مربع من الأرض فى أوروبا، ومليون ونصف فى جهات مختلفة، ولم تقنع روما بهذه المكاسب التى أثارت استياء الإيطاليين.

وفى نفس الوقت ساد جو من الاضطراب وعدم الاستقرار فى الحكم؛ فتعاقبت الوزارات، وتفشّت البطالة وتراكمت الديون، وأصبحت غالبية الشعب تميل نحو الشيوعية، عندها تقدم اليمين المتطرف بزعامة "موسولينى" للسيطرة على الحكم، وقاد عملية الزحف على روما فى (ربيع أول ١٣٤١هـ = أكتوبر ١٩٢٢م)، واستطاع أن يُسقط الحكومة ويؤلف الوزارة، ومنذ ذلك التاريخ بدأت الفاشية فى إيطاليا، وقاد سياسة توسعية خارجية، وطالب بإعادة النظر فى مشكلة التعويضات، ومعاهدات الصلح.

ألمانيا الهتلرية

مع تولِّى النازيين بزعامة هتلر للحكم فى ألمانيا تعرض ميزان القوى فى أوروبا للخطر، وكانت سياسة هتلر الخارجية تهدف فى البداية إلى إزالة عار الهزيمة وتبعاتها عن ألمانيا؛ لكى تحتل مكان الصدارة بين الأمم، وتقوم بتصفية حسابها مع من أذلُّوها ـ خاصة فرنسا ـ، ويتم توحيد وضم الشعوب الألمانية فى دولة واحدة، وكانت خطواته

لتحقيق ذلك تحطيم معاهدة فرساى، والقضاء على بنودها، ثم بسط السيطرة الألمانية على أوروبا سواء بالوسائل السلمية أم الحرب.

لذا شرع هتلر فى إعادة تسليح ألمانيا، فأعلن فى (المحرم ١٣٥٤هـ=مارس ١٩٣٥) امتلاك السلاح الجوى، ثم عقد اتفاقًا بحريًا مع بريطانيا فى نفس العام، ألغى فيه التحديد الصارم للقوات البحرية الألمانية مقابل اعترافه بتفوق القوات البحرية البريطانية، وتساهلت معه بريطانيا فى عدد وحمولات الغواصات التى يمكن لألمانيا امتلاكها، وبذلك استطاع أن يفصل بريطانيا عن الحلف الذى أقامته فرنسا مع الاتحاد السوفيتى، كذلك زاد عدد الجيش الألمانى إلى (٣٠٠) ألف مقاتل بدلاً من (١٠٠) ألف، ثم فرض الخدمة العسكرية الإجبارية، وإقامة جيش دائم فى السلم يُقدر بنصف مليون جندى.

ثم شرع هتلر فى احتلال أراضى الراين فى (المحرم ١٣٥٥ ـ مارس ١٩٣٦م) رغم أن صلح فرساى ينص على أن تكون منطقة محايدة منزوعة السلاح ضمانًا لأمن فرنسا. وفى نفس الفترة احتلت إيطاليا الحبشة، وبذلك فسدت العلاقة بين إيطاليا والحلفاء، وكانت تلك بداية تكوين تحالف "المحور"، الذى تدعم بمساندة هتلر وموسولينى لثورة فرانكو فى الحرب الأهلية الأسبانية بحوالى ثمانين ألف جندى.

بدايات تكوين المحور

جاء تكوين المحور بسبب فساد العلاقات بين إيطاليا وكل من بريطانيا وفرنسا؛ بسبب احتلال إيطاليا للحبشة، بالإضافة إلى عوامل أخرى؛ منها التشابه الأيديولوجى بين النازية والفاشية، وحاجة الدولتين إلى التوسع الخارجى لامتصاص الزيادة السكانية، وجاءت الحرب الأسبانية لتوحد جهودهما، وجاءت كلمة المحور فى خطاب لموسولينى فى (رمضان ١٣٥٥ه ـ نوفمبر ١٩٣٦م)، وفى نفس الشهر وقّعت إيطاليا واليابان وألمانيا معاهدة ضد الشيوعية، ثم تطورت عام (١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م) إلى تحالف سياسى وعسكرى كامل عُرف باسم "محور روما ـ برلين"، ويقضى بتوسع إيطاليا فى البحر المتوسط وتوسع ألمانيا فى وسط وشرقى أوروبا.

ثم بدأت عملية استقطاب دولى سريع فى تلك الفترة بين المعسكرين الكبيرين (المحور والحلفاء)؛ فانضمت اليابان ثم المجر وبلغاريا ورومانيا وسلوفاكيا وكرواتيا إلى المحور، أما الحلفاء فكان يأتى فى مقدمتهم بريطانيا وفرنسا.

وتطورت الأحداث، فاحتل هتلر النمسا فى (المحرم ١٣٥٧هـ - مارس ١٩٣٨م) ودمجها فى ألمانيا، وهو ما عُرف فى التاريخ باسم "الرايخ الثالث"، ثم سيطر على تشيكوسلوفاكيا فى العام التالى، وأخذ يتحول إلى ابتلاع بولندا، وفى الوقت نفسه قامت إيطاليا بغزو ألبانيا، ووقَّعت روما وبرلين ميثاقًا عسكريًا يقضى بأنه إذا تورطت إحدى الدولتين فى الحرب مع دولة أخرى أو مجموعة من الدول، فإن الدولة الأخرى تسارع إلى مساعدتها كحليفة، وتقدم لها ما يلزمها فى البر والبحر، وفى المقابل حدث تقارب (فرنسى - بريطانى) مماثل، وتعهد الإنجليز بضمان استقلال بولندا.

والمعروف أن رئيس الوزراء البريطانى تشمبرلين لم يقف موقفًا حاسمًا من احتلال هتلر لتشيكوسلوفاكيا، ولم يتقبل دعوة الرئيس السوفيتى ستالين بعقد مؤتمر دولى من الدول الكبرى لضمان حماية أوروبا الوسطى وشرق أوروبا؛ وذلك لأن بريطانيا كانت تخشى من الخطر الشيوعى وسيطرته على أوروبا، وعندما اشتدت الأطماع الألمانية فى بولندا، لم تفلح جهود بريطانيا وفرنسا فى إقناع بولندا بمرور الجيش السوفيتى فى أراضيها، وقال وزير خارجية بولندا: "إننا مع الألمان نفقد استقلالنا، ومع السوفيت نفقد روحنا" وأمام ذلك الأمر وقَّع الاتحاد السوفيتى مع ألمانيا معاهدة عدم اعتداء فى (رجب ١٣٥٨هـ=أغسطس ١٩٣٩م)، وكان هذا الميثاق بمثابة الضوء الأخضر لألمانيا للهجوم على بولندا.

وفى (١٧ رجب ١٣٥٨هـ - ١ سبتمبر ١٩٣٩م) كانت القوات الألمانية تجتاز الحدود البولندية، وتشعل شرارة الحرب العالمية الثانية، وبدا واضحًا أن بريطانيا وفرنسا هما الخاسرتان من الحرب مهما كانت نتائجها، واضطُرت الدولتان إلى توجيه إنذار نهائى لألمانيا فى اليوم الثالث لدخولها بولندا، وبدأت الحرب تستعر، واستطاع الجيش الألمانى

دخول الدانمارك والنرويج وهولندا وبلجيكا وفرنسا والبلقان، لكنه فشل فى احتلال بريطانيا، بعد المعارك الجوية الرهيبة بين الألمان والإنجليز، وفشلت الغواصات الألمانية فى قطع طرق مواصلات الإمبراطورية البريطانية فيما وراء البحار، وارتكب هتلر خطأ كبيرًا حين تحول لمهاجمة الاتحاد السوفيتى فى (جمادى الآخرة ١٣٦٠هـ - يونيو ١٩٤١م) تاركًا بريطانيا خلف ظهره، وهى القاعدة الإستراتيجية التى يمكن أن توجه منها الهجمات إليه.

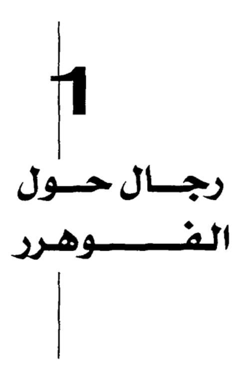
وفى تلك الأثناء قام اليابانيون بمهاجمة الأسطول الأمريكى فى المحيط الهادى فى ميناء بيرل هاربر، وأغرقوا كثيرًا من قطعه، ثم انطلقوا فى جنوب شرقى آسيا، وأصبحوا على مقربة من أستراليا، وحتى أوائل (١٣٦١هـ - ١٩٤٢م) كان المحور لا يزال يحقق انتصارات فى كل مكان.

أما الغرب والحلفاء فكانوا فى أقصى درجات الانهيار، واخترقت القوات الألمانية شمال إفريقيا نحو الشرق الأوسط، فى محاولة للاتصال باليابانيين فى الهند، لكنها تلقت الهزيمة فى معركة "العلمين" الشهيرة.

وقبل نهاية عام (١٣٦٢هـ - ١٩٤٢م) كانت الصورة قد تغيرت؛ حيث هُزم الأسطول اليابانى فى معركة (ميداوى)، ثم هُزم القائد الألمانى رومل فى العلمين، وبعد بضعة أشهر كانت القوات الألمانية تستسلم فى ستالنجراد بالاتحاد السوفيتى مسجلة بذلك نقطة تحول فى الحرب الألمانية السوفيتية، وبدأ الحلفاء فى غزو ألمانيا؛ حيث عبر الروس فى (المحرم ١٣٦٤هـ - ديسمبر ١٩٤٤م) الحدود الألمانية لأول مرة، واستمر الحلفاء فى التقدم رغم بسالة الألمان فى الدفاع عن دولتهم وخسارتهم مئات الآلاف من القتلى، وأصبح قلب ألمانيا مفتوحًا، فتدفق داخله السوفيت والأمريكان، كذلك نجح الحلفاء فى دخول روما، ثم أعدم الثوار الإيطاليون "موسولينى" وعلّقوه من قدميه فى أحد أعمدة الإنارة فى ميلان، أما هتلر فقد انتحر فى (٢٨ جمادى الأولى ١٣٦٥هـ - ٣٠ إبريل ١٩٤٥م)، ووقّع ممثلو ألمانيا وثيقة الاستسلام بلا قيد أو شرط.

أما اليابان فقد وقّعت وثيقة الاستسلام بدون قيد أو شرط فى (٤ شوال ١٣٦٥هـ - ٢ سبتمبر ١٩٤٥م) بعد إلقاء قنبلتين ذريتين على هيروشيما ونجازاكى، وبعدها بثلاثة أيام رُفع العلم الأمريكى فوق طوكيو، وانتهت بذلك رسميًا الحرب العالمية الثانية بعد ست سنوات من القتال الشرس، خسرت فيه البشرية حوالى (١٧) مليونا من العسكريين وأضعاف هذا العدد من المدنيين.

■■■



1
رجال حول الفوهرر

1 جـــوبـلـز

□□

قليلون هم الأشخاص الذين يرتدون عباءة الشر أو يسكنون معسكر الأعداء بالنسبة لك، ومع ذلك تجد نفسك مطالباً بأن ترفع لهم قبعة العبقرية احتراما، إنها الطبيعة الإنسانية التى تجبرك على احترام وتقدير مكانة عدو أو لنقل شخصية أصابت العالم بالكثير من الشرور، بالضبط كما تحب محمود المليجى وتقدره رغم أدوراه التى دائما ما تفرض أن تخرج من دائرة الشر.

الأشرار المحبوبون فى العالم قلة وكلهم متشابهين، وقد يكون هذا الحب أو التقدير نوعاً من الشفقة والعطف على ذلك الإخلاص وتلك العبقرية التى راحت فى غير فائدة، أو هى تلك الرغبة المكبوتة فى داخلك، والتى تقول "ياريته كان معانا ده خسارة فيهم".

نفس العبارة السابقة تنطبق بحذافيرها على "جوزيف جوبلز" مهندس الدعاية الألمانية والمسئول الأول عن (غسل هتلر بالشامبو والصابون)، وتحسين صورته وصورة ألمانيا النازية فى وقت الحروب هو واحد من هذه الشخصيات التى ترفع قبعتك لعبقريته وأدائه فى العمل الدعائى.

الدكتور بول جوزيف جوبلز (٢٩ اكتوبر ١٨٩٧ ـ ١ مايو ١٩٤٥) ـ وزير الدعاية السياسية فى عهد أدولف هتلر وألمانيا النازية، وأحد أبرز أفراد حكومة هتلر لقدراته الخطابية.

أبوه فريدريك جوبلز، المحاسب ذو الدخل المتوسط ووالدته ماريان غوبلز. وعندما تطوّع فى الجيش الألمانى فى الحرب العالمية الأولى، تم رفضه لتسطّح أخمص قدميه.

وفى عـام ١٩٢٢، إنضم غـوبلز للحـزب النـازى. والطـريف أنه كـان من المعـارضـين على عضوية هتلر فى الحزب عندما تقدم الأخير بطلب للعضوية إلا أنه غيّر وجهة نظره تجاه هتلر فيما بعد وأصبح من أنصاره بل وأحد موظفيه.

لعب جـوبلز دوراً مـهمـاً فى ترويـج الفكر النازى لدى الشعب الألمانى بطريقـة ذكيـة. وقبيل إقدامه على الانتحار وفى الفصل الأخيـر من الحـرب العالميـة الثـانية عينه هتلر ليكون مـسـتـشـار ألمانيا كـمـا إتّضح فى وصـية هتلـر الخطيـة إلا أن الحلفـاء لم يعتـرفـوا بوصيـته بعد سقـوط الـرايخ الثـالث. وفى ١ مـايـو ١٩٤٥، أقدم جـوبلز على الانتـحـار مع زوجته وأطفاله الستة، وتراوحت أعمار أطفاله بين ٤ و١١ سنة.

جـوبلز الذى عاش على الأرض فى فترة السـنوات التى تبدأ من ١٨٩٧، وتنتهى ١٩٤٥، واحد من الذين دخلوا إلى عـالم الإرهـاب الفكرى بمقـولتـه الشـهيـرة "كلمـا سـمـعت كلمـة مثقف تحسست مسدسى".

عـاد جوبـلز إلى الحيـاة مـرة أخـرى من خلال يوميـاته التى أثارت العـالم عندمـا كـتبهـا واكتشفت بعد رحيله، وأصـبـحت مـن أهم المناهج التى تدرس فى مـجـال الدعـاية والإقناع فى العالم، عـاد هذه المرة فى كتـاب يحوى يوميـاته جمعهـا مجموعة من المؤلفين وطبعتها دار نشـر فـرنسـيـة "تالاباديه" لنتـعـرف على جـوبلز وأكـاذيبـه الدعـائيـة، تعـالـوا نتـصـفـح يومياته.

فى هذه اليوميـات تتضـح رؤية جـوبلز لكل شـىء، رؤيته لنفسه ولهـتلر ولحلفـائه وأعدائه ولمستـقبله وأحـلامـه، فقـد كـان واحـد من الذين قـالوا "لا " لهـتلر فى البـداية، ثم تحـول ليصبح أحد عـبيده المخلصين؛ فـجوبلز هو أفضل من يقوم بهـذا الدور، فقد قـاد الهـجوم النازى على العالم بمفرده.

إنه شخص مـتـميـز ومـعـتـز بمـوهبـته بغض النـظـر عن آراء الآخـرين، فـحينـمـا نشـرت الصحف الإنجليزية تصفه بأنه الرجل الأخطر فى العـصابة النازية كتب فى يومياته يقول بأنه "فخور بمثل هذا المديح".

فالغرور صفة ملازمة لجوبلز، تظهرها يومياته بلا خجل، فهو يبدى سعادته بأنه الخبير الأول فى التضليل الإعلامى ويتفاخر بأنه قادر على تعبئة الجمهور وتعزيز معنويات جيشه ويستشهد فى قدرته على ذلك برأى هتلر فيه، فقد كتب فى إحدى يومياته "كان الفوهرر هتلر يقبل بكل ما كنت أقترح عليه دون أى صعوبة".

ويكمل فى يومية أخرى، فيقول: "أنا سعيد جدا بثقة هتلر الكاملة بى، وإننى أتمنى أن أساعده فى جميع همومه الكبرى"، ويتفاخر فى يومية أخرى بأن هتلر كان دائما ما يبدى سعادته واطمئنانه بوجود جوبلز بجواره.

هذا الرجل الذى كان يؤكد أنه كلما كبرت الكذبة كان سهل تصديقها، كان يعشق هتلر بجنون لدرجة أنه كتب فى احد يومياته تعليقا على المحاولة الفاشلة لاغتيال هتلر يقول: "لقد انتابنى إحساس إننى أمام رجل يعمل تحت العناية الإلهية".

وفى يومية أخرى، كان يقول: "خوفى الوحيد من هذه الحرب هو أن يحصل أى مكروه للفوهرر"، هكذا كان جوبلز يرى هتلر لدرجة أن يده لم ترتعش وهو يقدم حبوب السيانيد السامة لأطفاله وزوجته؛ لأن هتلر أخبره بأن الانتحار أفضل من أن يعتقله الروس.

جوبلز أظهر فى يومياته رؤيته لليهود، حينما كتب فى ١٤ مارس عام ١٩٤٥ يقول: "هؤلاء اليهود ينبغى إبادتهم مثل الفئران عندما يمكن عمل ذلك"، وأضاف: "فى ألمانيا، تخلصنا منهم وللإله الشكر".

جوبلز أيضا يرى أن الإيطاليين جبناء رغم أنهم حلفاؤه، فهم فى نظره "عصابة قليلة الشجاعة"، أما سياسة الإنجليز، من وجهة نظر أخلاقية تحتوى على قدر كبير من الخساسة".

لعب جوبلز دوراً كبيراً للتخفيف عن هتلر، حينما حاول بصعوبة أن يزرع الأمل فى قلب هتلر وفى قلب جيشه حينما كان يهاجم ستالينجراد، وأعلن مبادرته لإعادة تنظيم الوطن، ووضع مبدأ يعرف بـ (قيادة الحرب الشاملة)، الذى قام على أساسه بتوجيه كل جهود ألمانيا المدنية نحو الحرب.

وبالطبع لم ينس جوبلز أن يؤكد فى مذكراته أنه تواجد بجانب هتلر فى الوقت الذى كان كل من حوله شخصيات ضعيفة لا يمكن الإعتماد عليها فى الأوقات الصعبة.

ولهذا كان من الطبيعى أن يصف نفسه قائلا: "لقد دقت ساعة الرجال ذوى التصميم الكامل والأفعال التى لا نقص فيها، فمهما يكن الوضع صعبا يمكن الوصول إليه إذا جرت تعبئة القوى كلها".

هكذا كان يفكر جوبلز، وهكذا كان يدير ألمانيا وحملتها النازية، ولذا لا يستطيع التاريخ أن يسقطه من حساباته أبداً؛ فالتاريخ لا ينسى أبدا رجل خدع العالم كله، وأجبرها على تصديقه وحرك الدنيا وفقا لرؤيته هو..

■ ■ ■

رودلف هيس
(Rudolf Hess)
2

□□

رودلف هيس هو القائد النازى الوحيد من قادة الرايخ الثالث الذى لم يعلن تنصله من فترة الرايخ الثالث والنازية، ولم يعلن مهاجمته للفوهرر هتلر إطلاقًا - باستثناء القائد جوبلز طبعاً الذى ظل على وفائه حتى آخرلحظة فى حياته أيضًا للفوهرر.

بل إنه حتى عند صدور الحكم عليه من محاكمة نورمبرج الشهيرة بسجنه مدى الحياة عام ١٩٤٦بتهم الاشتراك فى الإعداد للحرب العالمية قد وقف بالثبات النازى المعروف والقدير وقال كلماته الشهيرة :

"إننى سعيد لكونى أعرف الآن أنى قد أديت واجبى تجاه شعبى وواجبى كألمانى مخلص وكوطنى إشتراكى مطيع لقائدى العظيم، وإننى لست نادماً على أى شيئ فعلته وإذا ما عادت الساعات للوراء فسوف أتصرف تمامًا كما تصرفت حتى وأنا أعلم أن نهايتى هى الإكتواء بالنيران حتى الموت."

ورغمًا عن السنوات الطويلة التى قضاها هيس فى السجن «سجن شباندوا» إلا أنه لم ينطق بكلمة واحدة تنتقض هتلر فقد كان شديد الإخلاص للفوهرر بصمته هذا ولم يحدث مطلقًا منه أن قام بإفشاء سر من الأسرار التى إئتمنه عليها هتلر فى حياته وأثناء كفاحهما معًا.

حياة هيس ومشوار كفاحه الذى بدأه من الإسكندرية بمصر

قال هيس عن حياته :

لقد بدأت حياتى فى حى الإبراهيمية بالاسكندرية فى مصر فى ٢٦ إبريل عام ١٨٩٤، وكان أبى" فريدريك هيس " قد هاجر من بافاريا بالجنوب الألمانى وجاء إلى مصر ليعمل

بتجارة الجملة، وكانت بصحبته فى ذلك الوقت عروسه الجميلة " كلارا مونش "إبنة أحد رجال الصناعة المشهورين فى بافاريا وهى أمى،

جاءا الى الإسكندرية حيث إستأجرا فيلا فى الإبراهيمية ذات حديقة واسعة ، وفى هذه الفيلا ولدت أنا وبعدى بثلاثة أعوام جاء شقيقى " ألفريد" الذى عمل مع والدى فى التجارة، ثم مضت ١٥ سنة لترزق الأسرة بشقيقتى " مارجريت" التى ولدت عام ,١٩٠٨

وقد كان بيتنا فى الإسكندرية أشبه بالمعسكرالذى تحكمه قواعد الضبط والربط الصارمة ، فالوجبات كانت تقدم فى مواعيد ثابتة ، ونأكل من أصناف الطعام التى يحبها أبونا ، ولا نتكلم إلا إذا سمح لنا الكبار بذلك ، أما مواعيد النوم فكانت أكثر دقة من مواعيد الطائرات، وكنا ننام على صوت البحر الذى كان أشبه بالأغنية التى ترددها الأم لطفلها فى السرير حتى ينام.

كنت قد التحقت بالمدرسة الألمانية فى الإسكندرية، وفى عام ١٩٠٨ قررت الأسرة أن أواصل تعليمى بالمدرسة الإيفانجيلية فى بادجزسبيرج إحدى ضواحى بون.

وعندما كنا على الباخرة نتطلع إلى الإسكندرية والشاطئ يختفى تدريجيًا، أذكر أن والدى اتجه نحوى يومها وهو يقول:

" انظر جيدًا إلى هذا البلد يا بنى، ربما تمر سنوات طويلة قبل أن تراه مرة أخرى"

وبعد ذلك إلتحقت بالمدرسة التجارية فى نيوشاتل بسويسرا حيث كان أبى يعدنى لكى أعمل معه فى التجارة.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى تجمع شمل الأسرة فى بيتنا فى بافاريا ثم تطوعت فى الحرب حيث التحقت بكتيبة المشاة البافارية الأولى وفى عام ١٩١٦ أصبت فى الحرب، وبعدها التحقت بكتيبة " شهداء المعركة" تخليداً لأولئك المثقفين الذين قتلوا فى الحرب، وهى الكتيبة التى كان يعمل بها هتلر كجندى عامل ، بينما أنا كنت برتبة ملازم أول متطوع إلا أننى لم أتحدث مع الفوهرر وقتها مطلقًا أو يحدث بيننا أى لقاء أو تعارف على الإطلاق.

وفى سنة ١٩١٨ التحقت بقوات الطيران الملكية وانهيت تدريبى لأصبح ضابطًا طيارًا، واشتركت فى الحرب كطيار لمدة عشرة أيام فقط، لأن الحرب انتهت وتم تسريحى من الجيش فى ١٣ سبتمبر ١٩١٨ وكنت قد بلغت الثالثة والعشرين من عمرى فاتجهت للعمل فى مجال الديكور إلى جانب قراءاتى العميقة فى كتب التاريخ.

وعندما تحرك هتلر من خلال حزب العمال الوطنى الإشتراكى بدأ ينضم إليه أعضاء من مختلف الطبقات وانضممت أنا أيضًا وكان رقم عضويتى "١٦" ومن منفاه الإختيارى فى السويد جاء جورينج فانضم للحزب فى خريف سنة ١٩٢٢ وكان رقم عضويته "٢٩" أما هيملر فلم ينضم للحزب إلا فى أغسطس عام ١٩٢٣.

وكانت كلمات هتلر تلمس كل قطرة دم فى عروقنا ، كان يتحدث فى يوم الاثنين من كل أسبوع ولم يكن يستمع إليه أحد إلا وينبهر بحديثه.

كنت من القيادات النشطة لقوات العاصفة التى كان يرمز لها بحرفى "s.s"

وكانت تعتبر الذراع القوى للحزب وكنت أرى أنها ضرورة تحتمها ظروف السياسة فى ذلك الوقت ، وحصلت قوات العاصفة المدربة على أعلى المستويات على الأسلوب الفنى للقتال داخل الجداران وهو ما جعل هتلر يفكر باستخدامها للقيام بانقلاب يستولى فيه على السلطة فى ميونخ.

وقد اشتركت مع الفوهرر وجورينج فى محاولة الإنقلاب التى جرت عام ١٩٢٣ ضد الحكومة البافاريا فى ميونخ ، ولما فشل الإنقلاب الذى خططنا له كثيراً ، فقررت اختراق الجبال وعبور الحدود إلى النمسا ، وجورينج فعل ذلك أيضاً فقد هربت به زوجته إلى الحدود،

لقد حوكم الفوهرر والجنرال لودندورف وإرنست رويم وسبعة رفاق آخرون فى ٢٦ فبراير عام ١٩٢٤ ، أما انا وجورينج فقد كنا بالطبع خارج ألمانيا فى منفانا الإختيارى ، وكانت محاكمة الفوهرر ورفاقه سرية تجرى وراء جدران سميكة من التكتم لعدم المساس بهيبة رئيس الحكومة المحلية فى ميونخ " جوستاف ريتار فون كار"

انتهت محاكمة الفوهرر ورفاقه بتهمة الخيانة العظمى وكان رئيس المحكمة " جو فارنز جورتنار " الذى أصبح فيما بعد وزيراً للعدل فى حكومة الفوهرر، وفى أول إبريل عام ١٩٢٤ صدرت الأحكام ببرائة لودندورف والسجن خمس سنوات للفوهرر ويخفف إلى ستة أشهرفى حالة حسن السير والسلوك، ومن منفاى الإختيارى بالنمسا علمت بالأحكام فقررت العودة فى المكان المناسب إلى جانب الزعيم العظيم. فقدمت نفسى للسلطات الحكومية البافاريا ومعى ٤٠ من الرفاق وحوكمت وصدر ضدى حكم مخفف بالسجن ١٨ شهرًا.

أصبحت الآن مع زعيمى فى سجن واحد فى " لاندزبيرج" وقد أتاحت لى فترة السجن التحدث للفوهرر باستفاضة ولما خرجنا من السجن كانت علاقتنا قد توطدت أكثر وأكثر فعينت سكرتيراً له مقابل ٣٠ مارك شهريًا إلا أننى وقفت فى هذه الفترة على أدق المناورات السياسية التى قام بها الحزب حتى وصلنا للسلطة عام ١٩٣٣.

كان الفوهرر أكبر منى بسبع سنوات إلا أننى لم أخاطبه على الإطلاق بصيغة انت بل كنت أقول له دائمًا سيادتكم وكنت على أى حال أقرب الرفاق إلى قلبه وأكثرهم فهمًا له.

وعندما كان يعد إحدى خطبه كان يسند إلى الجزأ الأكبر منها وكان يقف أمام المرآة ويقرأها بصوت مرتفع ويتأمل ملامحه وهو يتكلم بل ويتأمل حركة يديه وجسمه.

وفى سنة ١٩٢٧ تزوجت" إيلزا برول" الفتاة الجميلة التى إنتظرتنى على باب السجن فى لاندزبيرج وكان شاهدا عقد الزواج هما الفوهرر والبروفيسور " هاوسهوفر" ذلك العلامة الذى عرفته بالفوهرر وزاره مرارًا فى السجن ولما كان واسع الإطلاع وله نظرياته فى السياسة والفلك والتاريخ وقرائة المستقبل ، تأثر به الفوهرر وكنا نجلس معاً نحن الثلاثة فى السجن نتحدث عن مستقبل ألمانيا ،

وقد كانت أحاديث العلامة هاوسهوفر هى المحاضرات السياسية التى تأثر بها الفوهرر أيما تأثير ، والتى دفعته لوضع الخطوط الأولى لكتابه " كفاحى "الذى كانت معظم أفكاره فى الحقيقة هى أفكار أستاذنا البروفيسور هاوسهوفر.

كانت إيلزا قد جاءت إلى ميونخ لتؤدى إمتحان الثانوية العامة ولكنها فى الوقت نفسه كانت عضوة فى الحزب النازى ومن أوائل الفتيات اللائى إنضممن إلينا برغم انها كانت إبنة رجل صناعة ثرى فى برلين لكنها كانت تهوى السياسة وعلى وعى كبير بالتاريخ.

اعتقال هيس من قبل بريطانيا واعتبارالفوهر رله رسميًا أنه مجنون

فى عام ١٩٤١ عندما كان نائبًا للفوهرر طار هيس إلى اسكتلندا يحمل عرضًا للصلح والسلام مع إنجلترا لتجنيب بلاده ويلات الحرب التى كانت على وشك إلتهام العالم لكنهم إعتقلوه هناك،وقد كان بالفعل ذاهب إليهم ومعه عرضآ بالسلام وهذا ماتم الكشف عنه فى محاكمات نورمبيرج لكن الإنجليز أعتبروا ذلك مجرد خداع وتخطيط من ألمانيا من أجل مباغتتهم وخداعهم ليفاجئوهم إلا أن حتى يومنا هذا لم يعرف العالم إجابة لسؤال واحد سوف يظل محيرآ حتى يوم القيامة وهو : هل هيس قام بمغامرة سفره تلك وحده ومن تلقاء نفسه أم بتفويض من الفوهرر؟

ذلك لأن هتلر أعلن رسميًا عام ١٩٤١ أن نائبه هيس مختل عقليآ ومجنون وقد تمسك أغلب المؤرخين بهذه الشهادة حتى اليوم مرددين أنه قام بمغامرته وحده ودون علم هتلر.

وبالتأكيد لن يعرف أحد ليوم الدين الحقيقة حيث أن هيس نفسه لم يتحدث عن هذا الأمر وهاهو قد مات من فترة طويلو وبموته ودفنه دفن السر معه ومن قبله رحل هتلر عن الدنيا بسنوات طويلة وذهب سرهما معهما ليوم الدين.

وقد حصل هيس فى محاكمة نورمبرج على حكم السجن مدى الحياة وألقت فرنسا القبض على زوجته " إيلزا" فى " هندلانج" وكان إبنهما الوحيد" فولف" فى الثامنة من عمره.

وقالت إيلزا عن ذلك :

" عملت خادمة فى إستراحة تملكها سيدة ألمانية وتستخدمها كاستراحة للضباط الفرنسيين وزوجاتهم ، وكنت أخفف من همى بالمزيد من الإندماج فى العمل ، لدرجة أن

جنود الحراسة الفرنسيين كانوا يعطفون على عندما يرون زوجة أحد زعماء النازى العظام تعمل خادمة ، وقد أفرج عنى الفرنسيون عام ١٩٤٧ فاعتقلنى الأمريكيون بعد شهر واحد من الإفراج الفرنسى عنى وسجنت فى معسكر بالقرب من " أوجسبورج" التى غادرها زوجى بطائرته عام ١٩٤١ إلى اسكتلندا"

فى ١٠ أكتوبر عام ١٩٤٥ تم اصطحاب هيس من اسكتلندا إلى نورمبرج لمحاكمته وفى ٢٠ نوفمبر اقتيد هيس لقاعة المحكمة وجلس بين روبنتروب وزير خارجية النازى وجورينج، وفى ٣١ أغسطس ١٩٤٦عقدت آخر جلسة لمحاكمة هيس وبعدها بأيام صدرت الأحكام المختلفة على قادة النازية وحكم على هيس بالسجن مدى الحياة.

وقد جاء بحيثيات الحكم:

إن المتهم رودلف هيس كان من المؤيدين النشطين للاستعدادات للحرب وهو الذى وقع قانون الخدمة العسكرية الإلزامية وأيد سياسة هتلر الرامية للتسلح المفزع وعلى الرغم من أنه أبدى رغبته متأخراً فى السلام والدعوة للتعاون الدولى إلا أنه كان الوحيد بين جميع المتهمين الذى كان يعلم نوايا هتلر وخططه النازية المدمرة وهو الوحيد أيضاً الذى كان يدرك مدى تعصب هتلر وعنفه، لقد طار المتهم هيس إلى إنجلترا يحمل بعض مقترحات السلام ، زاعمًا أن هتلر على إستعداد لقبولها ولكن هناك ملاحظة تنطوى على دلائل كبيرة وهى أن هيس طار إلى إنجلترا قبل عشرة أيام فقط من الموعد الذى حدده هتلر للهجوم على روسيى وهو ٢٢ يونيو ١٩٤١ ، أى أنه كان على علم بكل تفاصيل الخطة، وإن المتهم تصرف أثناء المحاكمة بكريقة عادية وزعم أنه يعانى من فقدان الذاكرة وربما يكون ذلك صحيحاً ، ولكن لم تكن هناك أية دلائل على أنه مجنون جنوناً مطلقاً، أو أنه لايعى ما حوله أو أنه لايستطيع الدفاع عن نفسه ، ولذلك فقد رأت المحكمة أن المتهم برئ من تهمتى جرائم الحرب وجرائم ضد الإنسانية ، ومذنب فى تهمتى التآمر وإرتكاب جرائم ضد السلام ، وأصدرت الحكم الآتى " السجن مدى الحياة"

انتهت بتلك المسرحية الهزلية التى مثلها الحلفاء وسموها تحت عنوان محاكمات نورمبرج ، وهذا بشهادة التاريخ الذى لايكذب أبدًا ، فإن محكمة التاريخ هى الأصدق

وهى التى تسجل الحقائق تاريخًاآ بشكل لا يمحوها قط ، وليس أكثر من شهادة قادة الحلفاء الإنجليز والتى عرفت فيما بعد أنه فى أحد إجتماعاته مع القادة الحلفاء قد عارض تماماً قيام الحلفاء بعمل محاكمات هزلية كتلك التى أقاموها فى نورمبرج حيث قال أن الجميع يعلم أننا سنعدمهم فإن كنا سنفعل ذلك بهم فدعونا نخبر العالم أجمع بما سوف نفعله بهم لا أن نخدع الجميع بأن نقول انهم سيحاكمون محاكمة عادلة إذا لم يكن ذلك سوف يحدث.

والحقيقة التى لاتقبل مجالاً للنقاش هى أن هيس كان يعلم ذلك علم اليقين وكان يعلم أنهم معدموه لا محالة وأن تلك المحاكمة ماهى إلا مجرد تمثيليات هزلية أو مسرحية لعرائس الماريونت عرائسها هم المسؤلين فيها والمحركين لهم هم اليهود القذرة الأوغاد من خلف الكواليس ولذلك ورغما عن أنه فى كل جلسات المحاكمة السابقة على جلسة الحكم عليه كان يظل صامتآ للنهاية ولا يتحدث لا بالدفاع عن نفسه ولا باتهام هتلر كما فعل جميع قادة النازى الذين حوكموا حيث إتفقوا جميعهم على خيانة الرايخ الثالث بعد موته ودأبوا على إلصاق التهم فيه وأنه كان متعصباً وديكتاتوراً وانهم بريئون وانهم مافعلوا ما فعلوه إلا لأنهم خافوا بطشه ، وعلى العكس منهم فعل هيس ففى آخر جلسة لمحاكمته وقف وإنتصب بوقفة عسكرية نازية مهيبة تليق بأى قائد عسكرى عظيم وقال أنه يعلم تمام العلم أنهم قاتلوه لأن اليهود القذرين هم المحركين لكل الأحداث وانه يعلم بذلك وأنه لفخر له الآن أن يقف ليعلن على مرأى ومسمع الجميع أنه لم ولن يخن الفوهرر العظيم فى يوم ما حتى وفاته وأنه لكان من دواعى سروره وفخره وشرف له أنه خدم إلى جوار سيده العظيم وقائده الفوهرر وأنه لمن العار والمحزن مارآه من رفاقه وكبار قادة النازى الآن وطول فترة المحاكمة من تزلل وإزلال هاماتهم وتحقيرهم للفوهرر والرايخ الثالث اعتقادًا منهم أنهم بذلك سوف ينجون بحياتهم ، وأنه يعلنها على الملأ بأنه نعم قد خدم قائده وزعيمه الفوهرر العظيم وبكل إخلاص وأنه لن يتنصل من ذلك أبداً حتى وهو يعلم أنه مقتول لا محالة حيث أنهم قاتلوه فى كل الأحوال ولن يتزلل أو يركع أو يحنى هامته وفى آخر كلماته أعلن أنه مخلص للأبد للرايخ الثالث وليفعلوا به ما يفعلوه"

وقد ظل هيس مؤمنًا حتى آخر لحظة فى حياته بالفوهرر ومخلصًا للمبادئ النازية وللوطن الألمانى العظيم وأعلن مرارًا من سجنه لعشاق النازية والمتحسرين على زوال أيام الرايخ الثالث العظيمة أنه سوف يخرج وسوف يؤسس ويتزعم بعد خروجه الرايخ الرابع وسوف يعيد مجد ألمانيا والألمان ، إلا أنه لم يقدر له ان يبصر النور قط مرة أخرى حيث توفى فى محبسه ولم يخرج منه كما كان يأمل إلا ليدفن ليلحق بزعيمه وقائده العظيم " أودلف هتلر " بعد أن ظل على وفائه وعهده له كما وعده فى يوم من الأيام عندما أقسم على إحترام الدستور الألمانى والدفاع بحياته عن الفوهرر، على العكس من رفاقه القدامى الذين أعلنوا كلهم أن هتلر كان هو السبب فى كل شيئ وأنهم ما كانوا يوافقوه إلا لخوفهم من بطشه فما كان جزائهم إلا أن اعدمتهم محاكمات نورمبرج وأبقت على حياة المخلص الوحيد بينهم ، فذهبوا بذلك إلى مزبلة التاريخ فما ماتوا على شرف الطاعة والولاء الذى أقسموا عليه يومًا لقائدهم وما حفظ لهم أعدائهم الحلفاء حياتهم بعد أن أحنوا هاماتهم لهم وتزللوا أمامهم وركعوا ،وهو الشىء الذى لا يليق أبدًا بأى قائد عسكرى حتى ولو كان قذرًا فأشرف له تقبل مصيره وهو مصمم على رأيه وفكره لا أن يساير الموجة التى يعيش معها.

■ ■ ■

3 فيجلاين

□□

كان أحد كبار القادة العسكريين للزعيم النازى هتلر واحد المقربين من قيادة الرايخ الثالث وكان برتبة جنرال ولكنه كان يتمتع بمزايا تفوق رتبته كثيرا حيث كان برتبة جنرال شىء واحد حمل له النهاية مبكرًا هو حبه لامرأة الزعيم هتلر....

قبل أيام من وصول الحلفاء الى أراضى برلين تزوج الزعيم النازى الراحل هتلر من عشيقته ايفا براون التى كانت معروفه للعالم كله لينتحرا معا فى خندق واحد عام ١٩٤٥م.

ولم يكن انتحار العاشقين أو الزوجين فى حد ذاته جريمة عاطفية وانما كان عملية اضطرارية لدوافع سياسية تتعلق بمصير اخر اذا بقيا على قيد الحياه قد يكون اسوأ بكثير من الموت نفسه ويكفى ماشهدة رفاق هتلر الاحياء من محاكمات وعمليات انتقامية ومطاردات دامية لاتزال مستمرة الى يومنا هذا.

الحقيقة ان هتلر فى علاقته العاطفية بايفا براون لم يكن وحده وانما شاركه جنرال من كبار مساعديه.

حيث حاول العاشقان خيانة هتلر بالهروب فى اى مكان بالعالم ولكن هذه العملية عمل لها هتلر الف حساب حيث القى القبض على الضابط العاشق عن طريق فرقة الجوستابوا السريه واعدم بطريقه دراماتيكية وبدون محاكمة عسكرية والتهمة حب امرأة الزعيم هتلر.

كيف اكتشف هتلر خيانة ايفا براون؟

هذا اللغز حير بعض الكتاب ولم يجدوا له حل الى يومنا هذا ويقول بعض الكتاب بأن هتلر عندما اكتشف خيانة ايفا براون له كتم السر طويلا.

هتلر تزوج من ايفا براون قبل ساعات من دخول قوات الحلفاء لبرلين ثم قاما باشعال النار فى الخندق لينتحرا معا كعاشقين امام العالم.

كريستا شرودر هى السكرتيرة المفضله لهتلر حيث كانت تعرف الكثير عن اسرار هتلر وعلاقة ايفا براون بالجنرال فيجلاين الا انها كتمت تلك الاسرار مدة طويلة حتى بداية الثمانينات حيث قامت بكتابة مذكراتها وسلمتها للكاتب الالمانى انطون يواخيم شتالر وقد توفت كريستا عام ١٩٨٤م ومن بين الاسرار التى كانت تخفيها السكرتيرة اوراق خطاب من ماريان شونمان اقرب صديقات ايفا براون حيث كتبت لها خطاب بعد ١٨عام من اعدام فيجلاين تحت الشجرة وتقول فى خطابها لم اكن اتصور بانهم سوف يحبان بعضهما وتقصد هتلر والجنرال وقد حدث هذا التعارف الدامى فى بيرجهوف باقليم بافارياوتم تعيين فيجلاين ضابط اتصال بين القوات العاصفه وهتلر حيث التقا الجنرال بايفا براون فى بيرجهوف بصحبة الجميله ماريان شودمان.

وهكذا عاشت إيفا براون وماتت مع هتلر بخندق واحد... عاشت جميله وماتت مشوهة.

ويسعى كتاب انجيلا لامبرت "الحياة المفقودة لإيفا براون" الصادر عن دار سنشرى فى ٤٩٥ صفحة، إلى التركيز على علاقة إيفا بهتلر وهو الهدف التى سعت المؤلفة فى هذا الكتاب لتحقيقه بكل السبل.

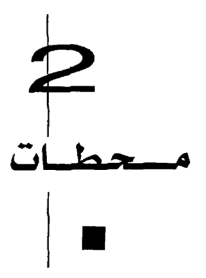
فايفا براون هى محبوبة هتلر التى أثير بشأنها الكثير من التساؤلات فالكتاب يعرض لشهرة هتلر ونجاحه عندما التقى بإيفا عام ١٩٢٩،ذاكرة أن إيفا براون كانت فتاة كاثوليكية جميلة لم تنتسب أبداً الى الحزب النازى الالمانى موضحا أن الشىء الوحيد الذى اعطى المعنى لحياة إيفا كان هتلر، وهى افضل من يعرف ما الذى اعطى المعنى

لحياة هتلر لقد امتلكت إيفا براون هتلر لنفسها فقط عند الموت، ولكن ذلك يبدو الامتلاك الوحيد الذى كان يكفيها.

الجدير بالذكر أن إيفا ولدت فى مدينة ميونخ الالمانية وتلقت تعليمها فى أحد الأديرة، والتقت بالزعيم النازى ادولف هتلر عندما كانت تعمل مساعدة لأحد موظفى هتلر فى عام ١٩٢٩م.

يروى الكتاب أنها كانت تسخر من شارب هتلر عند أصدقائها وكان المؤرخون يصفونها أنها امرأة "ذات ذكاء محدود، وتفان وإخلاص لحبيبها هتلر"، وقد أقدمت ايفا على الانتحار كما يشير الكتاب عن طريق إطلاق النار على رقبتها ويذكر الكتاب هذه الواقعة بالتفصيل، وبعد معافاتها، اشترى هتلر لها منزلاً فى ميونخ وسيارة مرسيدس وعين لها سائقاً خاصّاً، وفى عام ١٩٣٦ م دخلت إيفا براون بيت الفوهرر وأقامت فيه بصورة رسمية كمضيفة للبيت، وكل من كان ينتقد السياسة العامة لحكومة هتلر أو التذمر من الهزائم التى ألّمت بالرايخ الثالث ابان الحرب العالمية الثانية لم يكن مرحباً فيه فى بيت هتلر وحرصت على أن لا تراهم فى بيت هتلر مرة أخرى، وعندما ضيق الجيش الأحمر الخناق على العاصمة برلين، رفضت مغادرة مركز القيادة الالمانية هى وهتلر وفى ٢٩ إبريل ١٩٤٥ م، تزوج الفوهرر وإيفا براون بصورة رسمية وأقدم كلاهما على الانتحار فى اليوم الذى يليه عن طريق احتساء السم.

■■■


2
مـحطـات

محاولة اغتيال الفوهرر

1

□□

يرى الكثيرون ان المتآمرين لاغتيال هتلر ابطال.

وسيكرم المستشار الالمانى جيرهارد شرودر الضباط الذين خططوا لمحاولة الاغتيال فى حفل سيقام بالمقر السابق للجيش فى برلين حيث تم اعدامهم.

وزرع كلاوس شينك فون شتاوفنبرج قنبلة فى ٢٠ يوليو تموز ١٩٤٤ خلال اجتماع فى مقر هتلر فى بروسيا الشرقية وهى الان بولندا.

وانفجرت القنبلة التى كانت موضوعة فى حقيبة لكن هتلر نجا فى النهاية دون ان يتعرض لاذى.

وحالت مائدة اجتماعات دون قتل هتلر فى الانفجار. وكانت هذه اقرب محاولة لاسقاط هتلر والنظام النازى.

وكان فون شتاوفنبرج ضابطا كبيرا بالجيش الالمانى اصيب على الجبهة فى شمال افريقيا. وكان هتلر يثق فى شتاوفنبرج الذى اعتاد ان يحضر اجتماعاته بانتظام.

لكن بعد ساعات من فشل محاولة الاغتيال اعتقل شتاوفنبرج بالاضافة الى ضباط اخرين بالجيش تورطوا فى المحاولة وجرى اعدامهم باوامر من هتلر.

وبعد ٦٠ عاما من محاولة الاغتيال سيقود المستشار شرودر مراسم تكريم هؤلاء الضباط فى حفل يقام فى برلين.

وسيحضر المراسم أيضًا الرئيس الالمانى هورست كولر الذى سيضع باقة من الزهور عند المكان الذى جرى فيه إعدام شتاوفنبرج.

وبث القنوات التلفزيونية أفلامًا وثائقية ونشرت كتب فى المانيا بمناسبة مرور ٦٠ عاما على محاولة اغتيال هتلر.

ويعتبر المان كثيرون الان ان مجموعة المتامرين على هتلر بقيادة شتاوفنبرج من الابطال الذين حاولا تحرير المانيا من النظام النازى لكن بعض المؤرخين يزعمون ان هذه المجموعة اهدرت فرصة عظيمة للاطاحة بهتلر بسبب سلسلة من الاخطاء والافتقار الى التخطيط السليم.

مؤامرة اغتيال هتلر

الرافضون لسياسة الحرب وضعوا له قنبلة تحت المنضدة للتخلص منه!

يتعجب دارس التاريخ من بعض الظواهر التى تظهر على صفحة الحياة، وتفرض إرادتها على الناس، ويذعنون لها، رغم معرفتهم بالنهاية المأساوية التى سوف تجرهم إليها.. ومن هذه الظواهر ظهور أدولف هتلر على سطح الحياة السياسية الألمانية، وإمساكه زمام الأمور فى يده وإعلانه أن ألمانيا فوق الجميع وأن الشعب الألمانى هو أرقى شعوب الأرض.

وكان هتلر متأثرا بأدائه تلك فى عظمة ألمانيا، وأنها فوق الجميع بفلسفة الفيلسوف الألمانى الشهير فردريك نيتشه الذى كان ينادى بفلسفة القوة ونبذ الضعف، وألف كتابا شهيرا (هكذا تكلم زرادشت).. الذى يحكى فيه حكاية الانسان الذى يتفوق فيه على نفسه، والذى يعتبر نفسه فوق الآخرين.. فهم فى نظره مجرد عبيد أو مخلوفات تافهة مفروض أن تكون فى خدمة الأقوياء.

ورغم أن هذا الفيلسوف الألمانى نيتشه انتهت حياته بالجنون، إلا أن حديثه عن القوة.. وفلسفة القوة.. وأنه لامكان للضعفاء والمساكين فى مجتمع الأقوياء.. قد بهرت هتلر، وحاول أن يجعل ألمانيا فوق الجميع، وأن الجنس الألمانى هو أرقى الأجناس وخاصة أنه بدعوته هذه، قد جعل الشعب الألمانى يلتف حوله، لما شعر به من كبرياء جريحة بعد

هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى، وما فرض عليها عقب هذه الحرب من عقوبات، جعلت الشعب الألمانى يشعر بالمهانة.. خاصة بعد انتشار الفقر والتضخم الاقتصادى، والبطالة.

لقد شعر الألمان أن معاهدة الصلح فى فرساى معاهدة ظالمة، وبات الشعب الألمانى يلتمس طريقه للخلاص واستعادة الثقة بنفسها.

وجاء هتلر ليعلن مايدغدغ به حماس الشعب الألمانى، واستطاع بحزبه النازى أن يسيطر على الأمور، ويتولى مقاليد الحكم، ويحكم ألمانيا بيد من حديد، وأخذ يتحدث عن الوحدة الألمانية، وأن ألمانيا تسعى إلى ايجاد مجال حيوى لها.. ونظر ليرى ردود الأقوال أزاء ما يلقيه من خطب نارية تؤجج فى الشباب الألمانى نزعة التفوق على الأخرين، ولكن الغرب كان يخشى قوة ألمانيا العسكرية الصاعدة.. فاثر الصمت.. ومن هنا تجرأ هتلر وأخذ يستعيد الأجزاء التى كانت قد انفصلت عن ألمانيا، وفتح ذلك شهية القوة إلى التهام الدول المجاورة، ثم شعوره بأن فى مقدوره أن يهيمن على العالم، وأن يفرض إرادته عليه، وأنه ليس هناك قوة تستطيع أن تقف ضد طموحاته وتوسعاته، وأنه قادر على أن يجعل الآخرين يجيثون تحت أقدامه، رغم أن هذه الدول الأخرى، تملك مستعمرات عديدة فى أسيا وافريقيا كانجلترا وفرنسا، أو تملك أرضا بالغة الاتساع كالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى!

* * *

واندلعت الحرب العالمية الثانية..

واستطاعت الجيوش الألمانية أن تكتسح أمامها جيوش الدول المجاورة.. وقد شجعه فى أول الأمر 'ستالين' على أساس أن ألمانيا بتحرشها بالغرب، سوف تفتح الطريق للشيوعية للانتشار فى العالم.. وبذلك عقد معاهدة عدم اعتداء مع ألمانيا سنة ١٩٣٩، وبالتالى أتاحت له هذه المعاهدة حرية الحركة هو الآخر ليلتهم دول البلطيق!

* * *

وشعر الغرب بالخطر.

وشعر بضرورة مواجهة الخطر الألمانى..

وبدأ مجابهة جيوش الحلفاء، لجيوش النازية، واشتعلت أوزار الحرب العالمية الثانية.. التى بدأت بالفعل عندما هاجمت ألمانيا بولونيا..

وقد شعر بعض الألمان، أن محاربة المانيا فى جبهات عديدة، سوف يسبب الخراب لألمانيا وانه اذا كان وراء هذه الحرب رغبة هتلر ورفاقه فى السيطرة على العالم، فإن ذلك سيجر البلاء على ألمانيا، ومن هنا فكر البعض فى التخلص من هتلر نفسه، ليضعوا حدا لما يجرى من تدمير وقتل وخراب فى العالم، ولما سوف يجرى لألمانيا نفسها من قتل وتدمير وخراب، لأنه من الصعب أن تواجه العالم كله.

ولكن كيف حدثت هذه المؤامرة؟

وكيف انتهت؟

يحدثنا مؤلف كتاب الحرب العالمية الثانية رمضان لاوند.. عن أحداث هذه الحرب، وتطورها.. إلى أن شملت العالم.

وقبل أن يتحدث عن هذه المؤامرة على هتلر مؤامرة ٢٠ تموز، يحدثنا عن القنبلة الطائرة التى اخترعتها ألمانيا، وهددت بها عواصم الدول المناوئة لها يقول:

الواقع أن هذه القنبلة كانت عبارة عن طائرة نفاثة لاقائد لها فى مقدمتها مجموعة من المتفجرات وزنها ألف جرام، كانت تطير على ارتفاع ألف متر بسرعة ٦٠٠ كيلو فى الساعة أقصى هدف لها على بعد ٤٠٠ كيلو متر، وهى تستطيع بلوغ أهداف واسعة كمدينة لندن، وأطلق الألمان مائة منها فى كل يوم خلال أشهر الصيف الثلاثة، وصل منها إلى العاصمة الانجليزية ٢٤٠٠ وقتل بسببها ٨٤١٦ شخصا، وجرح ١٧٩٨١، وأحدثت خسائر كبيرة، ولكنها لم تستطع تحطيم معنويات الشعب الانجليزى ويقول المؤلف ما ملخصه أن الألمان اخترعوا (القنبلة ف ٢).. وقد استطاعت هذه القنابل أن تقتل فى

لندن ٢٧٢٤ شخصا ويخرج ٦٤٦٧ شخصا أخر، وهكذا بلغ عدد ضحايا القنبلتين ف ١، ف ٢ ٣٥ ألفا.. وعندما أطلق هذه القنابل نفسها على بعض المدن الأخرى أحدثت عددا كبيرا من القتلى والجرحى.

* * *

وعن المؤامرة لاغتيال هتلر يقول:

فى ألمانيا رجال يملكون أسلحة انتقامية، ولكن هذه الأسلحة وجهت ضد هتلر، هؤلاء الرجال هم فئة من الوزراء القدامى والموظفين والاشتراكيين الديمقراطيين، والمثقفين، والشخصيات الدينية.. الخ.. كل الأجنحة السياسية كانت ممثلة فى هؤلاء الرجال المعارضين، ابتداء من المحافظين منهم حتى. الراديكاليين.. لقد كانوا يعارضون هتلر لأسباب كثيرة، منهم من كانت معارضته لأسباب اعتقادية ووطنية، ومنهم لأسباب انتهازية أو تافهة، ولكن الفئة الكبرى من هؤلاء المعارضين كانت تنتسب إلى طبقة ضباط الجيش وأركان حربه.

لقد أدرك بعض هؤلاء الضباط منذ انتصار النازية بأن الجيش لن يكون أكثر من أداة فى خدمة هتلر، وقد ساروا وراءه فى أيام النصر، ولكنهم لم يكادوا يشعرون باقتراب الكارثة حتى بدأوا يتأمرون عليه. وقد كانوا يظنون أن فى وسعهم إيقاف هذه الحرب بعد القضاء على هتلر والزعماء النازيين الآخرين، ثم الدخول فى مفاوضات صلح مع الحلفاء قبل أن يخسروا كل شىء.

من الذين كانوا يشرفون على المؤامرة اللواء (لودفيك بك) رئيس أركان حرب قديم، وكارل جوردلر محافظ سابق لمدينة لينبرج.. الرجل الذى اختير لقتل هتلر هو الزعيم الشاب كلوس فون ليزيج أحد أحفاد ألمع العائلات الألمانية العسكرية، حيث فقد فى حرب افريقيا احدى ذراعيه وثلاثة أصابع من اليد الأخرى، وأصيب فى إحدى عينيه، وكان من الأشخاص النادرين الذين يستطيعون الاقتراب من هتلر بحكم مهماتهم اليومية.

مرتين تراجع هذا الضابط عن قتل هتلر بسبب غياب جورنج وهملر، لأن المتآمرين كانوا يريدون التخلص من هؤلاء الثلاثة مرة واحدة.

وقام شوفنبرج بمحاولته الثالثة خلال مؤتمر عقد فى مقر هتلر فى ٢٠ تموز، فوضع قنبلة عند قدمى هتلر تحت المنضدة، وداخل حقيبة صغيرة.

وقد شاهدها ضابط آخر فأبعدها عن هتلر، ثم وضعها عند قائمة من قوائم منضدة المؤتمر.

هذه القائمة والمنضدة الثقيلة أنقذتا هتلر من الموت.

يضاف إلى ذلك أن المؤتمر قد عقد فى بناء خشبى بسبب حرارة الجو فخفف ضغط الانفجار. وقد قتل على الأقل أربعة ضباط، وجرح عشرون، أما هتلر فقد أصيب بجراح خفيفة.

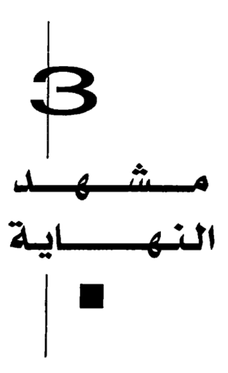
على أنه لم يتماثل من عنف الصدمة بعد ذلك أبدا.

ومنذ ذلك اليوم أصبح هتلر يعتقد أنه موفد العناية الألهية لإنقاذ المانيا. وقد بلغ من إعجابه بنفسه وإشفاقه عليها أنه بات يعتقد بأن ألمانيا ليست جديرة به. ولم يطل الأمر بهتلر، فقد سحق المؤامرة والمتآمرين، وقام بعملية تصفية واسعة بلغت درجة بعيدة من القسوة الدامية.

ويقدر العارفون بأن عدد الذين أعدموا بسبب هذه المؤامرة قد بلغ ٤٥٠٠ شخص.

ويقرر (آلان دالى) أن ألوفا من الرجال لوحقوا واعتقلوا وعذبوا لكى يبقى تاريخ الألف عام ٢٩٠ يوما آخرا!

■ ■ ■


3
مشـــهــد
النهـــاية

هتلر.. كيف تجرعت الهزيمة؟

1

□□

هتلر يجلس فى غرفته ويدخل احد الضباط ليخبره بأن ماريشال الرايخ وخليفته هيرمان غورنج يفاوض الأميركيين على الاستسلام. هتلر يصرخ "هذا الخائن هذا الشاذ هذا المنحرف، اقتلوه بأى وسيلة. هذا قرار عزله اعلنوه من الاذاعة."

الجيش الاحمر على بعد مئات الامتار من ملجأ الفوهرر وقنابل مدافعه تتساقط حول الملجأ. هتلر يتناول الطعام فى الملجأ مع رفاقه وعشيقته: "انا عندى اسلحة سرية وسأنتصر." جنرال من القوة الجوية يسأل هتلر: "لماذا لم تخبرنا بهذا سيدى الفوهرر." فيجيب هتلر: "عندى الف طائرة نفاثة وستغير مجرى الحرب." احد ضباط الاس اس يضيف: "الفوهرر يفكر بكل شئ."

طابور طويل من الدبابات وكأن المدرعات المصرية المدمرة والمحروقة على ارض سيناء. الطيران المصرى مدمر على الأرض. قواعد صواريخ سام سُلّمت بالكامل من دون ان تطلق!! عبدالناصر يقول أنه كان يتوقع ان "تأتى الغربان من الشمال ومن الشرق لكن الغربان اتت من الغرب. هذه غربان جديدة علينا فهى قادرة على الاستدارة ولم يكتشفها الرادار لإنها كانت تطير على ارتفاع منخفض فهى مصابة بإنفلونزا الطيور وستموت حتما." بروفيسور الادب العربى ونتخيل صفاء خلوصى يؤيده من على شاشة تليفزيون بغداد ويقول "قوة الغرب آفلة والحضارة ستعود قريبا الى الشرق. الصين حصلت على القنبلة الهيدروجنية. صناعة القنبلة الهيدروجنية آتية إلينا والقوة عائدة لنا لا ريب يا له من مشهد رهيب."

فى هذه الاثناء يدخل قائد منطقة برلين ليخبر هتلر بأن هناك منفذ للهرب من برلين ويطلب من الفوهرر ان يترك برلين عن طريق هذا المنفذ ليقود الحرب من موقع آخر. الفوهرر يرفض بغضب ويأمر بالقتال حتى الرمق الاخير. ضابط آخر يدخل ومعه برقية تخبره بأن خليفته الجديد هاينريخ هملر يفاوض الاميركيين هو الآخر على الاستسلام. هتلر ينفجر غضبا ويصرخ "خيانة" ويداه ترتعشان واللعاب يسقط من فمه على صحن السبانخ والبطاطس. ثم يشتم هملر ويعزله. هتلر ينزوى الى غرفته ويأمر بجلب مرافق هملر وإعدامه "هملر ما كان سيقوم بهذه الخيانة من دون معرفة مرافقه." احد ضباط الاس أس يحتج "سيدى الفوهرر وأين سأجده ونحن الآن فى قتال شوارع؟" هتلر يصر على تنفيذ امره. عشيقة هتلر، ايفا براون، تذكّر هتلر بأن مرافق هملر هو زوج شقيقتها وهى حامل منه. هتلر يقول لها بهدوء "حبيبتى، هذا هو عقاب الخائن". "انت الفوهرر، تعرف ماذا تفعل." تجيب أيفا براون ولسان حالها يقول ألم يقم موسولينى بقتل زوجة ابنته ووزير خارجيته؟ ألم يقم صدام بقتل زوج ابنته وابن ابن عمه نائب العريف حسين كامل؟ ربما بعد ان يهدأ الفوهرر من غضبه سيقول ان اعدام زوج شقيقتها ينطبق عليه قانون غضب القائد ويعوض اختها براتب تقاعدى وبالاموال المسروقة والمحفوظة فى بنوك الاردن!!

جنود الآس أس يجدون مرافق هملر يمارس الجنس فى احد دور البغاء فيسحلونه من الفراش ويطلقون النار عليه. هتلر يعطى اوامره بقتل كل السجناء. ويصرخ لماذا لم يعدموا كل المشاركين فى محاولة اغتياله قبل عام. جنود الاس أس يبدأون عملية التصفيات الاخيرة بالمعارضين المسجونين منهم وغير المسجونين. هتلر يقرر ان يقيم حفلة عرس. "اجلبوا موظفا مدنيا ليعقد قرانى على ايفا براون." ضابط الاس اس يذكّر الموظف المدنى بأنه يعقد قران الفوهرر. حفلة العرس تتم. ضباط هتلر فى الملجأ يحتفلون، يأكلون ويسكرون بما لذ وطاب. وهتلر يأمر جنوده فى ساحات الوغى بالقتال حتى آخر رجل ويقول لهم سنسلم المانيا ارضا محروقة. ارهابى يفجر نفسه بين الاطفال فى المحمودية. ارهابيان آخران يفجران نفسهما فى جامعين فى خانقين وارهابى آخر يفجر سيارته بين عمال يبحثون عن لقمة خبز فى الكاظمية.

خبير عسكرى (عميد ركن "يمنى") لقناة الجزيرة: الجيش الامريكى لم يدخل بغداد. هذه ليست مستشفى اليرموك وذاك ليس جامع ام الطبول. والقتال الذى جرى امس لم يكن حول مطار بغداد. ان ما تروه من قوات امريكية فى القصر الجمهورى وعلى ضفاف دجلة ليس إلا استعراض امريكى للقوة لا اكثر ولا اقل. بغداد لم تسقط.

هتلر يملى وصيته على سكرتيرته ويطلب قدوم رئيس اطبائه الذى كان يعالج الجرحى فى الملجأ. ضباط هتلر فى الملجأ لا يزالون يحتفلون ويأكلون ويسكرون بما لذ وطاب. الطبيب وهتلر يجربان كبسولة السم على كلب هتلر. يضعان الكبسولة بين اسنان الكلب ويكبسان على فكيه. الكلب يسقط ميتا. صدام حسين يقرر القتال من حفرته ويسأل جرذان الحفرة "اين بقية الجرذان؟ أين عزت الدورى؟ أين طه الجزراوى؟ أين طارق عزيز؟ اين عبد حمود؟ أين محمد سعيد الصحاف؟ أين مزبان؟" اعضاء القيادة القومية لحزب البعث وعلى رأسهم الرئيس الاسبق امين الحافظ يهربون الى الحدود السورية ويتوسلون من سلطات سوريا بالسماح لهم بالعودة الى بلادهم.

هتلر يجمع مرافقيه لتوديعهم. يقف عند زوجة جوبلز وينزع احد أوسمته من بدلته ويعلقه على صدرها. ثم ينزوى مع ايفا براون الى غرفته. احد ضباطه يتصل بمرأب الرايخشتاج ويطلب مائتى لتر بنزين. الطرف الآخر من الهاتف يرد "ومن اين آتى لك بهذا القدر من البنزين؟ كل ما لدى من بنزين هو لسيارات الفوهرر." فيقول له الضابط "لن يكون الفوهرر بحاجة لهذه السيارات بعد الآن. اجلب ما عندك من بنزين وتعال بسرعة." صناديق البنزين تصل الى الملجأ على عجل. زوجة غوبلز تأتى صارخة وتطلب رؤية الفوهرر. الضابط يرفض لأن الفوهرر امر بعدم ازعاجه لكن زوجة غوبلز تصر فيضطر الضابط الى فتح الباب. هتلر يخرج ويداه ترتعشان. زوجة غوبلز تتوسل به وتقول: "لا تتركنا. انت القائد، قدنا ونحن نتبعك." هتلر يعود صامتا الى الغرفة ويوصد الباب. أيفا تتجرع السم ثم يتجرع هتلر السم ويطلق هتلر الرصاص على نفسه. الجنود يقومون بنقل الجثتين الى خارج الملجأ ويرمونهما فى حفرة ويلقون البنزين عليهما ثم

يشعلون النار. قذائف الجيش الاحمر تتساقط فيضطر الجنود الى دخول الملجأ. هتلر وإيفا براون يحترقان لوحدهما من دون انيس ومن دون قداس. زوجة غوبلز تجبر بناتها الستة على تجرع السم اثناء النوم. غوبلز يخرج من الملجأ ليطلق على زوجته ثم على نفسه النار ويقوم الجنود بحرق الجثتين.

مطاعم الماكدونالد تملأ الآن شوارع موسكو. وهناك ايضا فى موسكو سوق للبورصة. و"اليهود" يسيطرون على الأموال فيها وعلى النفط!! هتلر، كيف تجرعت الفشل؟ اقدام جنود الجيش الاحمر تدنس برلين ودريسدن ولايبزج وهاله واقدام جنود الحلفاء تدنس فرانكفورت وميونيخ وكولون وهامبورغ. مدن المانيا اصبحت اطلالا وخرابا والالمان يتضورون جوعا ويأكلون جثث الموتى. هتلر، كيف تجرعت الهزيمة؟

أما تفاصيل الاغتيال فقد جاءت كالتالى حيث وصل خبر مفجع الى هتلر وهو فى مخبئه حين كان الروس على أبواب برلين ومفاد الخبر أن صديق - - - ه الديكتاتور الفاشى موسيلينى ذلك الذى كان يحكم ايطاليا بالحديد والنار قد تم القاء القبض عليه مع زوجت - - ه واعدما رميا بالرصاص ونقلت جثتيهما فى شاحنه الى ميلانو وعلقا من أقدامهما على أعمدة النور فى الشارع الرئيسى ثم ألقيا فى مجرى الماء حتى يستطيع كل ايطالى يود الثأر منهما أن يبصق عليهما وقد تم دفنهما فى مقبرة المتسولين.

شعر هتلر بعد وصول هذه الأخبار السيئة اليه بأن أجله قد حان وأنه مقتول لا محالة. فأصدر أوامره باعدام كلاب الحراسة الخاصة به وقام بتقديم السم لهم جميعا كما قام بتسليم السكرتيرتين الخاصتين به كبسولتين تحتويان على سم قاتل وسريع المفعول وخيرهما فى أستخدامهما اذا أرادتا ذلك عند وصول البرابرة الروس كما كان يسميهم وأمرهما بحرق ماتبقى من أوراقه الشخصية وملفاته الخاصة.

لم يذق هتلر طعم النوم فى تلك الليلة المشئومة وخصوصا بعد علمه بأن الروس قد دخلوا برلين عاصم - ة بلاده واحتلوا معظم أجزاء المدينة.. وفى نهار اليوم التالى وبعد

أن أكل هتلر وجبة غداءه ذهب وبصحبته عشيقته (ايفان براون) التى عاشت معه سنين طويلة دون زواج ويزعم بعض الرواه بأن هتلر قد تزوجها فى أواخر حياته. ذهب معها الى غرفته وكان يقف عند باب الغرفة الدكتور (جويلز مستشاره) الخاص وزوجته التى قامت بعد موت هتلر بقتل أطفالها الـ ٦ قبل أنتحارها كما كان يقف معهم بورمان مساعد الدكتور وآخرون غيرهم وكلهم يتوقع حدوث شىء ما... لم تمض لحظات على وداعهم لهتلر ودخوله حجرته حت ى سمعوا طلقة ناريه واحده لم تتكرر ثم خيم الصمت دقائق وكأنها دهر. قرر الجميع الدخول الى جناح هتلر بعد ماقاموا بطرق الباب عدة مرات دون أن يجيبهم أحد فاقتحموا الجناح ليجدوا هتلر ممددا على الأريكه والدماء تنزف من فمه بغزارة وقد فارق الحياه بأطلاق الرصاصة من مسدسه داخل فمه أما عشيقته ايفان براون فقد انتحرت بابتلاع كبسوله السم سريع المفعول وماتت فى الحال.

كانت الساعه تشير إلى ٣٠ر٣ من بعد ظهر يوم الاثنين الـ ٣٠ من نيسان من عام ١٩٤٥ م وقد كان عمر هتلر ٥٦ عاما قضى منها ١٢ عاما و٣ اشهر حاكما لا لمانيا ومستشارا للرايخ الثالث أكبر قوة فى العالم فى ذلك الحين والذى انهار بعد موته بأسبوع واحد وهرب أعضائه الى جميع أنحاء العالم بأسماء مزوره خوفا من المطاردة والاعتقال.

قام خادم هتلر المخلص (هاينز لينغ) وهو أحد قادة الحرس النازى بنقل جثمان هتلر وعشيقت ـ ه بعد أن لفهما ببطانية عسكرية رمادية اللون وكان وجه هتلر قد تهشم تماما من تأثير الطلق النارى.

تم نقل الجثتين الى الحديقة ووضعتا فى حفرة عميقة أحدثتها احدى القذائف التى سقطت فى اليوم الساب ـ ـ ق لموت هتلر ثم صبوا الزيت عليهما وأشعلوا فيهما النار وبعدها أرتفعت أيدى الجميع بالتحيه النازيه المشهوره ((هاى هتلر))

■ ■ ■

هتلر على الشاشة
نهاية مختلفة
2

□□

قصة نهاية هتلر الحقيقية

فيلم "السقوط" يفرض المقارنة المتناقضة بين برلين وبغدادأول فيلم ألمانى ينقل بتجرد الساعات الأخيرة لهزيمة أدولف هتلر

وترى مجلة "ديرشبيجل" أن فيلم "السقوط" يتحدى عالم "البروباجندا" والدعاية الكاذبة التى حبكت تفاصيل الساعات الأخيرة للسقوط النازى ولشخصية الزعيم، فشوّهت الحقائق وطمستها، خدمة لأهداف المنتصر. وتنظر صحيفة "دى فيلت" من ناحيتها إلى فيلم "السقوط" بأنه أول دليل واقعى غير مشوّه وغير كاذب حول نهاية الحكم والزعيم النازى.إذا، التاريخ هنا "لا يكتبه الأقوياء" بل تكتبه الوقائع والأدلة والمذكرات التى كانت مخفية فى أدراج الأجهزة الإستخباراتية، كما تكتبه الذكريات الحيّة التى نطق بها بعض مرافقى هتلر، من القيادات العسكرية والسياسية، والذين عاشوا معه فى "البونكر" (الملجأ) منذ إطلالة الجيش السوفياتى الأحمر، منتصف شهر نيسان العام ١٩٤٥ على ضواحى برلين، حتى لحظة إنتحاره فى نهاية الشهر.سكرتيرة هتلر تراودل يونجى.. أصدق مذكرات حول السقوطوالجديد فى عملية التأريخ للساعات الأخيرة من سقوط برلين ونهاية الزعيم وحكمه النازى، أن هذا التأريخ لا يأتى من أدراج إستخبارات الحلفاء أو مكاتب الدراسات اليهودية، بل هو خطّ بقلم سكرتيرة هتلر تراودل يونغى التى عاشت مع هتلر وفريق عمله القيادى داخل "البونكر". هذه المرأة الشابة، الموثوقة والمخلصة جدا للزعيم، رافقته فى ساعاته الأخيرة كما رافقت وزير الدعاية النازية

جوزف غوبلز وعائلته، فسجّلت بصدق وإخلاص للتاريخ، كامل التفاصيل فى لحظات الضعف والقوة قبل السقوط والإنهيار. وبالإضافة إلى ذلك، يشكّل فيلم "السقوط" فاتحة الأفلام والوثائق الحقيقية للتاريخ النازى، والتى بدأ الألمان بالكشف عنها منذ الإحتفال بالذكرى السنوية الستين لنزول قوات الحلفاء على شواطىء النورماندى، ومن المقرر أن تكرّ سلسلة أفلام فى العام المقبل (مستقاة من مذكرات جوزف جوبلز الشخصية)، كما سلسلة معارض، لتكشف الوجه الآخر غير المشوّه والمكتوب بأقلام مشاهدين للحدث، لا زال بعضهم حيا يرزق. وعمد المخرج الألمانى برند آيشنجر إلى رسم الشخصيات التاريخية بدقة واختار أهم الممثلين الألمان للقيام بأدوار تتطلب الموضوعية وعزل مشاعر الممثل الشخصية عن الدور، فنجح بذلك إلى أقصى الحدود. والجديد فى فيلم "السقوط" أن المخرج الألمانى لم يهتم هذه المرة لردود الفعل خاصة اليهودية على فيلمه، فلم يبادر كما جرت العادة إلى تشويه هتلر أو إظهاره بشكل كاريكاتورى هزلى، كما فعلت هوليوود الأميركية، بل هو نقل الوقائع، التى كشفت بأن هتلر إنسان كغيره من البشر، فى داخله مكامن للقوة والضعف كما للحب والكراهية. وفى أول تعليق صحافى ألمانى على مضمون الفيلم، جاء أن "هتلر دخل مجددا إلى حياة الشعب الألمانى ولم يعد الحديث عنه وعن خصائله معصية أو جرم يخضع صاحبه للمعاقبة". ويلاحظ فى هذا السياق أنه على الرغم من الدور التاريخى الذى لعبه أدولف هتلر فإن صوره الشخصية على شبكة الإنترنت تكاد تكون معدومة، حيث لا يسمح بإطلالته إلا عبر صور هزلية دعائية سخيفة."بونكر" غرفة العملياتقضى الزعيم النازى أدولف هتلر الشهر الأخير من حياته داخل "بونكر" أى ملجأ تحت مبنى المستشارية هو عبارة عن نفق كبير تبلغ سماكة جدرانه أربعة أمتار من الأسمنت المسلح، وهو يقع على مسافة ٥٠ مترا من مبنى البرلمان الألمانى(البوندستاغ) الحالى فى وسط برلين بالقرب من بوابة براندنبورغ.أبرز "نزلاء" البونكر بالإضافة إلى هتلر كانت عشيقته (لاحقا زوجته) أيفا براون ووزير الدعاية النازية جوزف جوبلز وعائلته (زوجة وستة أطفال) والسكرتيرة الوحيدة تراودل يونجى (توفيت قبل عامين بعد نشر مذكراتها) ومجموعة من ضباط الإستخبارات والشعب

العسكرية والحرس الشخصى لهتلر. هؤلاء عاشوا معا أجواء الساعات الأخيرة فى "بونكر" مجهز بمختلف أنواع المأكولات والتبريد والتدفئة والتهوية ووسط حراسة مشددة وتفتيش دقيق لا يسمح بمرور أو خروج أى شىء من دون تصريح وزير الدعاية جوزف جوبلز وعائلته.. إختار الموت على الإستسلام! وجرى تجهيز البونكر بكافة وسائل الراحة، وخاصة باللوحات الفنية الثمينة التى يحبها هتلر، كما كان مكتبه الشخصى ضيقا (ثلاثة مقاعد) ومتواضعا بمساحة ثلاثة أمتار مربعة لكنه مجهز بما يلزم من وسائل الإتصال هذا "البونكر" إضطرت القوات السوفياتية إلى نسفه وتدميره فى العام ١٩٤٧ بعد أن تحوّل إلى محجّة سياحية واحتفظت المانيا الشرقية بجميع موجوداته، وباستطاعة الزائر اليوم مشاهدة بعض آثار هذا البونكر الذى لم يدمر بكامله وتكشف مذكرات سكرتيرة هتلر أن الزعيم لم يفكر لحظة بالإستسلام بل كان مستعدا للقتال حتى آخر مواطن وكان يكرر أمامها وأمام ضباطه: "إذا كان شعبنا الألمانى غير جدير بالدفاع عن أرضه فيجب أن يزول هذا الشعب"! وكان هتلر يعنى ما يقول فهو أعطى الأوامر بنسف الجسور وتدمير البنى التحتية وقطع مياه الشرب وقطع الإتصالات الهاتفية وطالب بتجنيد الأطفال بعمر ١٦ عاما وإرسالهم إلى الجبهات والدفاع عن عاصمتهم وهم من دون أدنى تدريب عسكرى.. "كان يريد التضحية بكل شىء" تكتب السكرتيرة يونغى فى مذكراتها وينقل الفيلم دمعة هتلر وهو يسمع عن بعض الخيانات، وخاصة عند سماعه بأن رئيس جهاز الإستخبارات (أس.أس) هملر حاول توقيع الصلح مع السوفييت من دون علمه، كما ينقل الفيلم مشاهد عن حفلات السكر والرقص داخل البونكر فى اليوم قبل الأخير للهزيمة، لا حبا بالفرح بل يأسا من الحياة واستعدادا للموت. هنا لأول مرة، يظهر هتلر إنسانا متألما حزينا مغايرا للصورة التى نقلها الحلفاء عنه بأن سعيد لإحتراق شعبه وبلاده.الدفاع عن برلين حتى آخر المانيفى التاسع من شهر آذار ١٩٤٥ وصل الجيش الأاحمر الروسى إلى مسافة ٧٠ كيلومترا من العاصمة برلين ووصل الحلفاء إلى نهر الألب. يومها وجه هتلر أمرا بالدفاع عن برلين حتى آخر رصاصة فى الساعة الثالثة من فجر ١٦ نيسان ١٩٤٥، يتلقى الجيش الأحمر اوامره بإحتلال برلين، وبعد أربعة أيام تبدأ

الإستعدادات للإحتفال بعيد ميلاد هتلر ال ٥٦ داخل البونكر بالترافق مع أصوات المدفعية الروسية التى تدك العاصمة. ترتدى عشيقة هتلر أيفا براون أجمل فساتينها، وتتقبل إلى جانب هتلر التهانى بعيد ميلاده.وعلى الرغم من تزايد الضغط الروسى على العاصمة الألمانية وحدة القصف والقتال العنيف، يرفض هتلر مغادرة العاصمة والإنتقال إلى جنوب المانيا لمتابعة القتال، معتبرا أن العاصمة هى رمز البلاد الأول والقياة تكون منها وليس من الجبال البعيدة.أدركت القيادة العسكرية الألمانية أن سقوط العاصمة برلين بات حتميا على الرغم من ضراوة المقاومة الألمانية من منزل إلى منزل. لم يكن هناك معادلة حسابية تفتح الأمل على الإنتصار:٤٦٥ ألف جندى روسى و١٥٠٠ دبابة روسية مقابل ٩٠ ألف جندى المانى و١٠٠ دبابة المانية.. المعركة غير متكافئة، لكن إحصاء ٨٠ ألف جندى روسى قتيل فى برلين يثبت حجم المقاومة الألمانية دفاعا عاصمتهم.ثلاث محطات قبل الموت

فى ٢٢ نيسان ١٩٤٥ إعترف هتلر بالهزيمة وبدأ التفكير بالإخراج النهائى للفصل الأخير من حياته. طلب إلى عشيقته أيفا براون وسكرتيرته مغادرة البونكر والفرار:"بعد ساعة تسافران على متن طائرة إلى جنوب المانيا". هنا ترفض براون المغادرة وترجوه أن يسمح لها بالبقاء إلى جانبه.. ولأول مرة يقبلها هتلر على فمها علانية بحضور السكرتيرة.وينقل أحد ضباط البونكر فى مذكراته (برند فرايتاغ):"لم يعد لدينا ما نقوم به. لقد أنصبّ تفكيرنا على أفضل طريقة للإنتحار، هل نجرع كبسولة سم زيانكالى أن نطلق النار داخل الفم أم على الصدغ؟". وتجدر الإشارة هنا إلى أن المؤرخ ريتشارد لاكوفسكى يشير إلى أن أكثر من ١٠٠ ألف مواطن ألمانى وضعوا فى الساعات الأخيرة من حياة العاصمة الألمانية حدا لحياتهم بواسطة الإنتحار. كان الموت أهون من الإستسلام للعدو.. وينقل الضابط فرايتاج لا مبالاة هتلر بالموت ورفضه إقتراحا بالهرب بواسطة مركب سريع وإصراره على أن يكون الجندى الأخير المقاتل فى المانيا.يبدأالمشهد الأول فى كوارث النهاية، فى ١٩٤٥/٤/٢٨ حيث يعقد هتلر قرانه على إيفا براون فى حفل هو مزيج من الفرح والحزن. هنا يشرب العريسان الشامبانيا على وقع الموسيقى

ويتقبلان معا التهانى.أما المشهد الثانى، فيبدأ قبل تناول هتلر لطعام الغداء(سباجتى - هتلر نباتى لا يأكل لحم) حيث يطلب حارسه الشخصى أوتو غونشى وخادمه لينغى وينقل إليهما الأمر التالى: سوف أطلق النار على نفسى كما تنتحر زوجتى أيفا وأنا آمركما بحرف جثتى بعد موتى تماما.. وقال هتلر لخادمه بعد سماع صوت الرصاص بعشر دقائق تدخل غرفتى وتطلق النار مجددا على ثم تحرق جثتى".. وللتأكد من فعالية السمّ الذى سلمه إليه طبيبه الخاص، أحضر هتلر كلبه "بلوندى" وحقنه بالسم فمات. عندها إطمأن هتلر إلى الفعالية. ودخل هتلر وزوجته إيفا إلى الغرفة حيث تناولت هى السم وبعد ان تأكد من وفاتها أطلق النار على نفسه ليدخل حارسه الشخصى بعد عشر دقائق ويجهز عليهما برصاص الرحمة كما أمره.. بعد ذلك قام الحارس بنقل الجثتين إلى أحد مخارج البونكر وأحرقهما.. هذه الوقائع حول الوفاة، نقلها لاحقا كل من الخادم والحارس فى المعتقل الروسى.وفى المشهد الكارثى الثالث داخل البونكر، تنقل السكرتيرة مشهدا لوقيعة رهيبة: إنتحار الوزير جوزيف جوبلز وزوجته ماجدة وأطفالهما الستة، وتفضيلهم جميعا الموت على الإستسلام!.هذا الحدث التاريخى ينقله فيلم "السقوط" بتجرد توثيقى لأول مرة بعد مرور ستين عاما على الهزيمة الألمانية فى الحرب العالمية الثانية، وبعيدا عن الأسباب والنتائج، فإن سير المعارك وطبيعة المواجهة وإدارة المعركة فى برلين تفتح الذاكرة الطريّة العود على بغداد وسقوطها. هتلر فى بونكر تحت الأرض يدير المعركة العسكرية ويفضل الإنتحار على الإستسلام للعدو ووزيره غوبلز ينتحر وينحر عائلته، كذلك يدافع سكان العاصمة الألمانية عن مدينتهم ولا يرفعون الرايات البيضاء. حتما سيكون باستطاعة المشاهد العربى لفيلم "السقوط" رسم المقارنة بين سقوط العاصمتين الالمانية والعراقية، وسوف تحضر الملابسات والوقائع إلى ذهن المشاهدين، ولكل منهم حرية التفكير وإستخلاص العبر

■■■



4

أوراق من كفاحي

1 طفــــولتى

□□

يبدو وكأن القدر تعمد اختيار براوناو موقعاً لاولد فيه : فتلك المدينة الصغيرة تقع على الحدود بين دولتين سعينا نحن الجيل الجديد لتوحيدهما بكل ما لدينا من قوة.

فلابد من عودة المانيا النمساوية للوطن الام، وليس بسبب أى دوافع اقتصادية. بل وحتى ان الحق الاتحاد اضراراً اقتصادية، فلابد منه. دمائنا تطلب وطناً واحداً، ولن تستطيع الامة الالمانية امتلاك الحق الاخلاقى لتحقيق سياسة استعمارية حتى تجمع اطفالها فى وطن واحد. وفقط حين تشمل حدودنا آخر المانى، ولا نستطيع تامين رزقه، سنمتلك الحق الاخلاقى فى احتلال اراض اخرى بسبب معاناة شعبنا. سيصير السيف اداة الحرث، ومن دموع الحرب سينبت الخبز للاجيال القادمة. وهكذا يبدو لى ان هذه القرية الصغيرة كانت رمزاً للمسؤلية الغالية التى انيطت بى.

ولكن هنالك صورة بائسة اخرى تذكرنا تلك المدينة بها. فقبل مائة عام، كانت مسرحاً لكارثة ماساوية ستخلد فى صفحات التاريخ الالمانى. فحين انحطت الاوضاع الى اسوء حال ممكن تحت وطئة الاحتلال الفرنسى، استشهد جوهانا، بائع الكتب، فى سبيل الوطن الذى احبه. وقد رفض التخلى عن شركائه وشجب الذين كانوا افضل منه فى قدراتهم. وقد ابلغ احد ضباط الشرطة الالمان عنه الفرنسيين، وبقى العار ملحقاً باسمه حتى الساعة.

فى هذه المدينة الصغيرة، المضيئة ببريق الشهادة فى سبيل الوطن، والتى حكمتها النمسا وإن كان دم شعبها المانياً، عاش والدى فى آواخر الثمانينات من القرن الماضى:

وبينما كان والدى موضفاً حكومياً، رعت امى افراد الاسرة. ولم يبق حالياً فى ذاكرتى سوى القليل عن هذا المكان لاننا سرعان ما رحلنا منه لبلدة باسو فى المانيا.

وخلال تلك الأيام كان التنقل مصيراً محتوماً على الموظف. وهكذا انتقل والدى مرة ثالثة الى لينز، وهناك اخيراً تمت احالته على التعاقد. ولكن ذلك لم يعن له الراحة ابداً. فمنذ طفولته كان لا يطيق البقاء فى المنزل بلا عمل، وهرب فى سن الثالثة عشر الى فيينا وتعلم حرفة وحصل على التجربة والنجاح قبل سن السابعة عشر، ولكنه ما قنع بكل هذا، بل ان معاناة الاعوام الاولى دفعت للسعى وراء مستقبل افضل. وهكذا بحث على وظيفة حكومية، وبعد عشرين عاماً من الصراع الدؤوب، عثر عليها. وهكذا حقق قسمه القديم، وهو الا يعود لقريتة الصغيرة الا بعد ان يكون قد كون نفسه.

حقق الرجل حلمه، ولكن لا أحد فى القرية تذكر الطفل الذى هاجر، بل وبدت له قريته غريبة تماماً، وكانه يراها لاول مرة. واخيراً، وفى سن السادسة والخسين، بعد تقاعده، ما استطاع احتمال الفراغ، فاقتنى مزرعة وعمل فى زراعتها كما فعل اجداده من قبل.

وخلال تلك الفترة تكونت داخلى بوادر الشخصية الاولية. اللعب فى الحقول، المشى إلى المدرسة، وخصوصاً الاختلاط مع اصدقائى العنيفين الذى اقلقت علاقاتى معهم والدتى، كل هذه جعلتنى من النوع النشط الذى لا يرتاح للبقاء فى المنزل. وبالرغم من عدم تفكرى بالحرفة المستقبلية، ما كانت عواطفى ابداً تتجه نحو المسير الذى اتخذه والدى لنفسة. اؤمن بانى حتى آنذاك تمتعت بقدرات بلاغية مميزة ظهرت فى شكل حوارات عنيفة مع زملاء الدراسة. بل وبت زعيماً لمجموعة: ونجحت فى المدرسة بالفعل، ولكنى كنت شديد المراس. اشتركت فى النشاطات الكنائسية، واسكرتنى عظمة هذه المؤسسة العريقة. وبدا لى القس مثالاً لما ينبغى ان اكونه، كما بدا لوالدى من قبل. ولكن الاخير فشل فى التعامل مع قدرات ابنه البلاغية وما استطاع تصور مستقبل ممكن له، بل واقلقه هذا الوضع كثيراً.

هذا الحلم الكنائسى تخلى عنى سريعاً، بعد أن عثرت على بعض الكتب العسكرية التى وصفت المعارك بين فرنسا والمانيا عام ١٨٧٠ ـ , ٧١ عشقت هذه النصوص، وصارت الصرعات البطولية النشاط الفكرى والخيالى الاساسى لكيانى. ومنذ ذلك الوقت صرت اعشق كل ما له علاقة بالجنود. ولكن الاسئلة الصعبة بدأت تفرض نفسها على فكرى : هنل هناك فوارق ـ بين الالمان الذين خاضوا تلك المعارك والاخرين؟ ولماذا لم تشترك النمسا فيها؟ ولماذا لم يطلب من والدى الاشتراك؟ الا ننتمى جميعاً لذات الوطن؟ الا ننتمى سوية؟ بدأت هذه التساؤلات تشغل بالى لاول مرة. طرحت الاسئلة واجابونى بحذر قائلين ان الالمان غير المحظوظين لا ينتمون لذات الدولة التى اسسها بسمارك.

وكان هذا الوضع عسيراً على الفهم.

ثم قالوا لى أن الأوان قد حان للذهاب للمدرسة الثانوية.

أكد والدى انه يرغب فى ان اذهب لمدرسة خاصة لاعداد الموظفين. فهو ـ بسبب تجاربه الحياتية ـ ما راى طائلاً وراء المدارس العادية. كانت رغبته هى ان اصير موظفاً حكومياً مثله، بل وافضل لاننى كنت ساتعلم من اخطائه واستفيد من تجاربه.

لانه تصور استحالة أن أرفض السير على دربه، كان قراره واضحاً، مؤكداً. معاناة عمر طويل ومشاق الحياة وهبته طبيعة متعسفة. وبدا له من المستحيل ان يترك الامر لابنه غير المجرب، الغير قادر على احتمال المسئوليات. بل وتصور انه سيكون مذنباً ان لم يستخدم سلطته لتحديد مستقبله، وراى ان هذه مسؤولية تحتمها عليه الوظيفة الابوية.

ومع ذلك سارت الامور بطريقة مغايرة: فقد رفضت الفكرة بشكل قاطع، وما كان عمرى اكثر من احدى عشر سنة. ولم ينجح الترغيب او الترهيب كليهما فى تغيير رايى. وكل مساعى والدى الذى قص على قصصاً عن تجاربه فى العمل، راجياً ان اقنع به واحبه، ادت لنتائج عكسية. تثائبت واهناً اذ تصورت اننى ساقضى العمر امام مكتب، بدون ان يكون وقتى ملكاً لى، قاضياً حياتى فى تحويل الدنيا الى فراغات يقوم احدهم بملأها فى صورة طلب او وظيفة. واى افكار كان يمكن لمشهد كهذا ان يخلقه فى نفس

طفل طبيعى؟ الوظائف المدرسية كانت سهلة، وامتلكت الوقت الحر لدرجة ان الشمس عرفتنى اكثر من حيطان حجرتى. وحين يبحث اعدائى السياسيين فى الماضى البعيد، ويعثرون على ما يؤكد ان هتلر كان طفلاً شقياً، اشكر الله على انهم قد اعادوا لفكرى ذكريات بعض تلك الايام السعيدة. الغابات والحقول باتوا حلبات الصراع التى قضيت فيها حياتى.

والمدرسة الجديدة لم تغير هذا الوضع.

وطالما كانت معارضتى الأساسية لفكرة والدى نظرية، استطعنا التعايش سوياً. فقد احتفظت بآرائى الخاصة، وما خالفته بصوت مرتفع. ولكن ـ وفى سن الثانية عشر ـ بدأت اطمع فى ان اصير رساماً. ومع ان والدى كان يشجع هذه الهواية، الا انه لم يتصور ابداً ان اسير فى هذا الاتجاه.

ـ "رسام"؟

تشكك حتى فى عقلى، وربما تصور انه لم يفهم ما اعنيه. ولكن بعد ان فهم، عارض الفكرة بكل ما فى طبيعته من عناد. "رسام! فقط بعد موتى." ولكنة اكتشف ان ابنه قد ورث منه ذات العناد. وهكذا بقى الحال زمناً طويلاً. وما كانت النتائج طيبة. فقد اصابت المرارة نفس الرجل الكبير، وما كان باستطاعتى الرضوخ له. وهكذا حين اكد استحالة دراستى للفن، قررت ايقاف الدراسة بشكل عملى، متصوراً انه حين سيرى فشلى الدراسى، سيسمح لى بالسير فى الاتجاه الذى اختاره. كانت نتائجى المدرسية آنذاك غير طبيعية: فكل ما له علاقة بالرسم جلبت فيه افضل النتائج، وفى الباقى اسوءها. ولكن انجازاتى كانت مميزة فى حقلى الجغرافيا والتاريخ الالمانيين، لاننى عشقت هاتين المادتين وكنت افضل التلاميذ فيهما.

وحين أتطلع لتلك المرحلة الآن، بعد مرور السنوات الكثيرة، الاحظ حقيقتين هامتين: فاولاً، صرت قومياً، وثانياً، تعلمت معنى التأريخ. ففى دولة متعددة الاجناس كالنمسا، كان من الصعب جداً ان يعرف الرء معنى الانتماء لالمانيا. فبعد العارك الفرنسية

الالمانية، قل الاهتمام بالالمان فى الخارج، ونساهم البعض تماماً. ومع ذلك، فلو لم يكن الدم الالمانى طاهراً قوياً، لما استطاع العشرة مليون المانى ترك بصمتهم واضحة جلية فى دولة تتكون من اكثر من خمسين مليون نسمة، لدرجة ان الناس تصورت ان النمسا كانت دولة المانية مستقلة.

القليلون ادركوا قسوة الصراع الوحشى الذى خضناه للحفاظ على اللغة الألمانية، المدارس الالمانية، والاسلوب الخاص للحياة: اليوم فقط، حين يحلم الملايين من الالمان بالعودة للوطن الام، ساعين على الاقل للحفاظ على لغتهم القوية، يدرك جل الناس صعوبة هذا الصراع، وربما يقدر بعضهم اهمية هؤلاء الافراد الذين حموا الوطن من الهجمات من الشرق، وحاربوا من اجل ابقاء اللغة المشتركة حين ما اهتمت الحكوات الالمانية الا بالمستعمرات البعيدة، متناسية معاناة الالمان فى الجوار. وحتى الاطفال اشتركوا فى الصراع القومى: اذ رفضنا ترتيد الاغانى غير الالمانية، وارتدينا الثياب التقليدية، بالرغم من التهديد والعقوبات. فمنذ طفولتى لم يعنى شعور "الوطنية" أى شىء لى، بينما عنت المشاعر القومية كل شىء.

وقد كانت دراسة التاريخ دافعاً قوياً لخلق الحس القومى، نظراً لعدم وجود تاريخ نمساوى مستقل. بل إن مصير هذه الدولة مرتبط بالمانيا لدرجة ان ظهور تاريخ نمساوى خاص يبدو مستحيلاً. فتقسيم المانيا لموقعين هو فى حد ذاته جزء من التاريخ الالمانى.

ضرورة توحيد الالمان والنمساويين كانت نتيجة حلماً بقى فى قلوب الجماهير بسبب تذكرها للتاريخ الذى كان بئراً لا ينضب. وخاصة فى اوقات النسيان، سما التاريخ فوق الثراء المرحلى وهمس الماضى للشعب باحلام المستقبل.

تعليم التاريخ فى ما يسمى المدارس الثانوية لا يزال حتى اليوم فى حال يرثى لها. والقلة من الاساتذة تفهم ان الهدف من دراسته ليس حفظ ارقام او تواريخ، مثل يوم معركة، او ساعة ميلاد زعيم، او حتى حين وصول ملك للسلطة. فمعرفة التاريخ تعنى معرفة القوى التى تسبب النتائج المسماة احداثاً تاريخية.

والمعرفة هى : القدرة على تذكر الاساسى، ونسيان كل ما هو غير ضرورى.

وقد يكون احد اهم اسباب تشكيل شخصيتى الحالية دراستى للتاريخ مع أحد القلة الذين عرفوا هذه القواعد وراعوها فى التدريس، الاستاذ ليوبلد بوتش. فقد كان ذلك الرجل العجوز خيراً متقناً لمادته، وتمتع ايضاً بقدرة بلاغية مميزة سحرت اللب وجعلتنا، ونحن نستمع لبعض قصصه، ننسى الحاضر، وكانه ساحر ياخذنا لعصور ماضية، عبر ضباب عشرات السنين، صانعاً من الاحداث التاريخية واقعاً معاشاً. وقد كنا من المحظو ظين جداً لان هذا المدرس عرف كيف ينير الماضى بامثلة من الحاضر، وكيف يجلب من الماضى وقائع تلقى الضوء على الحاضر. ونتيجة لهذه القدرة فهم اكثر من غيره المصاعب التى نعانيها، واستغل مشاعرنا القومية لتقويمنا، مستشداً باحساسنا بالشرف للانتماء للوطن. وبهذه الطريقة نجح فى تهذيبنا بشكل افضل من أى اسلوب آخر.

هذا المدرس جعلنى عاشقاً للتاريخ. وهكذا بث ثورياً بدون ان يسعى هو متعمداً لذلك. فمن يستطيع دراسة التاريخ الالمانى مع استاذ كهذا بدون ان يكره الدولة التى كادت تدمر مصير الامة؟

الم نعرف ان النمسا ما حملت للالمان سوى البغضاء؟ الم نشاهد افعالهم كل يوم؟ فى الشمال والجنوب كان سم الدول الاخرى يدمر جسد وطننا، وحتى فيينا تم تحويلها لمدينة لا المانية. فقد حاولت الاسرة الحاكمة جلب سكان البلاد الاخرى، وخصوصاً التشيك، بقدر الاستطاعة، وكان مقتل السيد فرانسز فوردناد، عدو الالمان الاول، على ايديهم دلالة على عدالة الرب الازلى.

كانت الاثقال التى ناء بحملها الشعب الالمانى هائلة، إذ دفعوا المال والدم، وبلا فائدة. ولكن ما اغضبنى ادعاء ان كل هذا نتج عن علاقات متميزة بين المانيا والنمسا، نتج عنها ان الشعب الالمانى تم تديره بموافقة من الحكومة الالمانية ذاتها. وكانت نتيجة هذا النفاق هو ازدياد الكرهية للحكومة الالمانية لدرجة الازدراء. ولكن حكام المانيا ما فقهوا كل هذا، ومثل رجل اعمى، عاشوا بجوار الجثة متصورين فى سكون الموت ماعة ميلاد حياة جديدة. وهذا التصور الخاطىء ادى للحرب العالمية الاولى والدمار الناتج عنها.

ادركت فى هذه الفترة أن الامة الالمانية ستبقى فقط لو تم تدمير النمسا، وما هو اهم، ان الحس القومى يتعارض كلية مع مشاعر التبجيل للملك. عرفت ان هذه الاسرة الحاكمة لا هدف لها سوى اخماد نار الامة الالمانية. ومع ذلك احببت النمسا كجزء من الوطن الام.

طبع التفكير التاريخى الذى تعلمته خلال هذه الايام ما هجرنى ابداً بعد ذلك. بات التاريخ العالمى مورداً لا ينضب عرفت عن طريقه مغزى الاحداث المعاصرة. وهكذا تحولت باكراً الى سياسى ثائر.

ما كان المسرح سيئاً فى شمال النمسا. فقد شاهدت المسرحيات المختلفة فى سن الثانية عشر، وبعض اعمال الاوبرا كذلك.

كل هذه العوامل دفعتنى لرفض العمل الذى اراد والدى اعدادى له. ايقنت اننى لن استطيع الوصول للراحة النفسية فى أى وظيفة حكومية. سأكون رساماً، ولن تقدر أى قوة فى العالم على جعلى موظفاً.

ومع ذلك، تحولت مع مرور الاعوام الى حب المعمار اكثر من الرسم.

وعلى كل حال، فقد تدخل القدر، واصيب والدى بالجلطة، وانتهت رحلته الدنيوية، وتركنا جميعاً فى حالة من الحزن العميق. لقد كان طموحه الاخير مساعدة ابنه حتى لا يعانى كما عانى ويكرر ذات الاخطاء. وان لم ينجح الا ان البذور التى زرعها لعبت دورها فى خلق مستقبل لم يستطع هو ـ ولا انا ـ ادراكه آنذاك.

وقد رغبت امى فى ان استمر فى الدراسة كما اراد والدى. ثم اصبت بمرض ساعدنى على التغلب على هذا الصراع المنزلى. اذ اكد الطبيب اننى لا استطيع البقاء فى مكتب، والح على ابتعادى عن المدرسة لعام كامل. وهكذا حققت لى الاقدار الهدف الذى سعيت له.

وافقت امى مكرهة اخيراً على ان ادرس فى المعهد الفنى. كانت اسعد ايام العمر امامى ـ الا انها بقت احلاماً لان والدتى توفيت بعد وفاة والدى بعامين نتيجة لمرض قاتل اصابها على حين غرة. احترمت والدى، ولكننى احببت امى، وقد احزننى رحيلها كثيراً.

وهكذا وجدت نفسى مضطراً لاتخاذ قرارات صعبة. الاموال القليلة المتبقية كانت قد أُنفقت فى علاج امى، وما قدمته الحكومة للايتام ما كان كافياً حتى لشظف العيش. وهكذا كان امامى مسؤولية الاستقلال الاقتصادى.

وضعت ثيابى القليلة فى حقيبة، وفى قلبى ارادة جديدة، واتجهت الى فيينا. مثل والدى، قررت ان انتزع من القدر مصيراً ميزاً، وان اكون شيئاً خاصاً، أى شىء، باستثناء موظف حكومى.

■■■

2

أعـوام الدراسـة والمعاناة فى فيينا..

□□

حين ماتت والدتى، حدد القدر اجزاء كثيرة من مصيرى المستقبلى.

خلال الشهور الاخيرة من مرضها، ذهبت الى فيينا لاجتياز الاختيار المبدأى لدخول المعهد الفنى. كنت قد اعددت بعض اللوحات، متاكداً من ان الامتحان سيكون فى غاية السهولة. فقد كنت الافضل فى الفصل فى مجال الرسم دائماً، ومنذ ذلك الوقت، تقدمت قدراتى بسرعة، فاصابنى الغرور.

ومع ذلك، شعرت بالمرارة لان قدراتى على الرسم الهندسى فاقت بكثير قدراتى كرسام. وكل يوم كان ولعى بالفنون المعمارية يتزايد - خصوصاً بعد رحلة لمدة اسبوعين قضيتها فى فيينا فى سن السادسة عشر. وقد كان هدف تلك المرحلة هو دراسة متحف الفن، وان وجدت نظراتى تتطلع اكثر لهيكل المتحف. فمنذ الصباح الباكر وحتى المساء، تجولت فى الاروقة متابعاً كل ما يشغف فكرى، وان كان جل اهتامى قد انصب على المتحف ذاته. لساعات وقفت اما مبنى الاوبرا، وبدا لى المكان ساحراً مثل قصور الف ليلة وليلة.

والآن أذهب فى المدينة الخلابة للمرة الثانية، منتظراً على احر من الجمر نتائج الامتحان. كنت متاكداً من النجاح لدرجة ان سقوطى أصابنى بذهول مطبق. وجين تحادثت مع المسؤول، وطلبت منه التوضيح، اكد لى ان اللوحات التى قدمتها تشير الى عدم توافر الموهبة المطلوبة للرسم لدى، وان اكد ان مجال الرسم الهندسى هو الملائم لى ولم يصدق اننى لم ادرسه البتة. مكتئباً تركت البنى، لاول مرة فى حياتى لا أعرف ما يجدر بى فعله.

عرفت الان انه لابد لى ن دراسة الهندسة. وكان الطريق صعباً: فكل مارفضت دراسته خلال صراعى مع والدى بات ضرورياً. ما كان ممكناً دخول كلية الهندسة بدون الشهادة الثانوية. وهكذا بدا ان حلمى الفنى لن يتحقق ابداً.

حين عدت لفيينا مرة ثالثة، بعد وفاة والدتى، كان الطموح والعناد قد عادا لى. قررت ان اصير مخططاً هندسياً، وكل الصعاب كانت التحدى الذى لابد لى من اجتيازه. كنت مصمماً على مواجهة العقبات، وامامى صورة ابى، الذى بدأ حياته مصلحاً للاحذية، وصعد بجهوده الخاصة الى موقع حكومى جيد. توفرت لدى امكانيات اكثر، وهكذا بدا ان الصراع سيكون اسهل، وما بدا لى آنذك سوء الحظ، امتدح اليوم كمساعدة القدر الحكيم. فبينما ازدادت معاناتى اليومية، ازدادت ارادة المقاومة داخل ذاتى وفى نهاية المطاف تفوقت على غيرها من العوامل. تعلمت خلال تلك الايام الشدة، وتحولت من طفل مدلل الى رجل قُذف به الى قلب المعاناة والفقر المدقع. ومن ثم تعرفت على اولئك الذين سادافع عنهم فى ايام مستقبلية.

خلال تلك المرحلة ادركت وجود خطرين مدقعين يحيطان بالشعب الالمانى، وهما اليهودية والشيوعية. ولا تزال فيينا، التى يتصورها الكثيرنى مدينة اللذات البريئة، تجلب لذهنى اسوء صور المعاناة الانسانية التى عرفتها لمدة خمسة اعوام اضطررت خلالها للعمل، اولاً كمستاجر يومى، ثم كرسام.

ما جلبته من مال لم يكن يكفى حتى لاشباع الجوع اليومى. كان الجوع صديقاً لى آنذاك، وما تركنى للحظة، بل شاركنى فى كل شىء. كل كتاب اقتنيته، وكل مسرحية شاهدتها، جعلته اقرب الى. ومع ذلك، درست خلال تلك الايام اكثر من أى فترة اخرى. باستثناء زياراتى النادرة للاوبرا التى دفعت ثمنها جوعاً، ما كان لدى أى لذة سوى القراءة. وهكذا خلال تلك الفترة قرات كثيراً وبعمق. كل وقت الفراغ المتاح لى بعد العمل قضيته فى القراءة، وبهذه الطريقة جمعت خلال بضع اعوام المعارف التى تغنينى حتى الساعة.

خلال تلك الاعوام، تكونت فى ذهنى صورة للعالم تبقى القاعدة التى استخدمها فى كل قرار اتخذه، وكل تصرف اقوم به. وانا اليوم مقتنع بان كل سلوكياتنا تنبع من آراء تنتج اثناء شبابنا. فحكمة النضوج تحوى الاراء الخلاقة التى ينتجها الفكر الشاب ولا يمكن تطويرها آنذاك، مضافاً لها الحذر الذى يتعلمه الانسان بالتجربة. وهذه العبقرية الشبابية ستكون الاداة الاساسية لخطط المستقبل، التى سيمكن تحقيقها فقط لو لم تدمرها تماماً حكمة النضج.

كانت طفولتى مريحة، بلا قلق يذكر. كنت انتظر مجىء الصباح، بلا أى معاناة اجتماعية. فقد انتميت لطبقة الراسمالية الصغيرة، وكنت لهذا السبب بعيداً عن الطبقات العاملة. وبالرغم من ان الفرق الاقتصادى بين الطبقتين كان محدوداً، الا ان الفاصل بينهما كان شاسعاً. وقد يكون سبب العداء بين الطبقتين هو ان الموظف، الذى ما استطاع الا بصعوبة ترك الطبقات العاملة، يخشى من العودة الى تلك الطبقة المحتقرة، او على الاقل ان يتصوره الناس جزءاً منها. هناك ايضاً الذكريات المخيفة للفقر، وانعدام المعايير الاخلاقية بين الطبقات المنحطة، وهكذا يخشى الراسمالى الصغير أى اتصال مع هذه الطبقة. وهذا الصراع عادة يدمر كل شعور بالرحمة. فصراعنا للبقاء يدر عواطفنا لاولئك الذين تخلفوا ورائنا.

اشكر القدر الذى اجبرنى على العودة لعالم الفقر والخوف، لان التجربة ازاحت عن عيونى غشاء نتج عن تربية الرأسمالية الصغيرة. عرفت الان معاناة الانسانية، وتعلمت التفرقة بين المظاهر الفارغة والكائن الموجود فى داخلها.

كانت فيينا التى شاهدتها احدى اكثر مدن اوربا تخلفاً. الثراء الفاحش والفقر المدقع تجاورا. فى مركز المدينة وحاراتها شعرت بنبض ٥٢ مليوناً. اما المحكمة الفخمة والمناطق المجاورة لها، وخصوصاً المبانى الحكومية،

فجذبت لها الذكاء والثراء. وهذه المناطق كانت كل ما يوحد الشعوب المختلفة الموجودة فى هذه الدولة. فالمدينة كانت العاصمة الثقافية والسياسية والاقتصادية. مجموعة

مديرى الشركات العامة والخاصة، موظفى الحكومة، الفنانين، والمدرسين والمثقفين، عاشت فى مواقع قريبة بجوار الفقراء، وواجهت جيوشاً من العمال كل يوم. خارج القصور المعروفة تشرد الاف من العاطلين، وفى ظلال اسوارها رقد من لا يملكون مسكناً.

معرفة هذه الوضاع المزرية ودراستها لن يتم من مواقع عالية : لا احد ممن لم يسقطوا فى اشداق هذه المعاناة يمكن له ان يفهم الآمها. ومن حاولوا دراستها من الخارج غرقوا فى لغو الحديث والعاطفة، وانا لا ادرى ان كان تجاهل الاغنياء للفقير اكثر ضرراً من افعال اولئك الذين يدعون الشفقة عليه بتكبر وغرور. والنتيجة دائماً سلبية على كل حال، بينما تزداد الوضاع سوءاً. ولا يجدر بالفقير ان يرضى بصدقة بدلاً من ان تعاد له بعض حقوقه.

لم اعرف الفقر من بعيد: بل ذقت طعم الجوع والحرمان، ولم أدرسه بطريقة موضوعية، بل خبرته داخل روحى. وكل ما استطيع فعله الان هو وصف المشاعر الأساسية، وذكر بعض ما تعلمته من هذه التجارب.

لم يكن العثور على وظيفة صعباً، نظراً لافتقارى للتجربة. وهكذا اضطررت للعمل كمساعد عامل او كعامل باجر يومى. حلمت بالهجرة الى امريكا. تحررت من الافكار القديمة عن الحرفة والمركز، المجتمع والتراث، وسعيت وراء أى فرصة متاحة، وتقبلت أى عمل، مدركاً ان أى عمل شريف لا يجلب العار لصاحبه. عرفت بسرعة ان العمل متوفر ويمكن الحصول عليه بسهولة، ولكن يمكن ايضاً بسهولة ان يفقده المرء. بدا لى ان عدم ضمان الوصول لرغيف العيش كل يوم كان أسوأ ما عانيته.

العامل المدرب لا يجد نفسه فى الشارع بيسر مثل العامل غير المحترف، الا انه قد يواجه ذات المصير ايضاً. ولذلك ترى العمال يضربون عن العمل: مما يؤدى للاضرار باقتصاد المجتمع ككل.

ذلك الفلاح الذى يهاجر الى المدينة، متخيلاً سهولة العمل، وقلة ساعاته، والأضواء الكهربائية الملونة، كان قد اعتاد على نوع من الضمان بخصوص لقمة العيش. ففى

القرية، لن يترك عمله الا اذا ضمن لنفسه عملاً افضل منه. ونظراً لوجود حاجة دائمة للايدى العاملة فى الفلاحة، تبقى امكانيات البطالة محدودة. ومن الخطأ تصور ان الفلاح الذى يهاجر للمدينة اكثر كسلاً من ذلك الذى يبقى فى عقر داره. العكس هو الصحيح: فالمهاجر عادة يكون الاكثر صحة ونشاطاً. ولذلك لا يخاف من مواجهة الصعاب. هو يصل ايضاً للمدينة ومعه مدخراته. ولذلك لا يخاف ان لا يصل للوظيفة المرغوبة من اول يوم. ولكن الامور تزداد سوءاً ان عثر على وظيفة ثم فقدها. فالعثور على غيرها، خصوصاً فى فصل الشتاء، سيكون شاقاً بل ومستحيلاً. ومع ذلك، سيعيش وستعاونه الفوائد الحكومية للعاطلين. ولكن، حين تنضب هذه الموارد مع مرور الوقت، ستبدأ المعاناة الحقيقية. سيتشرد الفتى الجائع فى الشوارع، وسيبيع او يرهن ما يملك، وستسوء حال ثيابه، وينحط الى مستوى مادى وروحى فى غاية التعاسة. فتتسمم روحه. وان فقد سكنه فى الشتاء، وهو مايحدث كثيراً، فستكون معاناته فظيعة. وفى نهاية المطاف، سيعثر على وظيفة اخرى، ثم تتكرر ذات القصة مرة ثانية وثالثة، وشيئاً فشيئاً يتعلم عدم المبالاة، ويصير التكرار عادة. وهكذا يتحول هذا الرجل النشيط سابقاً الى كسول يستخدمه الاخرين لمصالحهم. وقد عاش حياة البطالة لوقت طويل بدون ذنب حتى ما عاد يهمه طبيعة العمل الذى يقوم به، حتى ان كان هدفه تدمير القيم السياسية الثقافية الاجتماعية. وحتى ان لم تعجبه فكرة الاضراب، فلن يبالى بها. وقد شاهدت الاف القصص المشابهة للتى اقصها. وكلما شاهدت المزيد، ازدادت كراهيتى للمدينة الكبيرة التى تمتص دماء الرجال وتدمرهم.

فحين جاءوا فرادى، انتمى كل منه للمجتمع، وبعد اعوام، ما انتموا لأى شىء.

وانا ايضاً عانيت وعثاء حياة المدينة: شعر جسدى بصعابها وامتصت روحى معاناتها. وقد شاهدت ايضاً ان التنقل السريع بين العمل والبطالة، وما ينتج عنه من تقلب اقتصادى، يدمر شعور الفرد باهمية الاقتصاد. بدا ان الجسد يعتاد على التبذير حين يتوفر المال، ويستحمل الجوع حين انعدامه. وبصراحة، ان الجوع يقضى على أى ارادة

تسعى للتنظيم الاقتصادى حين يتوافر المال لانه يضع امام ضحيته المعذبة سراب الحياة السعيدة لدرجة ان الرغبات المريضة ستدمر أى قدرة على التحكم ساعة الوصول لاى موارد. وهكذا حين يصل الرجل للمال ينسى كل افكار تتعلق بالنظام والترتيب، ويعيش حياة البذخ ويسعى وراء اللذات الانية. وغالباً ما سيكون لهذا العامل زوجة واطفال وسيعتادون جميعاً على التبذير ثلاث ليال من الاسبوع، والجوع باقيه. وفى ساعات الظهيرة سيجلسون سوياً امام الصحون شبه الفارغة، منتظرين يوم وصول المرتب، متحدثين عنه، حالمين طوال ساعات الجوع بلذات التبذير.

وهكذا يعتاد الاطفال منذ طفولتهم على هذه الاوضاع السيئة.

وقد شاهدت هذه الأوضاع مئات المرات وتقززت منها اولاً، ثم فهمت حقيقة المأساة التى يعيشها هؤلاء الناس الذين باتوا ضحايا لظروف اجتماعية سيئة. وما كان اكثر بؤساً هو اوضاع السكن السيئة. بل اننى اشعر بالغضب حتى هذه الساعة حين اتذكر الغرف الصغيرة والاكواخ الخشبية المحاطة بالقاذورات والاوساخ من كل جانب. وقد خشيت ذلك اليوم المرعب، حين سيخرج هؤلاء العبيد من اقفاصهم للانتقام من قسوة البشرية عليهم.

والمسؤولون والاثرياء يتركون الامور تسير على مجاريها: وبدون أى تفكير يفشلون حتى فى الشك بان القدر يخطط للانتقام من هذا الجور. اما انا فعرفت ان تحسين هذه الاوضاع ممكن بطريقتين: فلابد من وجود احساس عميق بالمسؤولية لخلق اسس افضل للتقدم، ومعه ارادة وحشية تدمر كل ما سيقف فى طريقها ويعوق تقدمها. وكما لا تركز الطبيعة جهودها فى الحفاظ على ما هو موجود، بل تسعى لخلق اجيال ستقبلية افضل، سيكون من الضرورى صناعة قنوات جديدة اكثر صحية منذ البداية.

تجاربى المختلفة فى فينا علمتنى ان المشاريع الخيرية غير مفيدة، والمطلوب تدمير الفوضى الاقتصادية التى تؤدى إلى انحطاط الافراد الخلقى. بل ان عدم قدرتنا على استخدام الوحشية فى الحرب ضد المجرمين الذين يهددون المجتمع سببها هو عدم تاكدنا من برائتنا التامة من الاسباب النفسية والاجتماعية لهذه الظواهر. شعورنا

الجمعي بالذنب تجاه مآسي الانحطاط الاخلاقي يشل قدرتنا على اتخاذ اقل الخطوات قسوة في الدفاع عن مجتمعاتنا. وفقط حين نتحرر من سلطة عقدة الذنب هذه سنقدر على الوصول للقوة والوحشية والضروريين لتدمير الاعشاب الضارة والافكار المارقة.

وبما ان النمسا كانت عملياً بلا قانون اجتماعي صالح، لم تكن الدولة قادرة على التعامل مع هذه الأمراض البتة.

ولا اعرف حتى الساعة ما ارعبني اكثر: هل كان سوء الاوضاع الاقتصادية لمن عرفت، أم انحطاطه الخلقي، ام الضعف الفكري؟

تصور مثلاً هذا المشهد: في شقة تتكون من حجرتين سكنت اسرة عامل تتكون من سبع اشخاص. بين الاطفال الخمسة، كان هناك طفل في الثالثة، وهو السن الذي تتكون خلاله انطباعات الفرد الاولى. هناك بعض الموهوبين الذين يتذكرون هذه الانطباعات حتى ارذل العمر. مجرد ضيق الشقة وازدحامها لا يؤدي لخلق ظروف صحية ونفسية ملائمة للنمو. قد تحدث مثلاً خلافات بسيطة بين افراد كل اسرة، وعادة يذهبون كل الى حجرة مختلفة، وينتهي الامر. اما في شقة صغيرة، فكل سيرى نفسه في مواجهة الاخرين طوال الوقت. بين الاطفال، الخلاف شيء طبيعي، وهم ينسون اسبابه بسرعة. ولكن ان شاهد الاطفال الابوين في حال خصام دائم، تستخدم خلاله الالفاظ النابية، وربما العنف، فستكون النتائج سلبية. سيتصور الطفل العالم بطريقة تخيف من يقدر على تصورها. فقد تم تسميمه اخلاقياً، وما تغذى جسده كما ينبغي. ومن ثم يذهب هذا المواطن الصغير الى المدرسة. بعد صراع مضن، قد يتعلم القراءة والكتابة، اما الواجب المنزلي، فانجازه مستحيل. بل ان والديه سيقذعان المدرسة بابشع الالفاظ. كل ما سيسمعه الطفل لن يعلمه احترام مجتمعه. سيكره المدرسين وكل انواع السلطة. وحين يُطرد من المدرسة بعد ذلك، سيلاحظ الناس غباءه، وجهله، وكذلك سوء اخلاقه. أي موقع سيستطيع هذا الشاب اليافع لوصول اليه في ظروف مثل هذه؟ كل ما لديه هو كراهية المجتمع والبشرية. وبعد هذا، في سن الخامسة عشر، سيبدأ ذات الحياة التي عاشها والده، فيذهب للخانات، ويعود متاخراً لمنزله، وينتهي به الامر في السجن.

وكم من مرة غضب الرأسمالى اذ سمع العامل الفقير يقول انه لا يهتم سواء أكان المانياً ام لا، ما دام يجد الغذاء والكساء: فقدان الشعور القومى بهذه الطريقة فظيع. كم من الالمان فى عصرنا يشعرون بالفخر ان تذكروا انجازات امتهم الثقافية والفنية؟ وهل يدرك المسؤولين ان الشعور بالفخر والعزة الوطنية لا يصل الا لقلة من افراد الشعب.

لذلك لا بد من تحسين الاوضاع المعيشية ومن ان يركز التعليم على قيم اساسية تتفشى فى اذهان الناس عبر التكرار.

ولكن المانيا، بدلاً من الدفاع عن القيم القليلة الموجودة، تسعى لتدميرها. والفئران التى تبث سمومها فى القلب والذاكرة تنجح فى الوصول لغاياتها، بمساعدة الفقر والمعاناة: يوماً بعد يوم، فى المسارح ودور السينما، نرى السم يُقذف على الجماهير، ثم يتحير الاثرياء فى اسباب انحطاط القيم الاخلاقية للفقراء، وانعدام الشعور الوطنى بينهم.

قضية خلق الشعور الوطنى اذن تعتمد على توفير ظروف ملائمة لتعليم الافراد لأن اولئك الذين يتعلمون عن طريق الاسرة والمدرسة فقط هم الذين سيستطيعون تقدير الانجازات الثقافية والاقتصادية والسياسية لوطنهم لدرجة الانتماء لذلك الوطن. استطيع ان احارب فقط من اجل ما احب، واحب فقط ما احترمه، وأحترم على الاقل ما اعرفه.

ومع ازدياد اهتمامى بالقضايا الاجتماعية، بدأت اقرأ المزيد عنها، وفتح عالم جديد ابوابه لى.

خلال الأعوام ١٩٠٠ ـ ١٩١٠ تغيرت اوضاعى لاننى ما عدت اعمل كعامل، بل بدات العمل كخطاط وراسم بالالوان المائية. ومع ان المال ما كان كافياً، الا انه كفى لتحقيق طموحى آنذاك. اذ استطعت الرجوع للمنزل وانا قادر على القراءة بدون ان يدفعنى التعب من عمل اليوم للنوم فوراً. بات بعض وقتى ملكاً لى.

تصور الكثيرون أننى غير طبيعى : ولكننى تابعت ما اعشق، الموسيقى والعمران. كنت اجد فى الرسم والقراءة كل اللذات وسهرت كثيراً حتى الصباح مع لوحة او كتاب. وهكذا كبرت طموحاتى، وحلمت بان المستقبل سيحقق امالى، وان بعد حين. كذلك تابعت قضايا السياسة وقرات المزيد عنها لاننى ارى ان التفكير فى شؤونها وظيفة تقع على عاتق كل مواطن يفكر. وبدون معرفة شىء عن طبيعتها لا يحق للفرد النقد او الشكوى.

ما اعنيه بالقراءة يختلف عا يقوله دعاة الثقافة فى عصرنا. فقد عرفت رجالاً قرؤا كثيراً، ولكنه ما كانوا مثتقفين. نعم، هم عرفوا الكثير من المعلومات، ولكنهم ا استطاعوا تسجيلها وتنظيمها. وهكذا افتقدوا فن تمحيص القيم من الغث، والتحرر مما كان بلا فائدة، والاحتفاظ بالمفيد معهم طول العمر. فالقراءة ليست غاية فى حد ذاتها، بل وسيلة لتحقيق الغايات. وظيفتها الاساسية هى ملأ الفراغ المحيط بالمواهب والقدرات الطبيعية للافراد. المفروض هو ان نقدم للفرد المعدات التى يحتاجها لعمله الحياتى بغض النظر عن طبيعة هذا العمل. كذلك، يجدر بالقراءة ان تقدم رؤية معينة للوجود. وفى كلا الحالين، الضرورى هو الا تتحول محتويات الكتاب الى الذاكرة بجوار كتب لاحقة، بل ان توضع العلومة المفيدة بجوار غيرها لتوضيح الرؤية الاساسية فى فكر القارىء. وان لم يحدث هذا، ستتجمع المعلومات بشكل فوضوى فى الذهن، بلا قيمة سوى خلق الكبرياء. فالقارىء من هذا النوع سيتصور انه قد عرف المزيد، وان كان فى الواقع يبتعد اكثر فاكثر عن الواقع حتى ينتهى المطاف به فى مستشفى المجانين.. او مجلس الشعب، وهو ما يحدث كثيرا. وهو لن يستطيع اذاً الاستفادة مما قراه.

أما القارىء الناجح، فيستطيع بسرعة ادراك ما سيستفيد منه وترك الباقى. المعلومة المفيدة ستصحح الاخطاء، وتوضح الصورة الكلية. ثم، حين تضع الحياة سؤالاً امام القارىء، ستعرف ذاكرته كيف تجلب الاجزاء المطلوبة للاجابة، وتقدمها للعقل حتى يختبرها ويتحقق بشانها، حتى تتم الاجابة على السؤال. وهذه هى القراءة المفيدة. ومنذ صباى حاولت القرائة بهذا الأسلوب، وفى هذا المسعى عاوننى الذكاء والذاكرة. اما تجارب الحياة اليومية فقد دفعتنى لقراءة المزيد والتفكر بشانه. وفى هذا السعى عاوننى

الذكاء والتجارب. وهكذا وجدتنى اخيراً قادراً على الربط بين النظرية والواقع، وعلى اختبار النظرية فى ظل الواقع، ونجوت بهذه الطريقة من الكبت الذى تخلقه النظرية لمن لا يعرف سواها، ومن التفاهة التى يحياها من لا يعرف سوى الواقع اليومى المعاش.

خلال تلك المرحلة دفعتنى تجارب الحياة الى دراسة سؤالين آخرين، كانت الماركسية احدها. فما عرفته عن الفكر الديمقراطى كان قليلاً وغير دقيق. آنذاك، اسعدتنى فكرة الصراع من اجل حقوق الانتخاب. فحتى فى ذلك الزمن الباكر، كنت أدرك بان هذا سيضعف من سطوة السلطة الجائرة فى المنسا. وكلما زادت اللغات المستخدمة فى مجلس الشعب النمساوى الذى بات مثل - بابل - بدا تشتت تلك الدولة الحتمى وشيكاً، ومعه ساعة تحرر الشعب الالمانى.

نتيجة لكل هذا، لم اتضايق من حركات الديمقراطية الاجتماعية. بل ان ادعاءاتها بمساعدة الطبقات الفقيرة بدت لى من العوامل التى وقفت فى صفها. ولكنى رفضت فى هذه الحركات عدائها لكل محاولات المحافظة على الشخصية الالمانية، ومغازلتها "للرفاق السلاف"، الذين ما تقبلوا من افكارها الا ما سيستفيدوا منه، وتركوا الباقى باحتقار تام.

حدث لقائى الاول مع هذه الحركات خلال عملى كعامل بناء.

وكانت التجربة سيئة منذ البداية: كانت ثيابى نظيفة، ولغتى جيدة، وسلوكى حذراً. كنت لا ازال اسعى وراء مصيرى لدرجة تجاهل الناس حولى. بحثت عن العمل فقط خوفاً من الجوع، وللاستمرار فى الدراسة. ربما ما كانت القضية ستهمنى البتة لو لم يطلبوا منى فى اليوم لرابع الانضمام لتجمعهم. ونظراً لجهلى بالموضوع، رفضت موضحاً اننى لا اعرف ما يكفى عنهم للانضمام اليهم. ربما لهذا السبب لم يعادوننى، بل ورغبوا فى اقناعى بالانضمام الى صفوفهم. ولكننى خلال الاسبوعين القادمين عرفت افكارهم جيداً، وما عاد باستطاعتى البتة الانضمام لمجموعة بغضتها.

ساعة الظهيرة حين كنا نتناول الطعام فى الحانة: كنت اشرب الحليب وآكل الخبر فى زاوية متطلعاً لهم بحذر او متاملاً حظى السىء. وهكذا استمعت لهم، بل انهم جاءوا

بجوارى حتى استمع واتخذ موقفاً. وما كان امـامى منفذ آخر لان ارائهم اغضبتنى جداً: قـالوا ان الحس الـوطنى نتج عـن اعـلام الطبـقـات الراسـمـاليـة، وانه عـبـارة عن سـلاح يسـتـخـدمـه الاثرياء لاسـتـغـلال العـمـال، والمدرسـة ليست سوى مؤسسـة لانتاج العبـيد واسـيادهـم، اما الدين فـادعـوا انه اسلوب لتخدير الشعوب حتى تسهل السيطرة عليهم، والاخلاق ليست سوى دلالة على الغباء. ما كان هناك ما لم يلقونه فى الوحل. فى البداية لذت بالصمت، ولكننى سرعـان ما بدأت باتخاذ مواقف فكرية مخالفة، وقرأت فكرهم وناقشتهم بشانـه. واستمر النقاش حتى قرروا استخدام سلاح يقهر العقل بسهولة: وهو البطش والارهاب. وهكذا طلبـوا منـى الذهاب وهددونى بانهم سيلقوننى فى لخارج ان رفـضت. وهكذا خسـرت عـملى، وفـى نفسـى سـؤال مـريـر: هل هؤلاء فـعـلاً بشـر؟ وهل يستحقون شـرف الانتمـاء لامة عظيمـة؟ وكان السؤال صـعباً. وان كانت اجابته بالايجاب، فان الصراع فى سبيل القومية لن يستحق التضحية والمعاناة، اما ان كانت الاجابة بالنفى، فان امتى ستفتقر بالفعل للانسان.

ومن المؤكد ان مـلايين العمـال بدأوا برفض الحـركـات اليسـارية، ولكن الراسمـاليين ذاتهم دفعوهم لأحضانها بطريقة مجنونة: اذ ان الاثرياء رفضوا كل محاولات تحسين اوضـاع العـمـال، سـواء اكان الهدف تحسـين الاوضـاع الصحيـة فى المصانع عبـر تطوير الالات، او منع عمـالة الاطفال، او حمـاية المرأة الفقيرة اثنـاء فترة الحمل. وقد كان رفض هذه الافكار مخزياً بالفعل، ودفع العمـال لاحضـان اليسـار. ولن تستطيع الراسمالية ابداً التحـرر من اضرار رفضهـا للاصلاح الذى بذر الكراهية بين الغنى والفقير ودفع بالعمال الى الاحزاب اليسارية.

خـلال تلك الفتـرة، رفضت ايضـاً اتحادات العمـال، وان كنت خاطئاً فى هذا الاتجـاه. ففى سن العشرين عرفت ان الاتحـاد العمـالى سعى للدفاع عن الحقوق الاجتماعية لهذه الطبقة، وان هدفه الاسـاسـى كان تحسين اوضـاعهـا الاجتمـاعية. فـالعامل لا يستطيع ان ما رضى بعمله، استبداله بآخـر. فاما ان يكون تحسين الاوضاع الاجتماعية فى مصلحة

المجتمع او لا يكون. وان كان، فلابد من الصراع لتحسين هذه الاوضاع. ولكن العامل لا يقدر وحيداً على مواجهة قوة الراسمالى الثرى. ولذلك كانت الاتحادات ضرورية. ولكنها منذ بدايات القرن العشرين بدات تفقد دورها الاجتماعى الاساسى، ومع مرور الاعوام تحولت الى سلاح تستخدمه الاحزاب الشيوعية فى صراعها الطبقى. وهكذا بات هدفها تدمير اقتصاد المجتمع، وتغييره، بدلاً من اصلاح الاوضاع السيئة ـ التى كان اصلاحها خطراً اذ انه قد يقنع العمال بتقبل اوضاعهم، ولا يسمح للشيوعيين باستغلالهم بذات الطريقة البشعة. تطلع زعماء الاتحادات بخوف لامكانيات الاصلاح لدرجة انهم رفضوا اى محاولة للتغيير للافضل، وهاجموها بقسوة شديدة. ثم تقدموا بطلبات مستحيلة ما كان للراسماليين بد من رفضها، ثم ادعوا ان هناك مؤامرة لتدمير العمال واستغلالهم. ونظراً لضعف قدرات هذه الطبقة الفكرية، ما كان النجاح صعباً.

وهكذا عرفت طبيعة العلاقة بين هذه العقيدة المدمرة والطبائع الحقيقية لأناس ما عرفت بعد أى شىء عنهم. وقد كانت معرفتى باليهود فقط هى ما اوضح لى الطبيعة الحقيقية الخفية لنشاطات اتحادات العمال، الديمقراطية ظاهراً، الشيوعية فى الخفاء.

لا اتذكر بالضبط متى بدات بالتفكير بشكل جدى بالقضية اليهودية. لا اعتقد اننى استمعت لهذه الكلمة فى منزلنا اثناء طفولتى. اعتقد ان والدى كان سيتضايق من الاهتمام بهذه القضية بل ويعتبر التركيز عليها نوعاً من انواع التخلف. وبسبب تجاربه المختلفة، وصل لنوع من العالمية التى، بالرغم من وطنيته، اثرت على بشكل ما. وما رايت فى المدرسة ما دفعنى لتغيير افكارى. واتذكر الان وجود شاب يهودى معنا فى المدرسة، ولم نكن نثق به بسبب تسريبه للاخبار من شخص لآخر. ولكن هذا لم يدفعنى للتفكير بالامر بشكل جدى.

فى سن الخامسة عشر، استمعت لحوارات دينية وسياسية تناولت القضية اليهودية، ولكنى ضقت ذرعاً بها نظراً لطبيعتها الدينية. كان هناك بعض اليهود فى لينز. ومع مرور القرون، تغيرت طباعهم ومظهرهم لدرجة اننى اعتبرتهم المانا. يا للبلاهة! تصورت

انه لا فرق بيننا وبينهم سوى الدين. حقيقة معاناتهم للاضطهاد بسبب دينهم، كما تصورت واهماً، دفعتنى للغضب حين سمعت الناس ينتقدونهم.

ثم جئت الى فيينا.

وبسبب اهتمامى بالمعمار والصعاب التى واجهتها، لم الاحظ وجود مئتا الف يهودى بين المليونين الذى يقطنونها. غمرتنى الافكار والقيم الجديدة. وفقط مع عودة الوعى والتروى وضحت الرؤية. فى البداية، اغضبتنى للغاية انتقادات بعض الصحف المحلية لليهود، وتصورت انها رجعة لتطرف العصور الوسيطة. وبما ان المجلات المعنية ما كانت حسنة السمعة، تصورت ان القضية لا تزيد عن كراهية وحسد. واكد صحة هذا الراى الاسلوب النبيل الذى استخدمته الصحف الكبيرة فى الرد على هذه الاتهامات، او رفضها احيان كثيرة مجرد التعليق عليها، وقتلها بالصمت المطبق.

قرأت الصحافة الدولية وأذهلنى وسع افقها ومواضيع مقالاتها. احترمت سموها الفكرى، وان ضايقنى احياناً ما اعتبرته نوع من النفاق على حساب الحقيقة. فقد رايت مغازلة هذه الصحف للسلطة. وما حدث امر يتعلق بالحكومة، الا ووصفوه بحماس منقطع النظير. وفى ذات الان، كانوا احياناً يهاجمون الحكومة القيصرية فى المانيا. كانت موضوعيتهم اذاً عبارة عن احترام مصطنع لاتفاقية بين دولتين. شعرت بسطحية هذه الصحافة، وبدات الاحظ نقاط ضعفها. قراتها الان بحذر، ولاحظت ان الصحافة المعادية لليهود، كانت اكثر صراحة احياناً. بل ان بعض ما نُشر على صفحات الاخيرة كان يدفع للتفكير.

وفى يوم لاحظت يهودياً فى شوارع فيينا وتطلعت له متسائلاً: هل هذه الرجل المانى؟ كالعادة قمت بالقراءة عن هذا الموضوع، وكانت الكتب سيئة. الكتاب يتصورون ان القارىء يعرف كل ما هو ضرورى عن اساسيات الموضوع، وجله قدم افكاراً غير علمية البتة. تراجعت، وخشيت ان تتكون لدى اراء غير عادلة بهذا الشان.

ما بات واضحاً لى هو ان اليهود ما كانوا المانا، بل شعباً خاصاً. فمنذ ان بدأت بدراسة الموضوع بت الاحظهم. وكانت تصرفاتهم واخلاقياتهم واشكالهم تخالف تماماً

الالمان العاديين. بل انني عرفت ان هناك بينهم حركة تدعى الصهيونية تؤكد على انهم شعب خاص. وكان واضحاً ان بعضهم وافقوا على هذه الفكرة، وعارضها آخرين. ولكن المعارضين للصهيونية بدوا لى كاذبين لأنهم لم يرفضوا الصهاينة كمارقين، بل كيهود يقدمون افكاراً خطيرة واساليب ضارة للتعبير عن هويتهم الدينية. وهكذا كانوا جميعاً جسداً واحداً، الصهاينة وغيرهم.

خلال فترة قصيرة تقززت من الحوار بين اليهود الصهاينة واليهود غير الصهاينة لان الحوار بدا لى مبنياً على خداع كاذب لا يتلائم مع السمو الخلقى والطهارة التى يدعيها الشعب المختار لنفسه.

ثم لاحظت ايضاً الدور الذى يلعبونه فى الحياة الثقافية: ولا ادرى هل يوجد اى نوع من انواع الفساد الاخلاقى والثقافى بدون ان يكون احدهم وراءه. لاحظت دورهم فى الصحافة، الفن، الادب، المسرح. لم احتاج سوى لقراءة الاسماء وراء كل انتاج يسعى لهدم البنية الاخلاقية للمجتمع، وفى جميع الميادين. ان انتجت الطبيعة واحداً مثل جوتة، فهناك مقابله الاف من هؤلاء الذين يبثون السموم فى ارواح الناس. وبدا كأن الطبيعة قد خلقت اليهود للقيام بمثل هذه الادوار.

تسعة اعشار القذرات فى ميدانى الادب والمسرح انتجها الشعب المختار، وهم لا يزيدون عن ١٪ من السكان. اما الصحافة الدولية التى احببتها يوماً فكان غالب كتابها منهم. ادركت الان ان اسلوبهم الموضوعى فى الرد على مهاجميهم، والتزامهم الصمت احياناً، ما كانا سوى خداعاً يهدف للسيطرة على الناس. لاحظت ان الاعمال المسرحية والادبية التى يمتدحونها هى التى يقدمها اليهود، اما الاعمال الادبية الالمانية، فانتقدوها دائماً بقسوة بالغة. ما اختبا وراء الوضوعية المصطنعة كان العداوة الشديدة لكل ما هو المانى.

ولكن، لمصلحة من كان كل هذا؟

هل كان كله محض صدفة؟

بت غير واثق شيئاً فشيء.

ثم لاحظت الأخلاقيات اليهودية فى الشارع. علاقتهم بالدعارة، بل وباستعباد البيض، كان واضحاً جداً فى فيينا. وهكذا حين ادركت ان اليهودى هو ذلك المرابى البارد القلب، المنعدم الحياء، الذى يستثمر امواله فى هذه التجارة الفاسدة التى تدمر المجتمع، ارتعشت اطراف جسدى.

بدأت بمناقشة القضية اليهودية، وتعودت ان اراهم فى مختلف فروع الحياة الثقافية. ولم استغرب حين عرفت ان زعيم الحزب الديمقراطى الذى تحدثت عنه أعلاه كان يهودياً.

وحتى فى علاقاتى اليومية مع العمال، لاحظت قدراتهم المذهلة على تقبل اراء متعاكسة، متذبذبين بين اتجاه وآخر احياناً خلال ساعات او ايام محدودة. لم استطع ان افهم كيف يمكن لاناس، حين تتحدث مع احدهم، يبدو لك منطقياً واقعيا، ان يتحول فجاة تحت تاثير رفاقه لاراء معاكسة لكل منطق. احياناً شعرت بالياس التام المطبق. فبعد ساعات قضيتها فى حوار مضنى، شعرت باننى ساعدت فى تحرير احدهم من هراء آمن به، وسعدت لنجاحى، ولكنى سمعته يكرر ذات الهراء ثانية صباح اليوم التالى، وذهب جهدى هباء.

فهمت انهم لم يكونوا قانعين باوضاعهم ويغضوا القدر الذى عاملهم بقسوة شديدة، والرجال الذى بخسوهم الاجر وما فهموا معاناتهم، وانهم تظاهروا ضد ارتفاع الاسعار، كل هذا كان مفهوماً. ولكن ما لا افهمه كان كراهيتهم لجنسهم ووطنهم، واحتقارهم له، وتدميرهم لتاريخه. كان هذا الصراع ضد جنسهم وقبائلهم وبلادهم تدميراً للذات. وان امكن معالجتهم منه، فلساعات محدودة.

ثم لاحظت ان صحافة الديمقراطيين تحكم فيها اليهود: ومع ان ظروف العمل فى هذه الصحف شابهت غيرها، الا اننى لم اجد بينها واحدة يمكن اعتبارها حسب رؤيتى الخاصة، وطنية. كانت الصحافة التى يديرها اليهود شيوعية فى العادة، واسعدنى هذا. اذ عرفت ان الحزب الذى كنت اتصارع معه منذ شهور كان اجنبياً، فاليهود ما كانوا ابداً المانا.

عرفت الان من اغوى شعبنا لطريق الظلال.

عرفت ايضاً ان انقاذه ممكن.

أما اليهودى، فارائه الضالة لا تتغير ابداً.

فقد حاولت آنذاك مناقشتهم: تحدثت كثيراً واوضحت شرور الفكر الماركسى، ولكن بلا فائدة سوى ان يبح صوتى. واحياناً،حين نجحت فى اصابة احدهم بضربة فكرية مميتة، وشاهد جميع السامعين هذا، واضطر غريمك للموافقة، فانه سيعود صباح اليوم التالى لموافقه ذاتها، وكان أى تغيير لم يحدث.

وكان لكل هذا فائدة: فكلما فهمت اساليب اليهود وخداعهم بشكل افضل، زاد عطفى على العمال وادركت انهم ضحايا لهذه الاساليب واغوائها.

تراجعت عن الافكار الدولية وبت ناقماً على اليهود. وحين درست نشاطاتهم عبر القرون، تساءلت : هل كتب القدر لهم التوفيق والسيطرة على الاخرين، لاسباب لا نعرفها؟ هل يمكن ان يكون النصر حليفاً لامة ما عاشت الا للدنيا؟

تفكرت مرة اخرى فى عقائد الماركسية، وتعلمت اشياء جديدة: ان هذه العقيدة ترفض فكرة الصفوة الارستقراطية الموجودة فى الطبيعة وتستبدل القوة الفكرية بالكثرة العددية. وهى لهذا السبب ترفض أى قيمة فردية، وتعارض الفكر القومى، وتسحب من الانسانية ثقافتها. انها فكرة كفيلة بتدمير أى حضارة، وان انتصر اليهودى بمعونة هذا الفكر، فان نصره سيكون الدمار النهائى للانسانية.

ولذلك اشعر اننى اتصرف بمعاونة الخالق العظيم ومن اجل تحقيق اهدافه السامية لمصلحة البشرية حين ادافع عن نفسى ضد اليهودية واعلن الحرب عليها.

■ ■ ■

مفتاح الاشتراكية

3

□□

بعد أن تبينت حقيقة الاشتراكية الديمقراطية على ضوء الحوادث، انكببت على دراسة نظريات أئمة هذه الحركة، فاستحوذ على قلق شديد، اذ وجدتنى أمام عقيدة مستوحاة من الأنانية والحقد، عقيدة يعنى انتصارها تسديد ضربة قاضية الى البشرية، ومالبثت أن اكتشفت قيام صلة بل صلات وثيقة بين هذه العقيدة الخطرة وبين المبادئ التى يروج لها اليهود، وأدركت مع الأيام أن المرامى البعيدة للحركة الاشتراكية الديمقراطية هى نفسها المرامى التى

لليهود كشعب، ولليهود كدين، وللصهيونية كحركة سياسية قومية فى حداثتى كنت أعتبريهود بلادى مواطنين،

ولا أقيم كبير وزن لاختلاف الدين والعادات، وفى "لانز" وبخت صديقاً لى لأنه أهان تلميذاً يهودياً لأنه يهودى، وظلت هذه نظرتى الى اليهود الى أن انتقلت الى " فينا "، وتوفرت بعد لأى على دراسة هذا العالم الجديد فبرزت أمامى المسألة اليهودية فى زحمة المسائل التى كانت تواجه النمسا، حكومة وشعباً، وقد تبينت هذه المسألة بادئ ذى بدء من خلال حملات الصحف المعادية للسامية، ولكنى رددت هذه الحملات الى التعصب الأعمى، ولاحظت أن الصحف التى تهاجم اليهود ضعيفة الرواج، وأن الصحف الكبرى ترد عليها باسلوب رصين، أو تتجاهل حملاتها وقد كان لهذه الرصانة وقعها الحسن فى نفسى، فقاطعت الصحف الثانوية لأطالع تلك التى اصطلح على تسميتها

" الصحف العالمية " أو الكبرى، ولكن سرعان ماأمضنى منها تزلفها الى السلطة

وحملاتها العنيفة على الريخ والامبراطور جليوم الثانى الذى كنت معجباً به لمهره ألمانيا بأسطول بحرى من الطراز الأول، وأمضنى من الصحافة

الكبرى كذلك عطفها على فرنسا واعجابها بها ونعتها اياها " بالأمة المتمدنة " وقد تساءلت وأنا ألمس هذه الاتجاهات غير الألمانية :

لمصلحة من تعمل هذه الصحف.. ومن هو موجهها؟ فجاءنى الجواب فى الوقت الذى بدت لى اليهودية على حقيقتها

كنت أعتبر اليهود مواطنين لهم مالنا وعليهم ماعلينا، ولكن اختلاطى بأعداء السامية من مفكرين وساسة جعلنى أشد تحفظاً فى الحكم على أعداء اليهود ومالبثت أن وجدتنى فى عداد المعنيين بالمسألة اليهودية بعد أن لمست بنفسى تكتل الاسرائيليين وتجمعهم فى حى واحد من أحياء فينا، ومحافظتهم الشديدة على تقاليدهم وعاداتهم وطقوسهم،وقد زاد فى اهتمامى بمسألتهم ظهور الحركة الصهيونية وانقسام يهود فيينا الى فئتين :

فئة تحبذ الحركة الجديدة وتدعو لها

وفئة تشجبها، وقد أطلق خصوم الصهيونية على أنفسهم اسم " اليهود الأحرار " الا أن انقسامهم هذا لم يؤثر فى التضامن القائم بينهم مما حملنى على الاعتقاد أن انقسامهم مصطنع وأنهم يلعبون لعبتهم، لا فى النمسا فحسب، بل فى العالم كله، وهى لعبة سداها ولحمتها الكذب والرياء مما يتنافى والطهارة الخلقية، طهارة الذيل التى يدعيها اليهود

وطهارة الذيل هذه، وكل طهارة أخرى يدعيها اليهود، هى ذات طابع خاص، فبعدهم عن النظافة البعد كله أمر يصدم النظر، منذ أن تقع العين على يهودى، وقد اضطررت لسد أنفى فى كل مرة ألتقى أحد لابسى القفطان، لأن الرائحة التى تنبعث من أردانهم تنم عن العداء المستحكم بينهم وبين الماء والصابون

ولكن قذارتهم المادية ليست شيئاً مذكوراً بالنسبة الى قذارة نفوسهم، فقد اكتشفت مع الأيام أن مامن فعل مغاير للأخلاق، ومامن جريمة بحق المجتمع الاولليهودفيها يد، واستطعت أن أقيس مدى تأثير " الشعب المختار " فى تسميم أفكار الشعب وتخديره وشل حيويته،بتتبعى نشاطه فى الصحف وفى ميادين الفنون والآداب والتمثيل، فقد امتد الأخطبوط اليهودى الى هذه الميادين جميعاً وفرض سيطرته عليها ووسمها بطابعه، فمعظم المؤلفين يهود ومثلهم الناشرون والفنانون... إلخ، وهذا التغلغل فى كل ميدان من ميادين النشاط التوجيهى يشكل طاعوناً خلقياً أدهى من الطاعون الأسود وأشد فتكاً، ذلك أن تسعة أعشارالمؤلفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التى تروج للاباحيةالمطلقة وللماركسية هى من صنع اليهود.

أما الصحافة " الكبرى " التى استثارت اعجابى برصانتها وترفعها عليالرد على حملات الصحف المعادية للسامية، أما هذه الصحافة فمعظم محرريهاوموجهيها من أبناء " الشعب المختار "، وبعد اكتشافى هذه الحقيقة أدركت مدى تأثير اليهودى فى توجيه الرأى العام الوجهة التى تلاءم مصالحهم كشعب له مميزاته وكطائفة دينية ذات أهداف بعيدة،

فالنقد المسرحى فى الصحف التى يحررها أو يشترك فى تحريرها يهود يرفع من شأن أبناء جنسهم من محترفى التمثيل والمؤلفين المسرحيين ويحط من قيمة زملائهم الألمان، والمقالات السياسية اذ تمجد آل هاسبورغ لغاية فى النفس وتكيل المديح لفرنسا دون ماحساب، تهاجم دون ما هوادة غليوم الثانى وحكومته

وعجل فى بلورة موقفى من اليهود تكالبهم على جمع المال وسلوك معظمهم

السبل الملتوية لبلوغ هذه الغاية، وقد طالعنى الشارع بحقائق لم تخطر لى ببال، منها الدور الذى يمثله " الشعب المختار " فى ترويج سوق الدعارة وفى الاتجار بالرقيق الأبيض، وهذا الدور الذى يؤديه " أبطاله " بمهارة لم ينتبه الى خطورته الشعب الألمانى الا فى الحرب العالمية الكبرى، أما أنا فقد سرت القشعريرة فى جسدى عندما اكتشفت

أن اليهـودى، هذا المخلوق الوديع، هـو الذى يستـثمـر البـغـاء السـرى والعلنى ويجـعل منه تجارة رابحة

انصرفت مـذ ذاك الى جمع المعلومات التى توفر الأدلة على إجرام اليهود بحق الوطن والمجتمع، ورحت اتتبع خطاهم فى ميادين النشاط المختلفة،واذا بى اصطدم بهم حيث لم يدر فى خلدى أنى واجدهم، فـقـد تبين لـى أن اليهـود يتـزعمـون الحـركـة الاشتـراكيـة الديمـوقـراطيـة، ويسيطـرون على صـحـفهـا، ويوجهـون النقـابات المنضوية تحت لوائها، فمعظم النواب الاشتـراكيين الديموقـراطيين يهـود ورؤساء النقـابات جمـيعهم يهـود ومنهم كـذلك قـادة التظاهرات ومـدبرو أعـمـال الشـغب، ومـنهم رؤسـاء تحـرير صـحف الحـزب ومـحـرروهـا البـارزون اذن فـالحـزب الكبيـر الذى يتـلاعب بمقدرات البـلاد هو ألعوبة بين يدى شعب أجنبى، لأن اليهـودى، وهو من هو، لايمكن أن يكون ألمانياً بحـال من الأحـوال وهكذا اكتشفت أخيراً الروح الشريرالذى يقعد بشعبنا عن مسايرة ركب التقدم.

■ ■ ■

هتلر فى «كتاب ثان» غير معروف: الولايات المتحدة هى العدو المستقبلى لأوروبا

4

□□

بعد يناير (كانون الثانى) ١٩٣٣ لم يكتب هتلر إلا القليل. فبغض النظر عن بعض الكتابات القصيرة التى تتعلق بمواضيع خاصة، فإن مذكرة خطة السنوات الاربع لعام ١٩٣٦ وميثاقه السياسى لعام ١٩٤٥ يعتبران النصين الاساسيين الوحيدين له. وما قبل عام ١٩٣٣ فإنه على العكس كان مؤلفا مكثارا. فقد كتب العديد من المقالات النازية لصحيفة الحزب النازى «فويكشر بأوباختر» ومجلدى كتابه «كفاحى»، اضافة الى مؤلفه الثانى الذى يطلق عليه بـ «الكتاب الثانى» وهو فى الواقع تكملة لكتابه الاول «كفاحى». «الكتاب الثانى» لم ينشر اطلاقا اثناء حياة هتلر. انه مسودة اكتشفت بعد الحرب من قبل غيرهارد ل. فاينبرغ فى ثنايا الارشيفات الالمانية التى تم الاستيلاء عليها وقام بنشره عام ١٩٦١, فى نفس العام ظهرت له ترجمة انجليزية، لكنها رديئة، وحملت عنوانا غير ملائم «كتاب هتلر السرى»، إلا ان النسخة الحالية هى ترجمة جديدة وجيدة قدمت لها كرستا سميث وحررها البروفيسور الذى اكتشفها بنفسه غيرهارد ل. فاينبرغ.

يثير الكتاب طرح ثلاثة أسئلة: لماذا كتبه هتلر؟ ما الذى يكشف عن هتلر وافعاله اللاحقة ان وجدت؟ ولماذا لم يقم بنشره. اما الاجابة عن السؤال الاول فإنها تكمن فى تاريخ تأليفه. فقد افلح فاينبرغ بتدوين تاريخ المسودة بشكل لا يقبل الشك واحالته الى اواخر شهر يونيو (حزيران) وبداية يوليو (تموز) من عام ١٩٢٨, فى شهر مايو (ايار) كان النازيون يخوضون انتخابات عامة لم يحققوا فيها - رغم بعض النجاحات المحلية - إلا ٢,٨ بالمائة من الاصوات. وخلال الايام الاخيرة من الحملة استغل مناوئو الحزب مسألة

جنوب التيرول التى كانت تستثير الجمهور الالمانى خلال الاشهر الاولى من عام ١٩٢٨ والتى تعامل معها النازى تعاملا شعبيا.

ومسألة جنوب التيرول، وهى منطقة المانية، تكمن فى انها مُنحت الى ايطاليا وفق معاهدة سانت ـ جيرمان عام ١٩١٩, وفى فبراير (شباط) ١٩٢٨ ادخلت حكومة موسلينى اللغة الايطالية فى التعاليم الدينية لهذه المنطقة، الامر الذى ادى الى نشوب حرب كلامية مع النمسا، وكذلك اثارة حفيظة الصحافة والرأى العام الالمانيين.

ومنذ عام ١٩٢٢ كان هتلر دائما ما يعبر عن وجهة نظره بأن جنوب اليترول ينبغى، بحكم الضرورة، التضحية به من أجل الحاجة الماسة لكسب ايطاليا كحليفة ضد فرنسا. فى نفس الوقت كان هتلر يدرك تماما عدم شعبية هذا الرأى فى صفوف الطيف السياسى المتعدد. وعلى اية حال، فإن ما له دلالة ان هتلر لم يكن مهيأ للمساومة على موضوع كان يعتبر مركزيا بالنسبة لكل سياسته الخارجية لأجل الاغراض الانتخابية. ومع ذلك فإن هتلر كان محبطا بشدة حول حقيقة حالته التى تضع مؤيديه القوميين على اليمين، فيما مناوئوه على اليسار يطرحون انفسهم كوطنيين مدافعين عن العرق الألمانى لجنوب التيرول، متهمينه وحزبه بخيانتهما لهم. وفى الواقع فإن هتلر اتهم خلال الانتخابات حتى من قبل الاشتراكيين بتسلم الاموال من موسلينى وهى تهمة حاول ان يفندها ويبررها خلال الاجتماعات. ان احباطه ظهر فى »الكتاب الثانى« من خلال تهجمه على »البرجوازيين القوميين« وعلى »هرطقة اليسار«. عام ١٩٢٦ كان هتلر قد نشر فصلا من كتابه »كفاحى« يتناول سياسة التحالف بعنوان »مسألة جنوب التيرول ومشكلة التحالف الالمانى«، وكانت احداث بداية عام ١٩٢٨ قد اقنعته بشكل واضح بالحاجة الى نشر المزيد من المقالات التى تدافع بضراوة عن موقفه.

»الكتاب الثانى« هو فى الاساس تطوير افكار السياسة الخارجية التى دونها هتلر بشكل مختصر فى الفصل الرابع من المجلد الاول والفصل الثالث عشر والرابع عشر من المجلد الثانى لكتاب »كفاحى« مع تركيز خاص على مسألة جنوب التيرول. بدءا مع اعادة

تقرير مبادئ رؤى هتلر للعالم، فإن الكتاب يحتوى على نقد شامل للسياسة الخارجية التى اتبعتها المانيا منذ عام ١٨٩٠ , قيمة الكتاب تكمن فى جزء منها فى عرض القوة والصلابة التى يتمسك بها هتلر ازاء مبادئه الآيديولوجية الاساسية. يقدم هتلر وبشكل له دلالاته ومعانيه حججا جديدة تتعلق بالولايات المتحدة الاميركية واوروبا، اضافة الى اهم المواضيع الحاسمة لسياسته الخارجية مع بريطانيا ومواضيع كان قد طورها اثناء القاء خطبه وكتابة مقالاته خلال عامى ١٩٢٦ . ١٩٢٨ ,

عمل هتلر على أرضية جغرافية زوده بها الجغرافى فريدريش راتسل (١٨٤٤ . ١٩٠٤) وطورت من قبل العالم السياسى . الجغرافى كارل هاو سهوفر والتى تقول بأن الامم بحاجة الى «المجال الحيوى» اذا لم ترد ان تنتهى الى الافول. مثل هذه الأمة اصبحت جزءا من اجندة المانيا الشاملة لما قبل عام ١٩١٤ وكذلك الدعوة الى ان فرنسا تمثل العدو اللدود الذى يقف امام التوسع الالمانى.

فقبل عام ١٩١٤ كانت المانيا تواجه خيارين او بديلين: اما اتباع سياسة التجارة العالمية، اى توفر مستعمرات واسطول كبير، او، وهذا ما كان يفضله هتلر اكتساب اراض فى اوروبا على حساب روسيا . ولاتباع اى من هاتين الاستراتيجيتين يتطلب من المانيا سلوك سياسة التحالف. من دون شك فإن الخيار الاول يؤدى الى المواجهة مع بريطانيا، ويستلزم التحالف مع روسيا وبالتالى فك التحالف القائم مع النمسا . اما الخيار الثانى فإنه يتطلب الاتحاد مع بريطانيا . فى هذا الصدد يكتب هتلر «ليست هناك تضحية كبيرة فى كسب رضى بريطانيا . علينا التخلى عن السياسة الكولونيالية والقوة البحرية وتخضع الصناعة الانجليزية لمنافستنا» . عمليا اتبعت المانيا الاستراتيجية الثانية ومن دون التخلى عن تحالفها مع النمسا، ثم وضعت نفسها بين الكراسى» متحالفة مع روسيا وايطاليا وكذلك بريطانيا، فيما بقيت فرنسا تمثل العدو على جميع الأصعدة.

فى «كفاحى» كان هتلر قد وصف الحالة الدبلوماسية الاستراتيجية الالمانية بعد عام ١٩١٨ بتلك التى كانت قائمة ما قبل عام ١٩١٤: بقيت فرنسا تمثل العدو اللدود وروسيا

»المجال الحيوى« المفضل، وإيطاليا وبريطانيا الحليفتين المفضلتين. اضافة الى ذلك ظهرت استراتيجية اكثر تلاؤما حتى من تلك التى كانت قبل عام ١٩١٤ اذ ان الثورة البلشفية فى روسيا والتى اعتبر هتلر اليهود مسؤولين عنها اضافت بعدا جديدا للرغبة فى التوجه ضد روسيا فى استبدال التحالف النمساوى - الهنغارى بواسطة مجموعة الامم الجديدة التى ترتبط بفرنسا يعزز من الحاجة الى التحالف مع ايطاليا وبريطانيا. كما ان هتلر كان يعتقد بأن حالة ما بعد الحرب قد حسنت من صورة المانيا، بحيث ان موقع فرنسا شبه الاحتلالى فى اوروبا ما بعد الحرب سوف يجعل ايطاليا وبريطانيا اكثر ميلا للتحالف مع المانيا. فى »الكتاب الثانى« يؤكد هتلر هذه المرتكزات وذلك بالاشارة الى ان حاجة ايطاليا الى المجال الحيوى بسبب نقصها فى مصادر الثروة الطبيعية لا تتعارض مع المصالح الالمانية، فى حين انها تتعارض مع مصالح فرنسا »ان ما يعنيه البحر المتوسط بالنسبة لايطاليا هو نفس ما يعنيه شاطئ بحر البلطيق بالنسبة لالمانيا«. لذلك فإن جنوب التيرول كان يجب ان يضحى به من اجل التحالف مع ايطاليا ضد فرنسا التى سيؤدى دحرها الى فتح الطريق امام »المجال الحيوى« فى الشرق. فى ذات الوقت اشار هتلر الى ان التجاء المانيا للتحالف مع بريطانيا سوف يعزز بسبب التهديد الآتى من بروز الولايات المتحدة الاميركية الجديد، وبصرف النظر عن اهميته كتأكيد على صلابة آراء هتلر الاساسية واهدافه فإنه فى هذين الموضوعين، موقف هتلر من الولايات المتحدة الاميركية وعلاقة المانيا مع بريطانيا، تكمن الاهمية الجوهرية لـ »الكتاب الثانى«.

فى «كفاحى» وصف هتلر الولايات المتحدة على إنها «الدولة العملاقة»، ورأى فى بروزها تهديدا لبريطانيا. اما فى «الكتاب الثانى»، فإنه يزعم انه «مع الاتحاد الاميركى ظهر عامل قوة جديد على الميزان الذى يهدد بالغاء كل علاقات الدول والسلطات» وان «موقع اميركا التسلطى قد حدد اساسا من قبل نوعية الشعب الاميركى وثانيا بسبب مجالها الحيوى».

ان هذا الرأى حول الشعب الاميركى والذى يعود الى عام ١٩٢٨ يختلف تماما عن رأى هتلر فى السابع من يناير (كانون الثانى) ١٩٤٢ حينما قال لبطانته »اننى لا أرى مستقبلا

جيدا للاميركيين. فى اعتقادى انه شعب منخور.. كل شىء يتعلق بسلوك المجتمع الاميركى يكشف ان نصفه متهور ونصفه الآخر متسوّد».

بعد ذلك يعرج هتلر على السؤال المتعلق بموقع أميركا التهديدى باعتبارها «موقع القوة المهدد» ثم يبدى ازدراءه للمحاولة التى ظهرت على يد مكتشف الاتحاد الاوروبى الكونت النمساوى غوتنهوف. كاليرغى الذى اوجد فكرة اوروبا الاتحادية «من خلال اتحاد رسمى لجميع الشعوب الاوروبية»، منذ ان حدد هتلر موقع الولايات المتحدة الاميركية بشكل مبدئى على اساس نوعية شعبها فإنه لا يمكن جديا تحديها بواسطة «دولة باسيفيكية، ديمقراطية، اوروبية شاملة». مثل هذا الاتحاد سوف يقود، كما يقول هتلر الى «كيان كل قوته وطاقته يمكن ان تستهلك من قبل الفرقاء الراحلين» اى كما حدث للاتحاد الالمانى عام ١٨١٥ - ١٨٦٦. يعتقد هتلر ان الاتحادات الراسخة يمكن فقط ان توجد حينما تكون الامم المشاركة فيها من نفس نوعية الجنس وذات صلة قرابة، وحينما يأخذ الاتحاد شكل كفاح تدريجى من اجل سلطة ذات دولة واحدة مهيمنة مع بروسيا فى المانيا. مثل هذا الاتحاد يمكن ان يتطلب قرونا من الزمن وهو اتحاد مخالف جدا لذلك الذى يريد به الاتحاد الاوروبى الشامل، كما ان محصلته النهائية «ستعبر عن الانحطاط العنصرى لمؤسسيه». ويرى هتلر بأن الدولة الوحيدة القادرة على الوقوف بوجه شمال افريقيا ستكون الوحيدة التى «ستنشر القيم العنصرية لشعبها» بعد ذلك يؤكد أنه «من واجب الحركة الوطنية الاشتراكية ان تدعم وتهيئ وطننا الأم الى اقصى الحدود الممكنة لهذه المهمة» وفى هذا يشير هتلر لاول مرة الى الولايات المتحدة الاميركية باعتبارها العدو المستقبلى.

يؤكد هتلر أن «رغبة انجلترا كانت وستظل منع ظهور القوة الاوروبية وتحولها الى قوة سياسية عالمية» ذلك ما يعنى الحفاظ على توازن قوى معين بين الدول الاوروبية. وفى اشارة هتلر هذه يظهر الافتراض المسبق حول السيطرة العالمية البريطانية. لهذا السبب استجاب هتلر الى الحجة التى تقول بأن بريطانيا سوف لن تقبل ابدا بهيمنة المانية على القارة الاوروبية. واستنادا الى أدلته المؤسسة على فهمه للتاريخ يزعم هتلر ان بريطانيا

لم تكن تهتم كثيرا بالشؤون الاوروبية طالما لم يظهر هناك منافس اوروبى و«كانت دائما ترى ان التهديد يكمن فقط فى دائرة التطور الذى سيحدث ذات يوم ويعيق اساطيلها وهيمنتها الاستعمارى». ثم يستشهد بعلاقة بريطانيا مع بروسيا فى القرن الثانى عشر لكى يدعم رأيه هذا. وبتكرار الفقرة الواردة فى كتاب «كفاحى»، حول سياسة ألمانيا قبل الحرب ووصف البحرية الالمانية على انها «فى النهاية ليست إلا لعبة مسلية»، فإن هتلر يصر فى «الكتاب الثانى» على انه «اذا قامت المانيا باعادة توجه سياسى اساسى ووجدت أنه لم يعد هناك تعارض مع مصالح انجلترا البحرية والتجارية، ولكن بدلا عن ذلك تحديد نفسها ازاء الاهداف الاوروبية، عندئذ ينتفى وجود اساس منطقى للعداء الانجليزى الذى سيكون عداء من اجل العداء ليس إلا».

اخيرا، لا يبدو من الواضح لم لم ينشر هتلر «كتابه الثانى» اثناء حياته. فلعله نُصح من قبل ناشره بعدم نشر الكتاب على اساس ان كتابه الاول «كفاحى» لم يحقق مبيعات جيدة فى حينه. او ربما شعر بعدم وجود مبرر كبير لنشره او بسبب هجومات الكتاب غير المثمرة على «البرجوازية الوطنية»، ولكن أيا كانت الاسباب فإنه من المفيد القاء نظر على عقل هلتر وعلى تطور الافكار التى شكلت سياسته الخارجية بعد عام ١٩٢٣.

■ ■ ■

5 الـفـنـان..!

□□

كل الأفلام الغربية بعد الحرب العالمية الثانية أظهرت هتلر وحشا دمويا لا وازع أخلاقى يحكمه....

ولأن الدنيا ليست أسود وأبيض فقط فلابد من وجود لون رمادى... فلابد أن يكون فى شخصية هتلر خير ما.

وهذا الموضوع هو إسقاط بسيط على جمال ربما لا تعرفونه من حياة هتلر.. وهى الفترة التى كان يعمل بها رساما تشكيليا قبل التحاقه بالجيش ممتلئ بالحماس لألمانيا.

هتلر كان نموذجا للشاب المستقيم فقد كان لايعاقر الخمر ولايدخن ونموذجا أوضح للشاب المعدم الفقير الذى يأكل حسب امكانياته حيث كان يكتفى بالخبز والحليب

هتلر كان رساما موهوبا جدا استدعاه جيش النمسا للخدمة العسكرية ففضل الرسم والسكن فى مأوى للمتشردين على الالتحاق بالخدمة العسكرية فى هذا الجيش.

تشرد ـ فقر ـ هروب بدون عمل وظروف من أقسى ما يكون.

وفى هذه الظروف القاسية تعرف إلى رسام قليل الموهبة فى الفن بارع فى التجارة وأساليب تسويق الأعمال الفنية يدعى هاينز الذى قام بالنيابة عنه ببيع لوحاته ناصحا إياه بالبقاء بعيدا عن أنظار الجيش

وسرعان ما أخذت أعمال الفنان هتلر تنال القبول من محبى الفن.

فتغيرت أحواله المادية واستأجر غرفة فى منزل سيدة تدعى زاكريس..واستئجاره هذه الغرفة جعلاه يتفرغ للرسم تماما فبدأ بالرسم ليل نهار.

واقترح عليه هاينز أن يرسم الإعلانات والملصقات الجدارية بمبالغ مغرية يتقاسمها مناصفة معه وحققت هذه الملصقات الاسم الفنى لهتلر عند شركات الإعلانا ت.

كانت موضوعاته المبكرة منصبة على رسم واجهات المبانى الضخمة والقصور والكنائس القديمة وكان شديد الاهتمام بالتفاصيل الصغيرة وفى أقل من شهر واحد أنجز عشر لوحات وتوجه بها إلى كلية الفنون الجميلة فى فيينا تعززه ثقة كبيرة فى نفسه لتأهله لاجتياز الاختبارات التى تنتظره مع عدد من المتقدين من أمثاله بلغ عددهم ١١٣ طالبا غير أن هذه اللوحات لم تحظ بالإعجاب من قبل لجنة التحكيم، كذلك رفضت أعمال شاب آخر هو : كريسيان أندرسن الذى أصبح فيما بعد يعرف باسم معلم أوربا ثم رئيسا لهذه الكلية التى لم تقبله طالبا فيها ذات يوم.

لم يؤثر هذا الرفض فى عزيمة هتلر بل تابع الرسم وطور اسلوبه وتحول تحولا كبيرا فى منهجه الفنى وشاعت الأفكار السياسية فى لوحاته، وعلى العكس من إقامته فى فيينا لم يهرب من نداء خدمة الواجب بل ألتمس أن يُقبل متطوعا فى الجيش خلال الحرب العالمية الأولى وفى هذه الفترة كانت الطلبات على أعماله لا تتقطع ومع ذلك قرر نهائيا التخلى عن الفرشاة والألوان وأنحاز بكل حماسه إلى ما سماه : "قوة الكلمة" وكان يعنى تحديدا الكلمة المحكية لا الكلمة المكتوبة. وجاء فى كتابه الشهير "كفاحى" قوله : إن القوة التى حركت كتل الثلج فى الميدان السياسى والدينى كانت دائما منذ أقدم العصور قوة الكلام السحرية.

رسم هتلر حوالى ١٥٠٠ لوحة ما بين زيتية ومائية وبالفحم وقلم الرصاص وقسمت هذه اللوحات إلى ثلاث مجموعات، الأولى منها مودعة الآن فى صناديق بأحد متاحف فلورنسا والثانية يملكها اللورد :"باث" فى لونجيت بإنجلترا أما المجموعة الثالثة والأهم فإنها بحوزة الأمريكى "بيلى برايس" فى تكساس، ولكل مجموعة من هذه اللوحات قضايا تحوم حولها وتحول دون خروجها للنور فالمجموعة الأولى والمسماة بلوحات: هتلر الفلورنسية ـ تثير فى الوقت الحاضر سلسلة من المشاكل القانونية بين ورثة : سيفييرو وإدارات المتاحف هناك وهى المشاكل التى لن تنتهى بسهولة بل تزداد تعقيدا بمرور الوقت

وبسبب توقع ارتفاع صوت مفاجئ من ألمانيا يقول صراحة أن هذه اللوحات لنا ومن حقنا استعادتها.

خلفية تاريخية

بعد انهيار النازية لم يجرؤ أحد على فتح ملفات إيجابياتها بل نجد التشويه المتعمد على شخص "هتلر" ذاته فقد أنكبت جميع الأفلام السينمائية المنتجة فى الغرب على إظهاره بالرجل الدموى والمتوحش ولم يتطرق فيلم واحد على كثرتها إلى تناول مرحلة فترة شبابه حينما كان فنانا تشكيليا حيث أدت تفاعلات الحرب العالمية الأولى إلى تغيير مساره من فنان منقطع للفن وحده إلى جندى ممتلى بالحماس الوطنى لبناء الأمة الألمانية. وفى هذه القراءة نحاول تقديم الفنان " أدوولف هتلر " كما هو أسوة بغيره من الفنانين التشكيليين الراحلين

وهى قراءة فنية بحتة تهدف قدر المستطاع لإزالة الشوائب التى علقت بحياة هذا الفنان فى مرحلة تعاطيه للرسم وهو أضعف الإنصاف.

رحلة الجوع الطويلة

أُصيب الفنان الشاب فى مستهل حياته الفنية بحالة من الإحباط الشديد لكنه لم يتوقف لحظة عن فعل الرسم وكان هذا الفنان المعدم والفقير لا يدخن ولا يعاقر الخمر بل ظل وفيا لغذائه التقليدى فى حدود ما يحتويه جيبه من نقود وهو غذاء مكون عادة من الحليب والخبز فقط. وعندما تم استدعائه للخدمة العسكرية أختفى تماما عن الأنظار وتحول إلى إنسان بلا عنوان ولا سكن ثابت وفضل الإقامة فى مأوى للمتشردين والمتسكعين عن الالتحاق فى جيش حكومة النمسا وكان الجوع رفيقه الوفى الذى لازمه أينما حل.

استثمار توقيعه تجاريا

فى هذه الفترة القاسية من حياته تعرف إلى رسام قليل الموهبة فى الفن بارع فى التجارة وأساليب تسويق الأعمال الفنية يدعى :"هانيش" الذى قام بالنيابة عنه ببيع

لوحاته ناصحا إياه بالبقاء بعيدا عن أنظار الإدارة العسكرية فيما أخذت أعمال : "هتلر" تنال القبول من محبى الفن. وانصاع هتلر بناء على اقتراح هذا الصديق لرسم الإعلانات والملصقات الجدارية بمبالغ مغرية يتقاسمها مناصفة مع هانيس من ذلك ملصق عن مسحوق صابون "تيدى" وفيه يظهر اثنان من سعاة البريد أحدهما مرهق ويتصبب عرقا والثانى مرح ونظيف لأنه يستعمل مسحوق صابون "تيدى" وحققت مثل هذه الملصقات الاسم الفنى لهتلر عند شركات الإعلانات مما دفع بصديقه إلى انتحال توقيعه والقيام بالرسم بنفسه دون علم من هتلر وهذه الفعلة إذا ما جانبها الصدق التاريخى تفيد أن غالبية اللوحات المنسوبة للفنان هتلر من رسم غيره. وقبل الاسترسال فى حياة هذا الفنان نعود قليلا بالأحداث إلى سيدة تدعى : "زاكريس" التى نشرت إعلانا فى إحدى الصحف المحلية فى مدينة فيينا يتضمن رغبتها فى تأجير غرفة صغيرة بشقتها بالدور الثالث من المبنى رقم ٢٠ فى شارع - ستوميرغراس.

وكان هذا الإعلان بمثابة طوق نجاة للشاب المتشرد : "أدوولف هتلر" وبمجرد أن فرغ من قراءته ذهب مسرعا إلى السيدة زاكريس يطرق بابها فى الصباح الباكر وعندما فتحت له وجدت أمامها شابا طويل القامة تبدو عليه مظاهر التهذيب غير المفتعل شاب يميزه وجه شاحب وعينان براقتان ولم يخض معها كثيرا فى تفاصيل إجراءات هذه الصفقة الصغيرة وتم له تأجير الغرفة بالثمن والشروط التى فرضتها عليه السيدة زاكريس.

يرسم فى الليل والنهار

فى هذه الفترة كان " هتلر" فى عامه الثامن عشر وكانت الغرفة مناسبة له تماما كى ينغمس فى الرسم طوال ساعات الليل والنهار وكانت موضوعاته المبكرة منصبة على رسم واجهات المبانى الضخمة والقصور والكنائس القديمة وكان شديد الاهتمام بالدقة والتفاصيل الصغيرة وفى هذه الغرفة وفى أقل من شهر واحد أنجز عشر لوحات وتوجه بها إلى كلية الفنون الجميلة فى فيينا تعززه ثقة كبيرة فى نفسه لتأهله لاجتياز

الاختبارات التى تنتظره مع عدد من المتقدين من أمثاله بلغ عددهم ١١٣ طالبا غير أن هذه اللوحات لم تحظ بالإعجاب من قبل لجنة التحكيم، كذلك رفضت أعمال شاب آخر هو : كريسيان أندرسن الذى أصبح فيما بعد يعرف باسم معلم أوروبا ثم رئيسا لهذه الكلية التى لم تقبله طالبا فيها ذات يوم.

قوة الكلمة المحكية

لم يؤثر هذا الرفض فى عزيمة الفنان "هتلر" بل نجده وفى مدينة ميونخ قد تحول تحولا كبيرا فى منهجه الفنى وشاعت الأفكار السياسية فى لوحاته، وعلى العكس من إقامته فى فيينا لم يهرب من نداء خدمة الواجب بل ألتمس أن يُقبل متطوعا فى الجيش خلال الحرب العالمية الأولى وفى هذه الفترة كانت الطلبات على أعماله لا تنقطع ومع ذلك قرر نهائيا التخلى عن الفرشاة والألوان وأنحاز بكل حماسه إلى ما سماه : "قوة الكلمة" وكان يعنى تحديدا الكلمة المحكية لا الكلمة المكتوبة. وجاء فى كتابه الشهير "كفاحى" قوله : إن القوة التى حركت كتل الثلج فى الميدان السياسى والدينى كانت دائما منذ أقدم العصور قوة الكلام السحرية.

مجمل آثاره الفنية

ثبت بالبحث والتقصى أن "هتلر" قد رسم حوالى ١٥٠٠ لوحة ما بين زيتية ومائية وبالفحم وقلم الرصاص وقسمت هذه اللوحات إلى ثلاث مجموعات، الأولى منها مودعة الآن فى صناديق بأحد متاحف فلورنسا والثانية يملكها اللورد :"باث" فى لونغليت بإنجلترا أما المجموعة الثالثة والأهم فإنها بحوزة الأمريكى "بيلى برايس" فى تكساس، ولكل مجموعة من هذه اللوحات قضايا تحوم حولها وتحول دون خروجها للنور فالمجموعة الأولى والمسماة بلوحات: هتلر الفلورنسية ـ تثير فى الوقت الحاضر سلسلة من المشاكل القانونية بين ورثة : سيفييرو وإدارات المتاحف هناك وهى المشاكل التى لن تنتهى بسهولة بل تزداد تعقيدا بمرور الوقت وبسبب توقع ارتفاع صوت مفاجئ من ألمانيا يقول صراحة أن هذه اللوحات لنا ومن حقنا استعادتها.

وربما لهذا بالتحديد يقولون:

من المسئول عن الحرب العالمية الثانية ومقتل ستين مليون انسان فيها؟ الجواب المتوقع ان المسؤول هو ادولف هتلر. ولكن مهلاً. لدى التدقيق العميق فى امرها نكتشف ان المسؤول الحقيقى والأول هو عميد اكاديمية الفن فى فيينا الذى رفض قبول هتلر كتلميذ رسم فيها. فلو ان الاكاديمية قبلت الشاب هتلر لكفت العالم شره. كان المنتظر عندئذ لينشغل هتلر برسم البرتقال والقنانى الفارغة كمعظم فنانى عصره. لكن اكاديمية فيينا رفضته وبدلا من ان يصبح فنانا مغمورا فى المانيا لا أحد يسمع به، اصبح امبراطورا لالمانيا واوروبا النازية.

كان لهذا الرفض من اكاديمية الفنون اثره على مسيرة الفن فى المانيا والنمسا. فمن اسباب رفضه انه كان يرسم بالاسلوب الكلاسيكى الذى عفا عليه الزمن ولم يتطور ويماشى مسيرة الفن الحديث. ولهذا، فحالما تسلم الحكم فى المانيا سنة ١٩٣٣، كان من أول ما أمر به قمع المدرسة الحديثة واضطهاد كل الرسامين التجريديين والسرياليين والتعبيريين ومن لفَّ لفهم من رؤوس المدرسة الحديثة وذيولها. بعد اشهر قليلة من تسنمه السلطة مستشاراً لالمانيا القى خطابا فى مدينة نورنبرغ عام ١٩٣٤ ندد فيه بكل مظاهر الفن الحديث الذى وصفه بالانحطاط ثم عين زميله غوبلز مديرا للثقافة فى المانيا، وبالتالى مسؤولا عن النشاط الفنى وبدأت حملة اضطهاد الفنانين الحداثيين ومطاردتهم. كان فى طليعة ذلك كارل شمت روتلف وهانس فايبخ والنمساوى اوسكار كوكوشكا واداور مونخ وبول كلى والشيوعى بوريس تاسلتسكى.

اصدر جويلز أوامره بمصادرة ٧٠٠ لوحة حديثة من المتاحف واتلافها. وكما نتوقع كان أكثر الممنوعين من اليهود وعلى رأسهم هانس فايبخ الذى رسم سلسلة من اللوحات تصور اهوال الحرب كما عاشها كجندى فى الجبهة الشرقية خلال الحرب العظمى. وقد صدرت الاوامر بمنع كل اعماله، واضطر للهرب الى بريطانيا. وكذا فعل روتلف والكثير من الرسامين والنحاتين الحداثيين. بولى كلى هرب الى سويسرا وكوكوشكا الى بريطانيا.

كان معظم هؤلاء الفنانين يساريين وعلى الخصوص تاسلتسكى الذى أمن بمدرسة الواقعية الاشتراكية ورسم لوحة «موت كاسانوفا» التى خلد فيها ذكرى احد القادة الشيوعيين الذين اغتيلوا. امر هتلر باعتقال تاسلتسكى وزجه فى أحد معسكرات الاعتقال، حيث جرت تصفيته بعد قليل. اما كوكوشكا فقد رسم بعد التجائه الى بريطانيا سلسلة من الاعمال يندد فيها بساسة بريطانيا وتساهلهم مع هتلر. كان منها لوحة «ماريانا» التى صور فيها تشرشل وزملاءه وهم سكارى يعبثون مع الغانيات فى النوادى الليلية بلندن. كان من جرائم النازية اتلاف مئات اللوحات من اعمال بول كلى التجريدية وكارل روتلف التعبيرية، الذى منعه النازيون من عرض اعماله سنة ١٩٣٦ ثم اصدروا فى ١٩٤١ امرا بمنعه كليا من الرسم.

ينظر كثير من الناس الى الأعمال الحديثة كخربطات طفولية لا تستحق غير السخرية والضحك عليها. ويظهر ان هتلر قد ساهم بمثل هذا الرأى، رغم كونه رساما مطلعا على الأمر. ففى سنة ١٩٣٦ أمر بتنظيم معرض بعنوان «الفن المنحط» لعرض بعض اعمال هؤلاء الفنانين الالمان الحداثيين للتشهير بهم والسخرية منهم. كان منها لوحة «امرأة تحمل شنطة» بألوان فطرية قوية من الاخضر والبنى تنم عن تأثير الفن الافريقى الذى اكتشفه الفنانون الاوروبيون فى بداية القرن العشرين، كان من معروضات الفن المنحط ايضا لوحة تاسلتسكى «موت كاسانوفا» ولوحة ادوار مونخ «الطفل المريض».

وقد كانت بادرة موفقة من متحف التبت مودرن بلندن ان جاءتنا بمجموعة من هذه الاعمال التى سمح هتلر بعرضها تحت عنوان «الفن المنحط» الموجود حاليا فى العاصمة البريطانية.

■ ■ ■

6 من ملفات هتلر الساخنة الصهيونية والنازية وإشكالية التعايش مع الآخر

□□

هناك كتاب هو فى الأصل رسالة ماجستير فى العلوم السياسية من جامعة آل البيت فى الأردن يجرى هذا الكتاب مقارنة بين الصهيونية والنازية لتبيان أوجه الشبه بينهما فى المنطلقات الثقافية والأيديولوجية وفى الممارسات العملية لفكرة التعايش السلمى مع الآخر، وهو تحديد ألزمت به الباحثة نفسها كما يبدو مسبقا، ورغم منطقية التشابه فقد كان أحرى منهجيا أن تكون مقارنة علمية مطلقة تتوصل إلى التشابه والاختلاف، وليس التزاما مسبقا بالتشابه بين المنظمتين الصهيونية والنازية.

رؤية النازية والصهيونية لمفهوم التعايش السلمى

تعرض الدراسة حقيقة التشابه بين حركتى الصهيونية والنازية فى المنطلقات الثقافية والأيديولوجية تجاه «الذات» وتجاه فكر التعايش السلمى مع الآخر وفى الممارسات العملية لها وهذا ما يؤدى إلى التشابه فى النتائج أيضا.

تبدو النازية مختلفة عن الصهيونية فى المنطلقات الثقافية والأيديولوجية التى تنطلق منها، والتى حالت دون أن تتعايش سلميا مع الآخر مع توضيح الممارسات العملية لها.

لكن رصد وتحليل المنطلقات الثقافية والأيديولوجية التى تستند إليها الصهيونية فى نظرتها تجاه الآخر وتجاه التعايش السلمى معه وتبيان التجسيد العملى لها، والمقارنة بينهما لدى الحركتين تظهر تشابها فى النتائج.

فكلاهما ترفضان التعايش السلمى مع الآخر وتعليان من شأن العنف والعنصرية والشعور بالتميز والتفوق والاتجاه التوسعى الاحتلالى، فهل ستنتهى الصهيونية إلى ما انتهت إليه النازية؟

يسهل أن تكون الإجابة بنعم إذا كانت هذه المنطلقات هى المسؤولة عن نهاية النازية، وهو ما يحتاج إلى إثبات لم يظهر فى الكتاب، لكن يمكن القول منطقيا إن الصهيونية مرشحة لأن تنال مصير النازية، لكن ماذا عن الصعود الجديد للنازية فى ألمانيا والنمسا؟ وصعود اليمين المتطرف بعامة فى أوروبا؟ أليس مؤشرا على عودة ونجاح وهيمنة هذه المنظمات؟

وبالتالى ألا تبدو الصهيونية وفق هذا المعيار مرشحة للصعود والنجاح، وهو تغيير ملحوظ فى السياسات والاتجاهات الشعبية والجماهيرية فى إسرائيل، تجلى فى نتائج الانتخابات الإسرائيلية فى السنوات الأخيرة، وفى انحسار اليسار الإسرائيلى.

تعتمد المؤلفة على أن التشابه فى المنطلقات الثقافية والأيديولوجية وفى الممارسات العملية للتعايش السلمى مع الآخر بين حركتين سياسيتين أيديولوجيتين يؤدى إلى تشابه فى النتائج أيضا، وهى تعتقد أن الصهيونية والنازية متشابهتان، وهو أمر يحتاج إلى جدل طويل.

تعرض الدراسة المفاهيم الأساسية التى تسعى لتطبق عليها تجربة الصهيونية والنازية، مثل التعايش السلمى، وهو مصطلح أطلقه لينين عام ١٩١٧ دون أن يحظى باهتمام، وقد أعيد إحياء التعامل به مجددا خلال الحرب العالمية الثانية.

بعد ذلك تعرضت الكاتبة رؤية النازية والصهيونية للمفهوم، والممارسة العملية لهما فى هذا المجال، ثم تناولت النظرة التوسعية عند كل من النازية والصهيونية بالبحث أولا فى المنطلقات الثقافية والأيديولوجية عند كل من النازية والصهيونية ومن ثم تبيان الممارسات العملية لهما عند كليهما.

كما قلنا سابقا تطرق البحث إلى أوجه التشابه بين النازية والصهيونية التى تمثلت خاصة فى أن كلا منهما تسعى نحو السيطرة والهيمنة.

والنازية قد رفعت مقولة «ألمانيا الكبرى» التى تتحقق من خلال سيادة العرق الآرى على أوروبا بدعم قوة الدولة العسكرية وباحتلال الأراضى و ضمها وتحقيق تفوقها

العسكرى ونفوذها الاقتصادى والسياسى وهى أمور جمع هتلر بينها حينما قال إن مستوى ألمانيا الاقتصادى كان يرتفع كل مرة بتزايد نفوذها السياسى ويشتد ساعدها فى المجال الدولى الفسيح.

ويقول هتلر إن انصراف الأمة إلى الاقتصاد وحده كان يتم دائما على حساب فضائلها القومية ومناقبها ومثلها ولا يلبث أن يسبب انهيار الاقتصاد معها، حيث لم تقم دولة قط على الاقتصاد السلمى.

وفى المقابل نجد أن الرؤية ذاتها تشكل مركزا أساسيا فى فكر الصهيونية وإستراتيجيتها التى طالما سعت إلى بناء «إسرائيل الكبرى» من خلال تحقيق هيمنتها وسيطرتها على المنطقة بالتوسع باحتلال الأراضى وضمها، وكانت المشاريع الاقتصادية الإسرائيلية مخططات توسعية وإستراتيجية لتكريس الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة.

الفروق بين الصهيونية والنازية

ثمة فروق بين الصهيونية والنازية تلاحظها المؤلفة، منها أن النازية فى منطلقاتها ورؤاها الفكرية وممارساتها العملية ترجع إلى أساس عرقى، بينما تستند الصهيونية فى منطلقاتها ودعواها وممارساتها العملية إلى العامل الدينى بانتقاء نصوص مختارة من التوراة والتلمود لتدعيم مزاعمها.

الصهيونية تعمل تحت ذريعة العودة إلى أرض الميعاد واستطاعت التسلل ثم التغلغل فى أرض فلسطين والاستيطان فيها تمهيدا لغزوها واحتلالها وطرد الآلاف من الفلسطينيين لتوطين اليهود الذين جلبتهم من جميع أنحاء العالم بدلا من السكان الأصليين.

انبثقت النازية ونمت وتطورت ضمن سياق تاريخى ألمانى يحمل موروثا فكريا وثقافيا لفلاسفة ومفكرين ألمان كانت لهم آثارهم الواضحة فى الفكر النازى مع الاستفادة من المناخ الفكرى الغربى الذى كان سائدا آنذاك، والذى ساهم فى تزكية بعض الأفكار التى اعتنقتها النازية.

أما الصهيونية فقد ولدت ونمت فى الغرب مستفيدة من المناخ الفكرى والثقافى الذى كان سائدا آنذاك ومن ثم انتقلت إلى فلسطين لتصنع لها هناك تاريخا ووجودا وكيانا بعد أن وقع الاختيار عليها من بين بلدان عديدة.

فهى فلسفة وإستراتيجية مستعارة لتطبق فى غير بيئتها وسياقها، إذ إن اليهود ليسوا شعبا أو قومية مستقلة، وعلاقتهم بالمكان والأرض (فلسطين) ليست حقيقية لتنشئ فكرا قوميا ووطنيا.

ولا يعقل أن شعبا غادر أرضه نحو ألفى عام يملك هذه العلاقة مع المكان والأرض، ففى هذه الحقبة تنشأ علاقات مكانية وثقافات ولغات مختلفة ومتعددة، وهذا يشجع على استنتاج أن الصهيونية ليست فكرة يهودية، لكنها فكرة أوروبية وبالتحديد بريطانية مستمدة من مصالح وإستراتيجيات الغرب ولا علاقة لها باتجاهات قومية أو فكرية وفلسفية لدى اليهود.

النازية والصهيونية وسياسات الآخر

حظيت الصهيونية والنازية بمحاولات سياسية استرضائية لتوظيفها أو تقليل عداوتها ومخاطرها، هذه السياسة التى تقوم على التهدئة وتقديم التنازلات الإقليمية أو السياسية أو التعاقدية لدولة أو قوة معادية بغية تجنب الحرب، كانت فى المحصلة استرضاء لعدو على حساب مبادئ أو حقوق معينة تجنبا لشره وعدوانه، من خلال إبرام اتفاقيات ومعاهدات يطلق عليها اسم معاهدات سلام.

فى التجربة النازية نقض هتلر معاهدة فرساى فى عام ١٩٣٥ ولم تنجح المحاولات الفرنسية البريطانية فى تحقيق تسوية تعطى للمتطرف النازى حقوقا إضافية مقابل حماية الحدود الأوروبية.

ولم يلتزم هتلر بخطابه الذى أعلن فيه نفيه أى مطامع ألمانية فى أراض فرنسية، واحترامه لمعاهدة لوكارنو التى تقضى بجعل منطقة الراين منزوعة السلاح، فاحتلت

القوات الألمانية فى عام ١٩٣٦ إقليم الراين منتهكة الاتفاقات السابقة التى وقعت عليها ألمانيا.

وقدمت بريطانيا فى عام ١٩٣٧ مجموعة من التنازلات لألمانيا فى أوروبا الشرقية مقابل التزام ألمانيا باحترام سلامة الإمبراطورية البريطانية، ولكن هتلر أعلن فى عام ١٩٣٨ ضم النمسا إلى الرايخ الألمانى منتهكا المعاهدة التى عقدها مع النمسا قبل سنتين فقط، والتى أكدت فيها ألمانيا اعترافها بسيادة النمسا والتزامها بعدم التدخل فى شؤونها الداخلية.

وهكذا فقد فشلت جميع الاتفاقيات التى عقدت مع هتلر وكذلك جميع المحاولات الاسترضائية والتنازلات التى قدمتها أوروبا لتجنب الحرب، وأشعل هتلر حربا عالمية مرعبة.

وفى ساحة الصراع العربى الإسرائيلى فقد قدم العالم والعرب للصهيونية الكثير من التنازلات والصفقات الاسترضائية، ففى الوقت الذى كانت تجرى فيه المفاوضات الإسرائيلية المصرية وتوقع الاتفاقات كانت إسرائيل تمضى فى التوسع الاستيطانى فى الضفة الغربية وقطاع غزة، وضمت القدس المحتلة عام ١٩٦٧، وضربت المفاعل النووى العراقى، واحتلت لبنان، وضمت الجولان مخالفة سياق المفاوضات الجارية بهدف السلام والتسوية السياسية للصراع، منتهكة قرارات الأمم المتحدة واتفاقات فصل القوات التى وقعت بعد حرب عام ١٩٧٣.

وعلى الصعيد الأردنى لم تف إسرائيل بتعهداتها وما وقعت عليه حول اللاجئين والنازحين الفلسطينيين، وانتهكت سيادة الأردن واتفاق السلام معه بمحاولتها اغتيال خالد مشعل رئيس المكتب السياسى لحركة حماس عام ١٩٩٧، وهو مواطن أردنى كان مقيما فى عمان حتى عام ١٩٩٩.

وأما على الساحة الفلسطينية فإن انتهاكات اتفاق أوسلو وانهيار حالة السلام التى بدأت بتشكيل السلطة الفلسطينية وإجراء انتخابات تشريعية ورئاسية أمر لا يحتاج إلى توضيح.

وهكذا فإن اتفاقيات السلام مع مصر والأردن وفلسطين وما تبعها من سياسات استرضائية وتنازلات من أجل استبعاد العدوان وتحقيق السلام والاستقرار قوبلت جميعها بالخرق والانتهاكات.

وتؤكد مقولة ورؤية هذه الحركات والدول القائمة على العنصرية والتمييز والكراهية أن كل تنازل تحصل عليه يعنى الاقتراب من تنازل آخر.

مستقبل الصهيونية فى ضوء التجربة النازية

وأخيرا تناولت الباحثة فى كتابها مستقبل الصهيونية على ضوء التجربة النازية بعد توضيح رؤية النازية والصهيونية لمفهوم التعايش السلمى مع الأخر ومن خلال تبيان منظورهما لسياسات الآخر.

وهنا تجد الباحثة أن سياسة إسرائيل تؤدى بها إلى الاضمحلال و الزوال فى المستقبل شأنها فى ذلك شأن النازية التى تقل عنها من حيث السياسة والتفوق الذى حققته فى الماضى وكل هذا راجعا إلى سياسة إسرائيل الخارجية الموسومة بالتطرف والرامية دوما إلى التصعيد والاحتلال وشن الحروب بالإضافة إلى الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التى تعتريها وإلى حالة الفساد الداخلى التى تصدع جوانبها.

وكل هذه التكهنات تأتى استنادا إلى مبدأ تعميم النتائج لتشابه المعطيات، حيث إن الأمم التى تنحرف فى تصرفاتها عن المواقف المتوقعة التى تشكل شرطا لوجود المجتمع الدولى كثيرا ما تقطف ثمرة انحرافها.

بالإضافة إلى الأسباب السابق ذكرها هناك أسباب أخرى تعتبر عوامل داخلية ومآزق ومشكلات تواجهها الصهيونية التى تشكل مثار جدل بين صفوف المجتمع الإسرائيلى، وقد أشارت إليها الباحثة بالتفصيل، ويمكن ذكرها فى نقاط هى الإعلاء من شأن العرق ونقائه، والشعب المختار، وعدم الاختلاط مع الآخر بدعاوى عنصرية قائمة على التصنيف الثنائى للبشر والتمييز العنصرى، وانعكاس الرؤى والتعاليم النازية والصهيونية على المناهج التعليمية.

وتعتبر هذه الأخيرة حالات وسياسات تصطدم مع الاتجاه الفكرى والإنسانى السائد، وإذا كانت الصهيونية امتلكت بعض شروط التكيف مع المتغيرات العالمية، واستطاعت الاستمرار حتى الآن فإن ذلك التكيف لا يعنى قدرتها على الاستمرار، لأن الاتجاه العالمى ومنطقه سيتغلب فى النهاية وهو أكبر من أى انحراف تحاوله فئة منشقة من البشر.

■ ■ ■

آخر ملفات هتلر

7

□□

قناة المجد الوثائقية أعدت محاكمة متخيلة تعتمد على حقائق تاريخية حول ما يتعلق بالزعيم الألمانى الراحل خاصة فيما يتعلق بجوبلز وزير إعلامه. هذه المحاكمة تضع الكثير من الحقائق والتفاصيل حول حياة الفوهرر. فلنترك الآن نص الوثيقة يحكى لنا ماذا جرى لمؤسس النازية ورائدها الأكبر..

المعلق: هذا المعلق الإذاعى تابع مخلص من أتباع الفهرر.

المعلق الإذاعى: يتقدم وحيدا وبخطوات مدروسة لتحية الجماهير العريضة، إنه الفهرر والقائد أدولف هتلر.

المعلق: ابتدع المعلق أسطورة وصدقه بنفسه، عندما وجد الدكتور جويلز العاطل من العمل مثاله فى شخص هتلر، شعر بأنها دعوة لخلاص ألمانيا على يدى ذلك الرجل.

جويلز: ورد فى مذكرته ما يلى:

السادس من نوفمبر تشرين الثانى عام ١٩٢٥ يال عينيه الزرقاوتين الكبيرتين، كأنهما نجمتان ساطعتان، إنه مسرور برؤية وسعادة تغمرنى، تقدم نحوى وصافحنى ثم تكلم نصف ساعة بكلام مفعم بالدهاء والسخرية والفكاهة والرصانة والنار والشغب، يملك هذا الرجل صفات الملوك، إنه قائد المستقبل!

المعلق: إنه توق كبير إلى رجل قوى. . إنه الشوق إلى كلمات تنم عن القوة.

مؤرخ: كلماته ورغباته أوامر بالنسبة إلينا نحن الألمان. . ينظر أتباع الفهرر إليه كمصدر طاقة وقوة وثقة. . إنه رجل عظيم وجبار.

المعلق: رجل من هذا المستوى يحتاج إلى من يصنع له نجومية ذائعة ويتبعه من دون تردد أو تساؤل.

مؤرخ: اعتقد أن هتلر كان يقدر جوبلز تقديراً كبيراً بصفته واحداً من أخلص أتباعه واشتراكياً قومياً متفانياً، كما أنه كان وزير إعلام ناجح جدا لكننى لم أرى قط مظاهر الصداقة أو التودد فى علاقتهما.

المعلق: كانا معا بمثابة القائد وتابعه، المعلم وتلميذه، عندما كان الدكتور جويلز الصغير يخشى منافسة غرمائه له فى محبة الفهرر، كانت بعض كلمات التشجيع و المديح أو بعض التربيت على الكتف كافياً لإدخال البهجة إلى قلبه.

هتلر: أود اليوم أن أتقدم بالشكر إلى الدكتور جويلز، فمنذ عشر سنوات سلمتك علماً، فرحت ونصبته فى عاصمة الرايخ وجعلته راية الأمة فى برلين.

المعلق: فى تشرين الثانى نوفمبر من عام ١٩٢٦ كان هتلر قد أرسل جوبلز إلى عرين الأسد إلى برلين الحمراء، حيث كان الحزب الاشتراكى يتضاعف عدده شيئا فشيئا وأوكلت إلى جوبلز مهمة الاستيلاء على السلطة، رأى جوبلز القادم من رايت من منطقة راين لاند تلك المهمة فرصة العمر فشرع فى العمل بطموح وليونة ومن دون أى تحفظ، فجل ما أراده من عمله هو لفت الأنظار.

مؤرخ: كان يتصرف وكأنه بطل الشعب، كان هزيلاً وقصير القامة وكان رأسه كبيراً وغير متناسق مع بقية جسده، أما فمه فكان غريباً وكأنه يشطر وجهه إلى شطرين ولاحظت أنه كان يمشى كالدمى المتحركة آنذاك.

المعلق: أكب جويلز بسرعة فى العمل على الحملة لكنه كان متصلباً بعض الشىء وهو يلقى خطبه.

جويلز: لقد غرقت الأمة بأسرها فى اليأس، وما كانت ألمانيا لتستمر حتى اليوم لولا جهودنا الحثيثة.

المعلق: أصر على شن حملته من خلال صحيفته المسماة زدير أنجرفس

مؤرخ: كانت صحيفة دير أنجريف مروعة ومخيفة، فقد كانت تنشر الأكاذيب على أنواعها، لكن بعض الناس صدقوا ما ورد فيها وكانت تلك طريقة جوبلز فى اجتذاب جزء كبير من الطبقة الوسطى وبعض مما يسمى البلوريتاريا أو الطبقة العاملة، علم جوبلز أن عليه اللجوء إلى الإرهاب لكى يسيطر على الشارع كلياً.

المعلق: عناوين الصحف، عصابات المجرمين، التهديد والترهيب، العنف وإثارة الرأى العام، كان جوبلز يرحب بأخبار الخسائر البشرية وأخبار الموت، استعمل الموت كسلاح إعلانى.

مؤرخ: نحن الألمان قد لا نفهم الحياة جيداً، حضرت عددا من تلك الجنازات بما فيها جنازة «هورست فيسل»، كانت وفاته مثالاً واضحاً على ما يستطيع فعله مروجو الدعايات، صور هورس فيسل بصور ابن رجل دين وطالب خلوق وصاحب مثل عليا، حارب فى سبيل النازية وألف نشيداً وطلب من قومه إنشاده، لقد نسج أسطورة هورست فيسل بنفسه ودامت حتى تاريخ الانهيار.

المعلق: على وقع الأناشيد الحماسية سارت الجمهورية كلها نحو دمارها.

مؤرخ: بعد عام ١٩٣٣ تحول هذا النشيد إلى أهم الأناشيد الألمانية، كان على الناس *إنشاده بكل احترام وتقدير، والذى لا يلقى التحية يتعرض للإساءة، وإن ألقيت التحية* وعرفوا أنك غير آرى تعرضت للإساءة، كان الوضع صعبا إزاء العلم والنشيد.

المعلق: سكب المحرضون على الثورة والشغب الزيت على النار التى أضرمها مجهولون من ذوى القمصان البنية فى أرجاء ألمانيا.

صحفية: كنا قد قرأنا فى كتب التاريخ عن أعمال مثل هذه جرت فى القرون الوسطى ولكن لم نتخيل حدوثها فى زماننا هذا، ظل وجه جوبلز يتغير على ضوء هذه النيران لكن ليس إلى الأفضل، كان يبدو قاسى القسمات معظم الأحيان، رحت أتساءل عن هوية

جوبلز الفعلية، هل كان صحفيا لم يعثر يوما على وظيفة مناسبة؟ أما كان كاتباً لقيت كتبه الرفض؟ وتساءلت بصفتى صحفية، إن كان قد ولد يوما صحفيا فاشل أو كاتب فاشل فوقف وأضرم النار فى كتب منافسيه، كان ذلك نصراً للدكتور الصغير، أراد أن يثير كراهية الناس واعتقد أنه كان مؤمنا بقوة الكراهية حتى فى حياته الشخصية، لم يحب جوبلز الناس كثيرا.

المعلق: كان يحذر اليهود حذراً شديداً وما إن امتلك السلطة حتى سعى لوضع حد لتحركاتهم المضرة بألمانيا.

جوبلز: بدأ الحظر فى تمام الساعة العاشرة ويتم تطبيقه بالقوة المركزة وبانضباط كبير.

المعلق: جابه جوبلز اليهود وأظهر فسادهم فى البلاد وكان هذا بعض ما أوضحه لإبعاد خطرهم المحدق بالرايخ، رأى الألمان النظام الجديد بألوان زاهية وقام جوبلز بإعادة تمثيل عملية الاستيلاء على السلطة فى دور السينما، كانت تلك واجهة ليس إلا..

أنشأ وزارة الإعلام الجديدة، كان هذا المقر الرئيس لعمليات غسل الأدمغة والتعبئة الجماعية، من هنا أطلق حملة دعائية لا مثيل لها اكتسحت البلاد كلها، كانت التقنية المستعملة جديدة، أما الرسالة فقد كانت وحشية، كانت تلك السيطرة المدروسة.

مؤرخ: هذا سر الدعايات، إنها تتوخى ملء عقول مجموعة من الناس بأفكار إعلامية من دون أن ينتبهوا لذلك، بالطبع لكل دعاية هدف ولكن يجب أن يكون الهدف ذكياً ومخفياً بشكل لامع بحيث لا يلاحظها الناس الذين سيتأثرون بها.

المعلق: هنا جند حاكم الصحافة عملاءه وأطاعوه طاعة عمياء.

صحفى: فى الواقع كنت أشعر بحرية نسبية لكن المستغرب فى الأمر هو أننى عندما أقرأ اليوم المقالات التى كتبتها آنذاك أفاجأ بالأسلوب المنضبط الذى اتبعته فى كتابتها وكأن عقلى كان فى حالة تاهب بانتظار تلبية الأوامر.

جوبلز: بتبصر وحكمة تمكنا من تهذيب عقول الصحفيين الألمان، فحينما تجىء المواقف الحرجة لا نضطر إلى إصدار الأوامر فكانت إشارة بسيطة منا تنبىء الصحافة بأنه لا مجال للنقاش.

المعلق: نتيجة لذلك أصبح الصحفيون معلنين مخلصين للدكتاتورية وكانوا يتوقعون خطوات الحزب بكل انصياع.

مؤرخ: ترى لماذا يجرى استفتاء جديد للرأى؟ فالجميع يعرف أن الشعب الألمانى يؤيد الحكومة الاشتراكية.

المعلق: كانت الصور أكثر الأدوات التى استعملها فعالية، نرى هنا أشرطة بطول كيلومترات وهذه هى تركة جوبلز الحقيقية، الصور التى أراد إعماء بصيرة الناس بها.

صفوف من الناس، صور عن تعاضد الألمان، إنه القانون والنظام فى عالم غارق فى الفوضى، وهذه كانت الوعود التى أوحت بها هذه الصور، صور الرايخ الثالث وكأنه إجازة وطنية دائمة.

ركز على المشاهد الاستعراضية والمواقع المميزة، وها هو مدير التشريفات بين أتباعه، كان صانع الأراء يراقب تقلب مزاج الشعب، وكانت تلك فكرته حول استفتاء الرأى العام، كان العمل مقترناً بأعمال العنف.

لم يخجل الوزير من عدد أسرته الكبير، فقد استوفى العدد المطلوب منه، كانت أسرته مثالية كما تظهر فى الإعلام.

اجتاز هذا الدكتور المتواضع شوطاً كبيراً، وأراد أن يعرف الجميع ذلك، كانت أسرته أسرة نموذجية فى الرايخ الثالث، كانت زوجته «ماجده» ابنة عائلة مرموقة، كانت زوجة ممتازة، وعضواً مخلصاً فى الحزب، كان الزوجان يروقان هتلر كثيراً، ياله من زوج مثالى، كان يلعب دور الرجل المثقف وزوجته إلى جانبه، واستمتع بكل ما تمنحه إياه السلطة، فكان يحيط نفسه برموز الرقى والثراء فى الثلاثينيات، ومن بينها مركب كبير، حتى أنه قال بنفسه أنه باهظ الثمن.

كان الدكتور المحب للترف يهوى السفر إلى إيطاليا ومثل دولة هتلر فى بلاد الدوتشى واعتبره مثاله الأعلى، كان لا يود أن يعين وزيراً للخارجية، لدى عودته إلى الوطن قدمت إليه مدينة برلين قصراً ريفياً تكفلت استديوهات يونيفرسال بأعمال الترميم، ولم يكن فى الأمر أى فساد فقد اعتبر القصر عربون احترام وتقدير له، أصبح هذا منزل العائلة، منزلاً بلا رب منزل، فقد كان يضع واجباته تجاه الأمة فى المرتبة الأولى، لكنه كان يظهر أمام المجتمع بصورة ربع عائلة سعيدة.

مؤرخ: كان يعشق أولاده وهم يبادلونه العشق، وكان يلعب معهم بشغف، مما أثار إعجابى ودهشتى، فى رأيى كانت حياتهم العائلية مثالية.

المعلق: ولكن غالباً ما كان الزوج المثالى متغيباً عن المنزل ويلاحق النساء الأخريات، وكان من عادة جوبلز أن يطلق على تصرفاته أسماء وعناوين رنانة.

جوبلز: لسنا زائفين بل نحن شعب النهضة ونريد أن نفسح للنهضة التعبير عن نفسها.

المعلق: كان يقضى على كل من يقف فى وجهه، كان قد أُصيب بمرض عظمى فى طفولته أدى إلى شلل ساقه اليمنى واستثنى بالتالى من صفوف الجنود الأقوياء البنية، لكنه كان يكره النقصان ويطلب الامتياز فى كل شىء.

مؤرخ: فى الحقيقة لقد أدت معاناته فى طفولته بسبب العجز الجسدى، إلى إيجاد عجز فى شخصيته، فقد كان يسعى دائماً للثأر، وللرد على خصومه لا يسامح أبداً، بل يضمر الحقد على أعدائه مدة طويلة.

بالمختصر كانت لديه مواصفات سلبية كثيرة، أعزوها إلى تجارب طفولته الصعبة، وكانت علاقاته بالنساء متأثرة تأثراً بالغاً بتجارب طفولته، أصابه الأمر بالإحباط فلم يعد يتلقى دعوات إلى المستشارية، وراح الفهرر يتجاهل وجوده، وفى الحقيقة لقد رأيت آنذاك كيف كان رهن إشارة أو اتصال من هتلر وكأنه أدمن الانصياع له وتلقى أوامره، كان يتوق إلى تجديد طاقته، واستمدادها من الفهرر.

المعلق: حانت فرصته بشكل غير منتظر فى تشرين الثانى نوفمبر من عام ١٩٣٨ فقد كان المقاتلون القدامى متجمهرين فى شوارع ميونيخ احتفالاً بذكرى فشل تمرد هتلر، وورد عندئذ خبر اغتيال دبلوماسى على يد يهودى متعصب.

جوبلز: وجد جوبلز فرصة لكى يلفت الأنظار إليه، ولكى يثير إعجاب الفهرر أعلم جنوده فى برلين وهم أدرى بوسائله، فقد تعاون معهم للسيطرة على برلين، أمرهم بالنزول إلى الشوارع أراد أن يبرهن أنه مثابر وملتزم كلياً، وراح يدفعهم لاستنكار ما حدث فى باريس.

فى العاشر من نوفمبر تشرين الثانى عام ١٩٣٨ حضرت احتفال الحزب فى دار البلدية كان اجتماعاً هائلاً عرضت فيه الوضع على الفهرر، قرر أن يدع التظاهرات مستمرة وأن يسحب الشرطة من بين المتظاهرين، كان قراره حكيماً.

وجهت الأوامر تلك إلى الشرطة والحزب ثم تحدثت باقتضاب إلى قادة الحزب، كان التصفيق مدوياً سارع الحضور إلى الهواتف، سيبدأ الناس الآن بالتصرف، كنت أهم بالعودة إلى الفندق عندما رأيت أن لون السماء يميل إلى الأحمر، كانت الإطارات تشتعل فى الشوارع، أطفأنا النار حيث كانت تهدد المبانى وتركناها مستعرة فى الأماكن الآمنة، كنت أقود سيارتى عائداً إلى الفندق وسمعت حثيث الحرائق.

المعلق: كان بارعاً فى إثارة غضب الجماهير والشعب، وصنف نفسه كأكثر من يتحكم بعاطفة الجماهير.

مؤرخ: أيقن هتلر وجوبلز أن هناك مؤامرة يهودية تحاك فى أرجاء العالم، كان اليهود جزءاً من المحرضين ضد ألمانيا، كان ذلك واضحاً منذ البداية، قال إنه يسعى لتحييد اليهود ومن الخطأ ألا يأخذوا إعلانه على محمل الجد، وفى أحد خطابات جوبلز قال: «الإعلام اليهودى ـ وكان هو رئيس الدعاية- يجعلنا محط سخرية وأعدكم بأن الوقت سيحين وسوف نوقف أعمال اليهود المحرضة والمستغلة».

هل كان ذلك إعداداً لمشروع مخطط له؟ لست أعلم، عليهم أن يوخوا الحذر سنقفل أفواه اليهود الكاذبين والمدعين.

المعلق: كان هذا المحرض ضرورياً جداً لقائد الدولة، كما أن هتلر كان يحتاج إلى إسكاتهم لخوض الحرب، إلا أن هتلر لم يطلعه على خطط الغزو التى يضعها، شهدت مدينة برلين أكبر استعراض عسكرى على الإطلاق، وسافر الوزير إلى الخارج ليؤدى دور الساعى إلى السلام.

جوبلز: أنا مقتنع تماماً بوجوب الحفاظ على السلام فى أوروبا، كما أننى مقتنع أيضاً بأن الحرب ستنزل بالحرب خراباً كبيراً، ومهما كانت نتيجتها النهائية فلن يجنى منها الناصر والمغلوب إلا الدمار والمصاعب.

المعلق: أصعب ما تعرض له عند بداية الحرب هو تراجعه إلى المركز الثالث، اجتاح جيش هتلر بولندا ورافق جوبلز الاجتياح بالأناشيد الثورية والعبارات النارية.

جوبلز: هذا ما يحصل عندما تبدأ القوات الجوية الألمانية هجومها، وهى لن تتوانى عن ضرب كل المذنبين.

المعلق: كان الأبرياء أول من تلقى الضربات، وأعجب المحارب المقعد جوبلز بأنهم يعالجون الوضع مباشرة وفوراً من دون الاهتمام بالسمعة أو بالرأى العام الدولى، وخلال إحدى رحلاته إلى بولندا راح يبحث عن تأكيد ومصداقة على حقده العنصرى.

جوبلز: فى الثانى من نوفمبر تشرين الثانى عام ١٩٣٩ قمت بجولة فى الأحياء اليهودية خرجنا وتفحصنا كل شىء عن كثب لفتتنى شدة عنصريتهم مهمتى هذه ليست إنسانية بل استطلاعية يجدر بنا أن نجد حلاً يبعد تسلط اليهود.

مؤرخ: عرضت فى نشرات الأخبار صور لبولنديين يهودى القسمات فى نهاية عام ١٩٣٩ أو فى مطلع عام ١٩٤٠ عندما انطفأت الأنوار بعد أحد تلك الأفلام قال إنه لا يعرف ما قد يفعله فى حال عاد هؤلاء اليهود وفى حال خسرنا الحرب، لم يجرؤ على

التفكير فى ذلك، كنت أفكر فى الأمر مع زوجتى أحياناً، وقلنا أننا قد ننتحر فى حال حصول ذلك، كان شديد الحذر منهم، ويقول: «انظروا إليهم وجوههم وجوه مجرمين» وكان يقول ذلك بحماسة غريبة.

المعلق: كانت أفلام جويلز تظهر حقد هؤلاء اليهود، كانت تلك صور العدو، وهؤلاء هم الأبطال العم روميل وأسرته كان جنرالاً عصرياً يسعى لتحقيق نجاح مهنى تماماً كجويلز، كان جويلز أول من اعتبر روميل مثالاً أعلى، فالنصر أفضل وسيلة ترويج وإعلام، تلاشت شكوك جويلز بشأن الحرب على جبهتين، فقد بدد إيمانه العميق بعبقرية هتلر كل الشكوك.

لعب هذا المدنى الذى لم يخدم قط فى الجيش دور القائد، أراد أن يكون أكثر تطوعاً وشجاعة من الجنود أنفسهم، وحاول فى الحرب العالمية الثانية أن يعوض ما فاته فى الحرب الأولى، وحانت اللحظة المطلوبة فى حزيران يونيو من عام ١٩٤١ فقد تم تبليغه بخبر الهجوم هذه المرة، كان قد أعد نشيده هذه المرة، وسُمح له بإعلان الحرب وغزو الاتحاد السوفيتى، زعم هتلر أن موسكو تتآمر مع بريطانيا على ألمانيا، وشن بذلك حرب إبادة مقنعة على أنها حرب فى سبيل الحرية.

كان جويلز فى أحسن أحواله راح يبيع صحيفة أنجريف كتدبير احترازى، ولم يسمح للحقيقة أن تشوه قصة جيدة من قصصه الزائفة، حملة الحقد الواسعة التى شنها الدكتور جويلز أظهرت وجهه الحقيقى وشخصيته المعقدة والمخيفة.

جويلز: سوف توجد الاشتراكية القومية إطاراً جديداً وحديثاً للحضارات فى أوروبا، أما البلشفية فهى ليست سوى إعلان حرب يقوم به قوم سفلة بقيادة اليهود ضد الحضارات نفسها.

المعلق: كان ذلك الرجل يقتل بالكلمات، قام بزيارة تفقدية إلى معسكر للاجئين، ما كان ليعرف التغاضى والتساهل، وظل على الرغم من اندلاع الحرب يحاول إبعاد خطر اليهود المستحكم.

مؤرخ: كنت أسير فى الشوارع مزهوة، ولم أشعر أننى مهددة كونى يهودية، كان الأمر صعباً لاسيما أن بعض الناس كانوا حذرين منى، وكان هناك من ينظر إلى بعطف، وكان بعض الناس فى القطارات المزدحمة يعطونى أشياء لا يسمح لليهود بشرائها، كانت تلك شارة مميزة، مر اليهود فى مثل هذا الأمر فى القرون الوسطى، اعتقد أن أوامره تعود بجزء كبير إلى تطلعاته الخاصة، كما أنها تلفت الأنظار إليه، ما كان ليلفت اليهود بما كان يعده قبل أن يبلغ السلطة التى يريد.

مؤرخ: كان جوبلز يعلم جيداً أين ستنتهى رحلات اليهود، كان قد اطلع على خطط هتلر ووافق عليها.

السابع والعشرون من مارس آزار عام ١٩٤٢ يتم ترحيل اليهود إلى الشرق من مناطقنا فى بولندا، لن أصف هنا الوسائل التى نلجأ إليها، لكن يمكننى القول أنه لا يتبقى من اليهود إلا القليل فى النهاية، يمكن القول أن علينا أن نتعامل مع اليهود بحزم وشدة كونهم يتعاملون بعدائية مع النظام، وهذا عقاب يتلقاه اليهود قد يكون قاسياً لكنهم يستحقونه.

مؤرخ: لا اعتقد أنه كان ينوى جعل اليهود مواطنين من الدرجة الثانية، بل أراد أن يردعهم بالكلمات

المعلق: مع تحول مسار الحرب أخذ الألمان يستبدلون قوة السلاح بقوة الكلمة، وبعد معركة ستالينجراد أصبحت العبارة الأكثر ترديداً فى أفواه القادة الألمان الاستعداد للتضحية، وكانت الرسالة شاملة من جميع النواحى.

جوبلز: إن اليهودية مرض فتاك ومعدى وألمانيا غير مستعدة للانصياع للتهديدات اليهودية، لا بل تتخذ التدابير والخطوات اللازمة لإبعاد خطر اليهود.

المعلق: اعترف جوبلز بوجود خطر يشكله اليهود، كان ذلك خطاب جوبلز فى قصر فى قصر الرياضة، أراد نيل تأييد الشعب للحرب الشاملة على الجبهة المحلية أيضاً، وكان يتمرن على خطاباته بدقة وطوال ساعات عدة، لكى يجن جنون الجماهير ويثور غضبهم.

جويلز: يقول البريطانيون إن الألمان يعارضون الخطة التى وضعتها الحكومة لشن حرب شاملة، يقولون: إنكم لا تريدون الحرب الشاملة بل الاستسلام

مؤرخ: كان قد حرك مشاعر جمهوره بروايات حول الأذى الذى يتعرض له النساء والأطفال الألمان والمؤسسات الألمانية، ووصف القنابل التى تتساقط على الأرض الألمانية، وكان من شأن ذلك أن يثير سخط الجمهور، فأخذ يطرح أسئلته ويجيبه الجميع، وهنا أفلت الوضع عن زمام السيطرة.

جويلز: هل تريدون حرباً شاملة؟

مؤرخ: كنا مذعورين تماماً، فقد جن جنون قصر الرياضة، حماسةً رداً على سؤال هل تريدون حرباً شاملة؟ كانت تلك تجربةً مروعة، ووقفنا هناك مصدومين من شدة الذعر، وقال لى أحدهم، عليك أن تصفقى، عليك أن تصفقى.

جويلز: هل تريدونها أكثر شمولية، وأوسع نطاقاً مما هى عليه اليوم؟

مؤرخ: لم أستطع أن أفهم، كيف يعقل أن تكون الحرب أكثر شموليةً مما كانت عليه، أيعنى ذلك أننا لن ننام ولن نأكل أبداً؟ هل كان يجب أن يُقتل الجنود والمدنيون كلهم؟

جويلز: انهض أيها الشعب وهب كالعاصفة.

المعلق: قال جويلز تلك الليلة لو أمرتهم بالقفز عن سطح مبنىً شاهق لما ترددوا أبداً، وسرعان ما اكتشف الناس معنى الحرب الشاملة.

لم يكن فى وسع أحد التهرب من الانخراط فى الحرب، كانت العاصفة النارية قد أرجعت إلى مصدرها الأساسى منذ فترة طويلة.

كانت المدن الألمانية مدمرة، وكان هو يزداد تألقاً، فهو يسطع خلال الأزمات، وكان يجيد تحريك العقول وتجنيد القوات، لم يستطع أن يعد بالانتصارات، ولكنه كان يحث الجنود والشعب على الصبر والثبات.

تجرأ أخيراً على الظهور فى الشارع خلافاً لهتلر، وراح جويلز يزرع فى القلوب أملاً بحصول معجزة، كان يشك بإمكان الفوز بالحرب فهى لم تكن شاملة كفاية فى نظره، وكان القائد الأعلى يغفل الخطط التى يقدمها إليه مخططه الاستراتيجى الهاوى.

مؤرخ: كان تأثير جويلز ضئيلاً كان يذهب إلى مقر الفهرر حاملاً خططاً كبرى، ولكن سرعان ما لبث أن يعود بها جاراً خلفه أذيال الخيبة.

لكنه كان يتوصل دائماً إلى معاودة نشاطه واسترجاع حماسته والحق أن دورن كان أقل شأناً مما ظن كثيرون، تغير دوره بسرعة بعد محاولة اغتيال هتلر.

طمس جويلز الانقلاب بقسوة بالغة فى برلين، واستعاد بذلك محبة هتلر وتودده، وبصفته المسؤول العام عن التعبئة للحرب الشاملة أمر جويلز رجاله بتنشيط ألمانيا بحثاً عن مزيد من الرجال وإرسالهم إلى الجبهة، وتمكن من تحقيق ذلك قبيل النهاية، كانت تلك أخر محاولاته لإنقاذ الرايخ المحتضر.

كبار السن، والفتيان، أخيراً بات فى وسعه أن يكون جندياً أيضاً، لكن الترسانة كانت فارغة، وحلت الأكاذيب محل الأسلحة المدمرة.

جويلز: إن الكتائب التى قامت بالهجمات البسيطة حتى الآن ستتهيأ بالقيام بهجمات كبرى فى الأسابيع المقبلة، وستخوض المعركة كما لو أنها تقوم بواجب الصلاة، وستعلو من حناجر جنودنا صرخة انتقام ستهد جبروت العدو وتضعفه.

شاهد عيان: كنت أعود بعد سماع الخطابات مقتنعاً بأننا سنفوز بالحرب، كنت أشعر بثقة زائدة، كان يكرر الأقوال التى سمعناها من قبل فى شبيبة هتلر أو خلال الاجتماعات، كان يؤكد كل شىء، وكنت أصدق أقواله، لأنها صادرة عنه، كنا جميعاً سذجاً فى هذه الناحية.

المعلق: ظل يكرر كلمات التشجيع حتى النهاية، وقام بزيارة إلى الجبهة فى لوبانيا.

مؤرخ: كنا نتوقع أداء مميزاً من جويلز، والمهم فى الأمر هو أن هذا الرجل كان ذكياً جداً، ولم يستعمل كلمة النصر النهائى قط.

المعلق: كانت الكذبة مبطنة بالحقيقة لكى تبدو معقولة.

مؤرخ: كان يكرر دائماً أن علينا تقديم التضحيات، والقتال حتى النهاية، وهو لا يستطيع أن يعدنا بشىء، أو أن يضمن لنا الفوز، أهو هذا الجنون أولئك الذين لم يعرفوا شيئاً آخر فى حياتهم، لقد استغل ثقتهم أشد استغلال.

جوبلز: لا يمكن تدمير ألمانيا ولا سحقها، فرجالها ونسائها وأطفالها كلهم أبطال.

مؤرخ: كان يشجع الأولاد فى النهاية على التضحية كان رجلاً قاسياً وعديم الرحمة، ويقع جزء كبير من الذنب عليه، فلو لم يكن مروجاً بارعاً للدعاية والأخبار، ولو لم يغسل أدمغة الناس بأفكاره لكان بعضهم أكثر انتقاداً له.

صور صورة مخيفة للحياة فى حال خسارة الحرب، وأقنع الناس بأنهم سيصبحون عبيداً تحت سيطرة الروس والأمريكيين والبريطانيين، وقال: «إننا لم ننل حقنا فى الوجود والعيش لذا كان علينا أن ندافع عن أنفسنا»، كانت تلك طريقته فى تغذية صفوف الجنود بالرجال والفتيان.

المعلق: الدمار الشامل، وأطاله أيضاً بالكلمات.

جوبلز: نفضل العمل حتى ترشح الدماء من أيدينا، وأن نقاتل حتى آخر نفس على أن نسمح للعدو باحتلال الأراضى الألمانية وفرض إرادته علينا، برلين الآن فى الجبهة الأمامية إذ يحيط المغول بجدران مدينتنا وعلينا ردعهم بالقوة، علينا وقف الأجانب أو إعدامهم، سوف أقبع فى برلين مع موظفى، زوجتى وأولادى هنا أيضاً، وسيبقون هنا.

مؤرخ: كان قد بدأ خطابه منذ خمس دقائق، عندما سقطت قنبلة فى الحديقة، كان الانفجار مدوياً وعنيفاً، فتحطم الزجاج فى غرفتى وتناثر على المكتب، كما تصدعت الجدران لقد رأيته يحمل أوراقه بيده اليسرى ويتابع خطابه، فيما راح يزيل الشظايا والزجاج عنها بيده اليمنى، لم يتزحزح تركيزه ولو قليلاً.

المعلق: دخل جنود ستالين قلب برلين، وفى قبو هتلر كان جوبلز أقرب ما يكون إلى معلمه، كان يصر على اللحاق به إلى قبره.

السيدة جويلز: دخل جويلز فجاةً وأذهلنى مظهره، فقد كان شاحباً وعيناه تترقرقان بالدمع، اقترب منى فلم يكن هناك أحد غير وقال لى زطلب منى الفهرر أن أتركه، يريد منى أن أمكث فى برلين لأتولى منصباً فى الحكومة الجديدة، لا يمكننى أن أفعل ذلكس.

كان فى حالة يأس كامل، لأنه اعتبر نفسه أصدق أتباع هتلر، وما من شئ يعبر عن صدقه وإخلاصه لقائده إلا الموت معه.

المعلق: أدى ذلك إلى جريمة قتل شنعاء، فقد طلب جويلز إحضار أولاده من المنزل إلى القبر.

مؤرخ: لا يمكننى أن أنسى ما حدث، سار سخطنا جميعاً عندما علمنا أنه ينوى إبقاء أولاده فى برلين، راحت النساء والموظفون يرجون السيدة جويلز أن تنقذ الأولاد، ثم حان الوقت المحدد وهيأت السيدة جويلز أولادها للموت، لا أعرف إن كان عملها شجاعة أم جنون.. !!

•••

النازيون الجدد أو عودة الإرهاب السياسى الى ألمانيا

خلف فوز حزب اليمين المتطرف ودخوله إلى برلمان ثالث ولاية المانية هزة فى الأوساط السياسية الألمانية، كما يشكل تهديدا واضحا للدولة الألمانية التى تحاول المصالحة مع ذاتها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وبعد حصوله على نسبة متقدمة هذه المرة بالمقارنة مع الانتخابات السابقة، استطاع الحزب المتطرف احتلال موقع سياسى مهم بولاية ماكلنبورج الواقعة جغرافيا بألمانيا الشرقية، وسمح للصوت النازى بدخول ثالث برلمان ألمانى وفق القوانين الألمانية التى تقر بضرورة الحصول على نسبة ٥ فى المئة على الأقل من أصوات الناخبين لولوج مبنى البرلمان. حدث انتصار اليمين المتطرف يأتى فى ظرف حرج تعرف فيه ألمانيا العديد من التظاهرات ضد انتشار المد النازى بالبلاد، وعلى سبيل المثال لا الحصر، الاحتجاجات التى يقوم بها بين الفينة

اولأخرى سكان مدينة ديمنهورست الواقعة جنوب شرق ألمانيا ضد إقدام يورغن غيفر، وهو محام ألمانى قرر شراء أحد الفنادق وسط المدينة، والسبب يعود إلى اعتبار هذا المحامى من مناصرى اليمين المتطرف بألمانيا. وبغض النظر على سلامة عملية الشراء من الناحية القانونية، فإن السكان يحتجون ضد شراء هذا الفندق الذى سيتحول حسب رأيهم إلى مقر للنازيين الجدد بالمنطقة مما يشكل تهديدا للاستقرار بالمنطقة. ووفقا لتصريحات الساسة الألمان و التقارير الألمانية، يمثل الحضور النازى بألمانيا حاليا، خطرا حقيقيا من شأنه أن يعصف بإصلاحات ومشاريع حكومة برلين التى يواجهها تحديا أكبر من أجل التصدى للخطر النازى المجسد لعقدة الألمان التاريخية. دلالة النازية فى القاموس الألمانى ومما لاشك فيه أن الحديث عن جذور النازية يفرض علينا التدقيق فى ما تحمله كلمة نازى من دلالة فى اللغة الألمانية. فهى تعنى اختصارا اسم حزب الـ ـال الألمانى القومى الاشتراكى الذى تأسس فى مدينة ميونخ عام ١٩١٩ تحت اسم حزب العمال الألمانى . N tion lsozi.listische Deutsche Arbeiterp.rtei الذى انضم إليه أدولف هتلر فى نفس العام قبل أن يتسلم رئاسته بعد وقت قصير، فقام بتعديل اسمه بإضافة مفردتى القومى الاشتراكى. ويوظف هذا الاصطلاح أيضا للدلالة على ما يتعلق بالحكم الديكتاتورى فى ألمانيا النازية بين الأعوام ١٩٣٣ و ١٩٤٥، أو ما يعرف باسم الرايخ أو المملكة الثالثة. ويدافع أتباع النازية عن مجموعة من الأفكار القائلة بأن العرق الآرى متفوق على باقى العروق والأجناس الأخرى، بل يروجون للتفوق العنصرى الألمانى كدولة مركزية قوية. ويتخذ النازيون الصليب المعقوف شعارا لهم يوظفونه من أجل التميز و الظهور فى التظاهرات العمومية. أما حزب اليمين المتطرف الألمانى فإن مؤيدوه يدافعون عن ضرورة تحمل حزبهم للمسؤولية فى الحكم مما يقابل بالرفض القاطع من طرف الطبقة السياسية بألمانيا. ألمانيا تقع تحت تهديد النازية الجديدة لوإذا كان القانون فى ألمانيا الحديثة يحرم النازية، فإن بقايا ودعاة الرجوع إليها مازالوا موجودين حتى الآن. وبداية، يجب الإشارة إلى كون اليمين المتطرف يختلف عما يصطلح عليه بالنازيين الجدد. ويمكن توضيح هذا الأمر ببساطة. فالنازية الجديدة هى جزء من اليمين

المتطرف الألمانى و العكس غير صحيح، فمثلا نجد ممارسة الفعل السياسى المتطرف مباحة وتضمنها حقوق الإنسان ومبادىء الحرية الألمانية فى حدود معينة طالما لا تمس بالدستور الألمانى. وخير مثال على ذلك الحزب الديمقراطى القومى NPD الذى بعد أقدم حزب نشأ بعد الحرب العالمية الثانية وعمره ٤٠ عاما وتأسس ردا على الأحزاب التقليدية التى حصلت على تراخيص العمل من قوات الاحتلال. ويضع العديد هذا الحزب تحت يافطة النازية لأنه يعتمد فى أيديولوجيته على أفكار مستقاة من إيديولوجية أدولف هتلر خاصة الإيمان بقيادة ديكتاتورية والنظرة السلبية إلى الأقليات وكذلك التمسك بالقومية. ولعل أول مظاهرة كبرى خرج بها الحزب منذ نهاية الحرب العالمية الثانية كانت عام ١٩٨٩ بمدينة لايبزيغ، كما أكد أكثر من مرة عن ميولاته النازية وخير مثال على ذلك، فى شهر يناير/كانون الثانى من عام ٢٠٠٥ رفض نواب الحزب الديمقراطى القومى الوقوف دقيقة صمت حدادا على ضحايا النازية فى الحرب العالمية الثانية، وغادروا قاعة البرلمان مما سبب فى ضجة إعلامية وغضبا داخل البرلمان وخارجه. وحسب استطلاع تم لحساب مجلة ديرشبيجل المعروفة، تأكد أن ٦٣ فى المئة من الألمان يؤيدون حظر نشاطات الحزب القومى الألمانى اليمينى المتطرف، لكن كيف يتم هذا الأمر والحكومة الألمانية سبق وأن فشلت فى الحصول على قرار يحظر نشاطات هذا الخزب المتطرف من قبل المحكمة العليا، حتى أن المستشار السابق شرودر طلب من مساعديه إعادة النظر بالسبل القانونية للتقدم بدعوى جديدة لمنع نشاطات الحزب القومى نهائيا. ومن المعروف أن شرودر كان يفكر فى النتائج الوخيمة التى تحصدها ألمانيا و السمعة السيئة فى العالم خصوصا فى الولايات المتحدة وإسرائيل، حين يتظاهر النازيون الجدد أمام النصب التذكارى لضحايا الهولوكوست. وينظر العديد من جيران ألمانيا بنوع من الريبة و القلق إلى تنامى انتشار النازيين الجدد داخل المجتمع الألمانى، وهم يسعون إلى الزحف من برلمان داخل الولايات نحو بلوغ البرلمان الاتحادى فى برلين، وهذا أمر مستبعد لكنه يمكن أن يتحقق فى أى وقت من الأوقات. أشكال جديدة من النازية تورط الدولة والمثير للاستغراب هو أن الدولة التى تعد طرفا فى هذا الصراع،

تمول بفعل القانون نشاطات اليمين المتطرف، ذلك أن القانون يسمح بحصول كل حزب على مبلغ مالى معين لقاء كل صوت مؤيد له حصل عليه فى الانتخابات. وهكذا حصل النازيون الجدد مثلا على مبالغ كبيرة مقابل حصولهم على ١٩٠ ألف صوت فى انتخابات ولاية سكسونيا عام ٢٠٠٣ ويذكر أن وجود اليمين المتطرف لا يقتصر على الأحزاب والتيارات المعروفة، بل يتعداه إلى أشكال و حركات عديدة مثل حليقى الرؤوس التى لا تتوانى عن إظهار ولائها المطلق للإيديولوجية النازية إضافة إلى الخلايا و التنظيمات السرية التى يصعب الوصول إلى معرفتها. وتقول التقارير الصحفية، بأن هناك ظاهرة نازية جديدة تنتشر داخل المجتمع الألمانى و تعرف باسم فصيل الجيش البنى، وهو اسم مستعار مأخوذ من اسم فصيل الجيش الأحمر اليسارى المنحل. هذا، إلى جانب حزب اتحاد الشعب الألمانى، الذى يجمع ما بين النزعتين الانتقامية والانضمامية مع بعض الميل إلى إعادة الاعتبار إلى المرحلة النازية، ويستقطب فى المناطق الشرقية من المانيا، قسماً من الشباب المهمشين، ومن الطبقة العاملة الذين غالباً ما يحنون إلى عملية الدمج الاجتماعية والاقتصادية فى جمهورية ألمانيا الديموقراطية. وعموما، تنقسم كل هذه الحركات المتطرفة بدورها إلى نوعين أساسيين: اليمين المتطرف المستعد أو الذى يمارس العنف المادى، والحركات المتطرفة السلمية. وبناء على إحصائيات المكتب الفدرالى لحماية الدستور الألمانى العام الماضى. وهو عبارة عن مصلحة حكومية تراقبها كل من وزارة الداخلية، البرلمان الفدرالى، البوندستاغ، والبرلمانات بالولايات وكذلك الصحافة باعتبارها السلطة الرابعة. يوجد بألمانيا ١٦٨ منظمة يمينية متطرفة تضم قرابة ٣٩ ألف شخص، من بينها ٢١٥٠٠ شخص يمارسون نشاطاتهم داخل أحزاب و تيارات معروفة، و على رأسها كل من الجمهوريين، الحزب الديمقراطى القومى واتحاد الشعب الألمانى. وقدسجلت السنة المنصرمة انضمام ٤٥٠٠ عنصرا جديدا إلى اليمين المتطرف بزيادة تقدر ب ٣٠٠ شخص مقارنة مع عام ,٢٠٠٤ وتقول معطيات المكتب الفدرالى لحماية الدستور الألمانى أن حوالى ١٠ ٤٠٠ متطرف مستعد لممارسة العنف. وفى نفس السياق، عرفت مدينة دوسلدورف فى السابع و العشرين من يوليو عام ٢٠٠٠ اعتداءات إرهابية

ضد مجموعة من الروسيين المقيمين بألمانيا، مما أثار موجة من الذعر دفعت الكثير من السياسيين و المتتبعين إلى دق ناقوس خطر التطرف الألمانى الذى ينتشر كالنار فى الهشيم داخل المجتمع. ولم يقتصر التطرف اليمينى الألمانى على الفضاءات العمومية من خلال التظاهر و الاحتجاج مرددين شعارات يُحملون فيها الأحزاب الكبيرة مسؤولية تدهور حال البلاد، بل يوظفون تكنولوجيا الإعلام الحديثة و خاصة المواقع الإلكترونية والملتقيات و الدردشات الفورية والتى يصل عددها إلى قرابة ألف موقع على الانترنيت. وتشير المعطيات إلى أن النازيين الجدد يعقدون تجمعاتهم ويقيمون مهرجاناتهم فى القرى والمدن الصغيرة الواقعة فى الجزء الشرقى من البلاد والتى تتجاهلها الأحزاب الأخرى. ولمحاربة الحركات المتطرفة التى تتحول أنشطتها إلى ممارسات تمس بالدستور، قامت وزارة الداخلية فى الحكومة الاتحادية ومثيلاتها بالولايات المختلفة بمنع العديد من المنظمات المتطرفة، إذ سجلت سنوات التسعينات منع العشرات من المنظمات المنتمية إلى اليمين المتطرف، وهذا يدفع الكثير من المحللين إلى التساؤل حول دواعى الانتشار الواسع للتطرف اليمينى وخاصة بعد سقوط جدار برلين؟ انتشار التطرف اليمينى يهدد الأجانب ليعتبر العديد أن توحيد ألمانيا شكل عبئا ثقيلا على الاقتصاد الوطنى وأبطأت من نمو البلاد الاقتصادى فى السنوات التالية، مما أعطى الفرصة للأحزاب اليمينية التى استغلت الوضع الاجتماعى والاقتصادى المتردى فى شرق البلاد، كى توسع من نشاطاتها وتكسب أعضاء جدد فى صفوفها عن طريق تحميل اللاجئين والأجانب مسؤولية المشاكل الألمانية. وفى هذا الصدد، سجلت موجة من الاعتداءات العنصرية على الأجانب وعلى ممتلكاتهم الشخصية خاصة خلال نهاية التسعينيات على يد النازيين والمتعاطفين معهم سقط ضحيتها الكثير من المهاجرين. وعلى إثر ذلك، قامت الحكومة الألمانية بمحاولة لحظر الأحزاب النازية. واتخذت المحاولة منحى أكثر جدية بعد تأثر سمعة ألمانيا كبلد آمن وديموقراطى بسبب هذا المد اليمينى المتطرف. ويرجع العديد من المراقبين للشأن الألمانى نجاح الأحزاب المتطرفة و النازية إلى استغلال تذمر المواطنين من سياسة الإصلاح والتقشف التى تتبعها الحكومة الألمانية خلال السنوات الأخيرة

وخاصة فى الجزء الشرقى من البلاد. لذلك تجد المقولات العنصرية المتعلقة بقلة فرص العمل بسبب وجود الأجانب صدى فى هذه المناطق. أما البعض الآخر، فيرى أن الجذور الهتلرية مازالت مرسخة فى بنية المجتمع الألمانى وحاضرة بثقلها داخل فئات كثيرة من المجتمع. وتستمر عقدة الماضى فى الحاضر الألمانى...! وبعد مرور أكثر من ستين سنة على الحرب، مازالت ألمانيا تحاول المصالحة مع التاريخ و تنظر إلى نفسها على أنها عاجزة عن محو إيديولوجية أدولف هتلر والتى أعلن عليها فى أطروحته المعروفة يوم الرابع و العشرين من عام ١٩٢٠ بمدينة ميونخ. هذا الوضع المتوتر دفع بحكومة برلين إلى المزيد من المراقبة و الضغط على المنظمات المتطرفة حتى أصبح التلفظ بكلمات مثل أمة أو إظهار الشعور بالانتماء إلى الوطن عيبا اجتماعيا بعد أن كان فى خانة المحرمات السياسية سابقا لأن ذلك يتم ربطه دائما بالتراث النازى. وتعبر عن هذا الغبن الألمانى كلمات أحد مغنيى الروك الألمان، ويدعى تيس أولمان الذى قال مرة أن الانتماء إلى ألمانيا لا يمثل افتخارا. ولعل الضجة التى أثارتها اعترافات الكاتب الألمانى الشهير جونتر جراس بعضويته السابقة فى فرق الوحدات النازية الخاصة، لدليل على عودة شبح النازية الذى يقض مضاجع الألمان ويجعلهم يعيشون ماضيهم باستمرار فى حاضرهم!

النازيون الجدد.. فى إسرائيل

آخر شىء كان يمكن للإسرائيليين توقعه أن تظهر بين اليهود جماعات تحمل شعارات هتلر وتحتفل بعيد ميلاده وتشن هجمات على اليهود فى حدث هز إسرائيل بعنف، وهى التى قال زعماؤها ومؤسسوها قبل قيامها بأنها تؤسس دولتها خلاصا من مذابح هتلر التى قتل فيها، كما يقولون ستة ملايين يهودى. هؤلاء النازيون الجدد يهاجمون الإسرائيليين من مختلف النوعيات ويركزون بصفة خاصة على المتدينيين ومدمنى المخدرات والشواذ بل والعمال أيضا. وكشفت الشرطة الإسرائيلية عن أن هذه الجماعة لديها خطط للقتل وقد عثر لديهم على أسلحة بيضاء ومتفجرات وملابس من التى كان يرتديها النازيون وصور لهتلر. إن اكتشاف إسرائيل لوجود هذا التنظيم النازى بدأ منذ

عام مضى عندما لاحظت الشرطة وجود الصليب المعقوف رمز النازية مرسوما على جدران معبد لليهود قرب تل أبيب، وظلت التحقيقات مستمرة مع الذين تم القبض عليهم طوال العام الماضى.

وينتمى أعضاء جماعة (النازيون الجدد) إلى عائلات من اليهود السوفيت الذين كانوا قد هاجروا إلى إسرائيل طبقا للقانون الإسرائيلى المسمى قانون العودة والذى يسمح لأى شخص يكون أحد أجداده من اليهود بأن يصبح مواطنا إسرائيليا، وحسب القواعد الدينية المشددة فإن عددا كبيرا من المهاجرين السوفيت لم يتم اعتبارهم يهودا بالرغم من السماح لهم بالهجرة إلى إسرائيل وتعرضوا للتمييز العنصرى فى معاملتهم بالمقارنة بغيرهم من الإسرائيليين.

ويرى بعض المراقبين أن أحد أسباب هذه الظاهرة والتى أوجدت داخل إسرائيل تنظيما من أبنائها هدفه إعلان الحرب على الدولة اليهودية أن إسرائيل وإن كانت فى بداية إنشائها قد سعت إلى جذب أصحاب العقول المفكرة والعلماء والمتفوقين، خاصة من الدول الأوروبية الغربية والشرقية إلا أنها بدأت بعد ذلك فى فتح الباب على مصرعيه أمام هجرة أى يهودى إلى إسرائيل دون الحرص على التأكد من النوعيات التى تهاجر إليها، ولم يكن يهمها أن يكونوا متطرفين أو من دعاة العنف أو الفاشلين فى بلادهم. ولذلك كان من السهل أن يأتى ضمن أفواج المهاجرين نوعيات لا علاقة لها باليهودية كدين حتى وإن كانوا يهودا ولا يلتزمون بأى أحكام للقيم والقانون والنظام.

وقد ظهر ذلك بشكل أكثر وضوحا بين أبناء الأسر اليهودية المهاجرة من الاتحاد السوفيتى، وكان عددهم يزيد على مليون شخص، بدأ تدفقهم على إسرائيل من الإتحاد السوفيتى خلال فترة التسعينيات، وطبقا لقانون الاستيعاب والهجرة، فإن٣٠٠ ألف شخص منهم لم يتم إعتبارهم يهودا وإن كانوا يحملون الجنسية الإسرائيلية، وذلك طبقا للقواعد المطبقة دينيا فى إسرائيل فإن اليهودى هو فقط الذى كانت أمه يهودية وليس أباه.

وقد نقلت صحيفة التايمز البريطانية تصريحان لوالدة رئيس هذه الجماعة، وهو إيلى بوانيتوف، وعمره ١٩ سنة، حاولت فيه تبرئة إبنها وقالت أن السلطات الإسرائيلية لم تفعل شيئا لمساعدة المهاجرين الروس الذين يعانون فى إسرائيل من التمييز العنصرى المنظم وان ابنها هو أحد هذه النماذج وإن كانت قد حاولت نفى علاقته بالنازية وأكدت أن عائلتها عانت كثيرا تحت الحكم النازى.

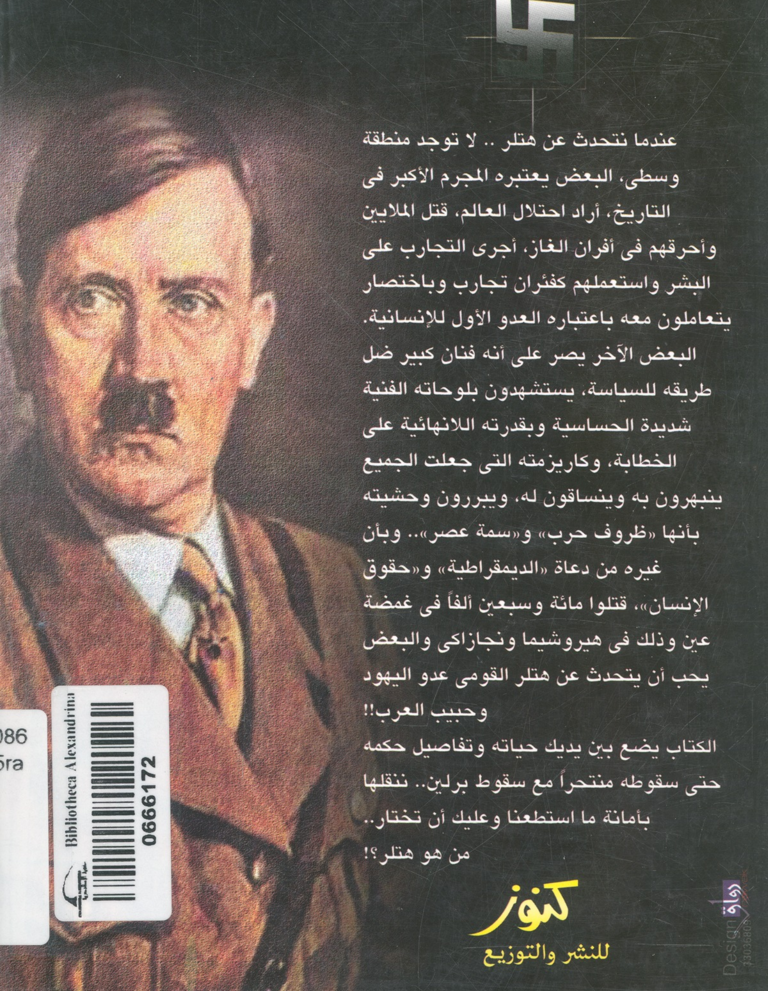
وقد أثار اكتشاف هذه الجماعة حالة من الصدمة الشديدة فى إسرائيل دعت الكثيرين للمطالبة بتشديد الإجراءات التى كان تخفيفها قد سمح لأعداد كبيرة من سكان الاتحاد السوفيتى السابق وكذلك اليهود الأثيوبيين لكى يصبحوا مواطنين إسرائيليين، وقالوا ان علينا أن نخلص أنفسنا من هذا الشيطان الذى أصبح يسكن فى قلب إسرائيل.

وتقول صحيفة التايمز إن من المعتقد أن بوانيتوف زعيم هذه الجماعة له علاقة اتصال منتظمة مع تنظيمات النازيين الجدد فى العالم، وأن بوانيتوف ومجموعته رسموا وشما على أجسادهم يحمل شعارات النازية.

وقد صرح الضابط الإسرائيلى المكلف بالتحقيق فى هذه القضية، واسمه ميجور ريفيتال ألموج، بأن هذا المستوى من العنف لدى هذا التنظيم يمثل شيئا مروعا وهذه هى أول مرة نلقى فيها القبض على هذا العدد الكبير من الأفراد أعضاء جماعة منظمة من النازيين الجدد.

إن الإسرائيليين حتى وإن كانوا يعتبرون أن العرب هى عدوهم إلا أنهم يشعرون فى أعماقهم بأنهم لم يعانوا طوال تاريخهم من عدو أشد مما عانوه على يد هتلر والنازية، حتى أنهم قد جعلوا من هذا الموضوع جزءا رئيسيا من تراثهم ومادة أساسية تدرس لتلاميذهم، وأقاموا للمذبحة التى نفذها هتلر ضد اليهود المتاحف فى إسرائيل والولايات المتحدة حتى لا ينسى اليهود هذه الذكرى وتظل عالقة فى أذهانهم، ولذلك فإن مولد تنظيم نازى داخل إسرائيل يمجد هتلر وأعماله ويكون أفراده من اليهود الإسرائيليين أنفسهم يعتبر حدثا لابد أن يهز العقل الإسرائيلى بعنف خاصة وأن زعماء إسرائيل حاولوا منذ قيامها عام١٩٤٨ وحتى اليوم أن يغرسوا فى عقول اليهود أن العرب هو عدوهم.

محتويات



عندما نتحدث عن هتلر .. لا توجد منطقة وسطى، البعض يعتبره المجرم الأكبر فى التاريخ، أراد احتلال العالم، قتل الملايين وأحرقهم فى أفران الغاز، أجرى التجارب على البشر واستعملهم كفئران تجارب وباختصار يتعاملون معه باعتباره العدو الأول للإنسانية.

البعض الآخر يصر على أنه فنان كبير ضل طريقه للسياسة، يستشهدون بلوحاته الفنية شديدة الحساسية وبقدرته اللانهائية على الخطابة، وكاريزمته التى جعلت الجميع ينبهرون به وينساقون له، ويبررون وحشيته بأنها «ظروف حرب» و«سمة عصر».. وبأن غيره من دعاة «الديمقراطية» و«حقوق الإنسان»، قتلوا مائة وسبعين ألفاً فى غمضة عين وذلك فى هيروشيما ونجازاكى والبعض يحب أن يتحدث عن هتلر القومى عدو اليهود وحبيب العرب!!

الكتاب يضع بين يديك حياته وتفاصيل حكمه حتى سقوطه منتحراً مع سقوط برلين.. ننقلها بأمانة ما استطعنا وعليك أن تختار..

من هو هتلر؟!

كنوز
للنشر والتوزيع

Bibliotheca Alexandrina
0666172
086
ra